سلسلة كشف حقيقة الوهابية

٦

أَوْضَحُ البَيَانِ

بأنَّ نَجْداً يَطْلُعُ مِنْهَا قَرْنُ الشَّيطان

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان»

[صحيح البخاري (٢/ ٣٣)]

تأليف

عبد الله محمد عكـــور

إهــــــداء

إلى سيِّدنا حذيفةَ بنِ اليمان أمينِ سرِّ رسولِ الله ﷺ القائلِ: «كان النـاس يسـألون رسولَ الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركَني ... »، فهذا الشرُّ الذي خافه حذيفةُ قد أدركَنا... فهل من متيقِّظٍ ؟

إلى كلِّ طالبٍ للحقِّ، غير متلبِّس بدعْوى الجاهلية، ولا منغمِسٍ بمسـتنقعِ العصـبيةِ المذهبية، ليرى بنور البصر والبصيرة أنَّ قـرنَ الشَّيطان قد طلع من نجد الفتن والزلازل، فلا تغرنَّه الشعاراتُ البراقة ولا الدعاوى الزائفة ...

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ . [النساء: ١١٥]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربِّ تمِّمْ وَأَعِنْ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصَّلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد، المؤيد بالمعجزات، والمخبر عن ربه بالمغيَّبات، ورضي الله عن آل بيته الطاهرين، وصحابته المُكرَّمين، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدِّين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنزهُ عن مشاكلة المحدثات، وسمات المخلوقات، واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وأشهد أن سيِّدنا ومولانا وعظيمنا محمداً عبدُ الله ورسوله، وخيرته من خلقه وصفيه وحبيبه وخليله، أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين، وبعثه بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، ختم به الأنبياءَ والمرسلين، فهو لَبِنةُ التَّمام، ومسك الختام، وشفيع الأنام في الدنيا ويوم الزحام، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، صلاةً ليس لها حَدٌ، ولا يحصرها عدٌّ، ولا تخش من ردٍّ، واجزه أفضلَ وأكملَ وأحسنَ ما جزيتَ نبيّاً عن أمته، ورسولا عن قومه، فاجزه اللهم عن العالمين خير الجزاء، وأتمم له موعدك بابتعاثك إياه مقبولَ الشفاعة، عدلَ الشهادة، مرضيَّ المقالة، ذا منطق عدل، وخطيبَ فصل، اللهم اجعلنا له سامعين مطيعين، وأولياءَ مخلصين، ورفقاءَ مصاحبين، اللهم بلغه منا السَّلام، واردد علينا منه السَّلام .

وبعد: فقد اطلعت على رسالة لطيفة الحجم معنونة بـ: «أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشَّيطان» لمؤلفها الشيخ حكيم محمد أشرف سندهو، تبحث في حديث البخاري ومسلم وغيرهما، والذي يخبرنا فيه عن «نجد» وأنه يطلع منها قرن الشَّيطان، وفيها الزلازل والفتن وفيها تسعة أعشار الشر والكفر، وفيها الداء العضال، فحاول المؤلف أن يصرف معنى الحديث إلى العراق، وحاول الناشر

من خلال مقدمته للكتاب أن يوظِّفَ الحديث توظيفاً سياسيا، فصرف معنىٰ الحـديث إلىٰ العـراق، وأن قرن الشَّيطان المقصود في الحديث هو الرئيس العراقي «صدام» وأنه ذاك الطاغية المعهود بالشر، حيـث غدر بالعهود التي وقَّعها بينه وبين الكويت فاجتاحها ليلا، وأنه اتخذ من الرعايا الأجانب دروعاً بشرـية لأهل العراق حتىٰ يُجنِّبَ شعبه ضربة الحلفاء، وأن العراق هي معقل الشر، لأن الخـوارج خرجـت مـن هناك، وأنهم قتلوا سادات أهل البيت وغير ذلك مما سنبينه .

قلت: أما المؤلف فحسب ما اطلعت عليه هو هندي الجنسية ومقيم في الرياض، وحـاول مـن خـلال شرحه لحديث نجد أن يصـرف سِمةَ قرن الشَّيطان عن نجـد إلىٰ العـراق تزلُّفـاً لأسـياده، بأدلـة واهيـةٍ وأسلوبٍ ركيكٍ ضعيف، وأهمُّ ما لفت انتباهي في الأدلة التي ناقشها قوله: «أن العراق يقع شرق المدينة المنورة تماماً، ومن شك فليمسك بخريطة جغرافية وينظر، فسوف يجد العراق هي جهـة الشرـق الـذي أشار إليها النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

ومما ساقه من أدلة: إيراده روايةً ضعيفةً منكرةً عارضت مجموع الروايات الواردة في الصحيحين، حتىٰ يُثبت ما ذهب إليه من أن نجداً هي العراق، وأعرض صفحاً عن كـل الروايـات التـي جاءتنـا بأسـانيد صحيحة، وخاصةً ما كان منها في الصحيحين .

وأما الناشر فقد وجدتُ رائحة الحقد علىٰ المسلمين تفوح من خلال كتابته، وقد لاح لي خلال القراءة حديثُ سيِّدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم، الذي يذكر فيه بعض صفات المنافق وهي: أنه إذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، فأصبح الكتابُ وعاءً للسَّبِّ والشتم والتكفير للمسلمين، الذين يعتقـدون أن نجداً يخرج منها قرن الشَّيطان .

أقول: إن أرباب هذه الحركة ـ والتي تسمىٰ بالوهابية ـ قـد حشرـوا أنفسـهم في جحـر ضـبٍّ حتـىٰ أصبحوا لا يسمعون من عالمٍ قولاً يخالف مذهبهم، ولا يعترفون بالعلم إلا لعلمائهم، مـع أنـه يوجـد في المسلمين علماء فاقوهم بالعلم والأدب، وأنهم لا يتواجدون إلا حيث وُجد الجهل، كما قال ابن عساكر،

وضيَّقوا علىٰ أنفسهم حسب قاعدتهم: « هجر المبتدع» التي طبَّقوها علىٰ غيرهم، فغدَوا لا يعرفون أسلوباً للبلاغة، ولا يعرفون من الكتابة إلا «بدعة، ضلالة، شرك، كفر...» جرَّدوا أنفسهم من التفكير، وحرّموه علىٰ طلاب العلم منهم، حتىٰ قال القائل منهم: يجب أن يكونَ تفكيرُنا بفكر السلف، ونسوا قول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم: «رُبَّ مبلَّغ أوعىٰ من سامع»، لذا رأينا من يعدُّونه أكبرَ عالِم عندهم يكفّر من قال بكروية الأرض من المسلمين، مع أن القول بكروية الأرض لا يَمسُّ العقيدةَ بشيء حتىٰ يُكفَّر القائلُ بها، انظر كتابه: «الشهاب المنقض علىٰ من قال بكروية الأرض» .

أجل! إن من عايش هذه الطائفة يجد فيها المتناقضات، وما أكثرَها عندهم!!!فمثلاً يفتي الشيخ الراحل «ابن باز» سنة (١٤٠١) هـ بحرمة الاستعانة بمشرك علىٰ مسلم، وهذه الفتوىٰ أذيعت من إذاعة الرياض، ولكنا نراه سنة (١٤١١) هـ يفتي لولي الأمر بجواز الاستعانة بمشرك علىٰ مسلم، وذلك من أجل ضرب شعب العراق من قبل الحلفاء الصليبيين، حتىٰ يُضفي الصبغة الدِّينية علىٰ هذه الحرب، امتدادا للمعاهدة المبرمة سابقا بين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، عندما اتفقا علىٰ حرب أهل الإسلام، وقد سُمعت هذه الفتوىٰ من قبل العالَم كله .

ويفتي غيره من المشايخ وهو المشهور بالشيخ «ابن عثيمين» أن المحتفل بمولد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم يعتبر ضالاً، صاحب بدعة يستحق عليها الخلود في النار، وتراه يجيز إقامة أسبوع كامل تخليداً لذكر «محمد بن عبد الوهاب» ويرىٰ ذلك من الوفاء لهذا الرجل، وإزالة شبهة طالما علقت في أذهان الكثيرين عنه، وتبيين ما منّ الله به من الخير علىٰ يديه، انظر الفتوىٰ رقم (٤٨،٤٩) من مجموع فتاواه المسمىٰ «فتاوىٰ العقيدة»، وكذلك أقيم أسبوع أو أكثر تخليدا لذكر ناصر الألباني، حتىٰ يعرَّف به من كان جاهلا، فهل أصبح هؤلاء العلماء أكبرَ أهمية من نبي الأمة محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم ؟؟

وتراه يُفتي بحرمة السَّلام علىٰ الكفار، وقبول الهدية منهم، لكنك تراه يبيح لولي الأمر لبس الصليب وتعليقه في عنقه، ويقول: هذه أمور عادية ينظر فيها أولو الأمر بما تقتضيه المصلحة، إذا كان من المصلحة

قبول هذه المجاملة أو الهدية كان جائزاً، وقد أنكر عليه بعض الحضور بقوله: صليب يا شيخ!! فقال: ولو كان صليبا .

لذا ليس غريباً على الناشر أن يتفوه ويكتب ما كتب، لا سيما أنه من قبيلة الدواسر النَّجْديّة، وهي من القبائل التي آزرت محمد بن عبد الوهاب في قتل المسلمين في المساجد، وأن هذا هو أسلوب كبار علمائهم في الدعوة .

وبناءً عليه أحببتُ أن أكتب حول هذا الموضوع، حتى أكشف الرَّين عن معنى هذا الحديث، وأبين ما قصده النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم من قوله: «نجد يخرج منها قرن الشَّيطان»، وأن هذه المنطقة لم تزل معروفةً بالفتن والشر منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا، يجب التحذير من شرها وفتنتها، وبذلك قال العلماء والعقلاء من أهل هذه المنطقة، وكما قيل: وشهد شاهد من أهلها.

وبعد هذا؛ سأعرض خطة البحث حتى يتعرف القارئ على أهم بنود الكتاب، ورؤوس موضوعاته، فقد قسمت الكتاب إلى مقدمتين وستة فصول وخاتمة:

المقدمة الأولى وفيها: عرض سريع للقاعدة المشهورة : «سد الذرائع» .

المقدمة الثانية وفيها: ألفاظ الحديث عند المحدثين .

الفصل الأول: نجد في السنة النبوية وأقوال العلماء، وفيه أبواب :

الباب الأول : نجد والعراق في اللغة والاصطلاح .

الباب الثاني : نجد في السنة المطهرة .

الباب الثالث : نجد في اصطلاح الجغرافيين .

الباب الرابع : نجد في شعر الشعراء .

الباب الخامس : نجد في عرف أهل الاختصاص .

الفصل الثاني: وفيه تعريف بنجد وما ظهر فيها من الفتن، وفيه أبواب:

غزوهم سوريا .

غزوهم عُمان .

الفصل الخامس: تعيين من هو قرن الشَّيطان .

محمد عبد الوهاب هو قرن الشَّيطان .

الأدلة على أن هذا النَّجْديّ هو قرن الشَّيطان :

الدليل الأول: أنه من جهة الشرق .

الدليل الثاني: إنه من منطقة نجد تحديداً .

الدليل الثالث: إنه من بن تميم .

الدليل الرابع: قتله أهل الإسلام وتركه أهل الأوثان .

الدليل الخامس: سيماه التحليق .

الدليل السادس : أتباعه سفهاء الأحلام .

الدليل السابع : يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم .

الدليل الثامن: يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة .

الدليل التاسع: لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال .

الوهابية هم خوارج العصر .

وجه الشبه بين الحركتين؛ الخوارج والوهابية .

الفصل السادس: رد شبهاتهم وفيه خمسة أبواب ؛

الباب الأول: رد شبهتهم بأن العراق هي نجد المقصودة في الحديث .

الباب الثاني: رد شبهتهم بخروج الفتن من العراق وتتمثل في:

مقتل سيِّدنا علي .

مقتل الحسين بن علي .

العراق هو معقل القرامطة .

الباب الثالث: رد شبهتهم بتكفير جميع المسلمين .

الباب الرابع : رد شبهتهم باستحلال قتل المسلمين .

الباب الخامس: رد شبهتهم بطمس آثار النبوة .

خاتمة : نسأل الله تعالى حسنها .

المُقَدِّمَةُ الأُولَى
قَـاعِدَةُ سَـدِّ الـذَّرَائِـعِ

إن استدلالهم بهذه القاعدة بعيد عن الأصول والقواعد الفقهية، وقد أفرطوا في استخدامها بحيث خرجوا عن الحد المعتبر الذي قُررت من أجله .

إن من المقرر في علم أصول الفقه: أن لكل قاعدة من قواعد هذا العلم ضوابط وحدوداً وشروطا، ولهذا يجب على من استعمل هذه القاعدة معرفة هذه الضوابط والقواعد والشروط حتى لا يلقي بالحكم جزافا .

الذرائع في اللغة: تطلق الذريعة في اللغة ويراد بها الوسيلة التي يتوسل بها إلى الشيء، قال صاحب مختار الصحاح: «والذريعة الوسيلة، وقد تذرَّع فلان بذريعة، أي توسل بوسيلة والجمع الذرائع» .

وأما في الاصطلاح : فهي كما عرفها الشوكاني؛ المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور[1] .

وقد أكثر علماء الأصول الكلام حول هذه القاعدة، وخلاصة ما حرروه فيها:

* أن تكون المفسدةُ محققةً وراجحةً وغالبةً على المصلحة .
* وأن لا تُساوي المفاسدُ المصالحَ ولا تقلَّ عنها .
* وأن هذه المفسدة لا يمكن درؤها إلا بتفويت المصلحة .

---

(١) [إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢ / ١٩٦) القاعدة الرابعة] .

وأما إن كان هناك وسائل وسبل لدرء المفسدة مع إبقاء المصلحة فهو غاية ما يُطلب، وإعمالها أولىٰ من أحدهما .

فوجود بعض المخالفين لقواعد الشرع فيما فيه طاعة وقربة لله تعالىٰ مثل، زيارة النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم أو الاحتفال بعيد مولده، أو زيارة المعالم الأثرية والدِّينية في الحرمين وغيرها، فلا ينبغي أن يجرَّ الحكمَ علىٰ غير المخالفين بالتحريم حسب هذه القاعدة، بل الواجب علىٰ أولي الأمر: تعليم الجهال بالرفق، وإرشادهم إلىٰ ما هو حق بالحكمة والموعظة الحسنة، وعمل أي أسلوب ممكن لتحقيق هذه المصلحة .

قال الذهبي: فمن صلىٰ عليه واحدة صلىٰ الله عليه عشرا، ولكن من زاره صلوات الله عليه وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر أو فعل ما لا يُشرع، فهذا فعل حسناً وسيئا، فيُعلَّم برفق، والله غفور رحيم، فو الله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح وتقبيل الجدران، وكثرة البكاء، إلا وهو محبٌّ لله ولرسوله، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار، فزيارة قبره من أفضل القُرَب، وشد الرحال إلىٰ قبور الأنبياء والأولياء، لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: «لا تشدُّوا الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد »، فشدُّ الرحال إلىٰ نبينا صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم مستلزم لشد الرحل إلىٰ مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذْ لا وصول إلىٰ حجرته إلا بعد الدخول إلىٰ مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وإياكم ذلك آمين [٢] .

فالذهبي رحمه الله لَم يقل بمنع الزيارة سداً لذريعة السجود للقبر أو الطواف به، بل قال: إن مثل هؤلاء جهال ينبغي تعليمهم برفق، ولا نمنعهم من الزيارة لأنهم محبون للنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم وعلامة ذلك: اضطرابهم وبكاؤهم في حضرته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم فإذا تقرر هذا فلا ينبغي أن تُهدم الآثار النبوية، والمعالم التاريخية في الحرمين الشريفين، سداً لذريعة الشِّرك كما فعلته هذه الحركة، بل الواجب

---

(٢) [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٤٨٤)] .

أن تبقى على حالها مع المحافظة عليها، وإن وقعت مخالفات شرعية عندها وجب تعليم الجاهل برفق، وتبقى المعالم الدِّينية والآثار النبوية والتاريخية كما هي محافظة على تاريخنا وحضارتنا العريقة .

المْقدِّمةُ الـثَّانِـية

ألفَاظُ الحدِيثِ عِنْدَ المحدِّثِين

أُورد ألفاظ الحديث بدون ذكر السند، وذلك لشهرة الحديث، وعدم القول بضعفه حيث أنه مخرج في الصحيحين، وغيرهما بأسانيد صحيحة:

(أولاً) لفظُ الإمَامِ البُخَاري :

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يمننا: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يمننا قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» . [صحيح البخاري (٢/ ٣٣، رقم:١٠٣٧)،، كتاب الفتن، باب قول النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم الفتنة قبل المشرق] .

* قَامَ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم خَطِيباً فَأَشَارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ فَقَال: «هُنَا الْفِتْنَةُ ثلاثا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» . [صحيح البخاري (٤/ ٨٢، رقم:٣١٠٤)، باب ما جاء في بيوت أزواج النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم] .

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم يشير بيده إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ: «ها إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا، إن الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» .

[صحيح البخاري (٤/ ١٢٣، رقم:٣٢٧٩)، باب ما جاء في صفة إبليس وجنوده] .

* عن عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ وَهُوَ عَلَى المْنْبَرِ: «أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» .

[صحيح البخاري (٤/ ١٨١، رقم:٣٥١١)]، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل، ورواه بروايات أيضا في كتاب الفتن، وقدوم الأشعريين] .

(ثانياً) لَفْظُ الإمَامِ مُسْلِمٍ :

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ أنه سَمِعَ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ المشْرِقِ يَقُول: «أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» .

[صحيح مسلم (٤/ ٢٢٢٨، رقم:(٢٩٠٥)، كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق] .

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم قَامَ عِنْدَ بَابِ حَفْصَةَ فَقَالَ بِيَدِهِ نَحْوَ المشْرِق: «الْفِتْنَةُ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وقَالَ عُبَيْدُ اللهَّ بْنُ سَعِيدٍ فِي رِوَايَتِه: قَامَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم عِنْدَ بَابِ عَائِشَة وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ المشْرِقِ: «هَا إن الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» .

وبلفظ آخر قال: خَرَجَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَال: «رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان يَعْنِي المشْرِق» .

[صحيح مسلم كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق] .

(ثالثاً) لَفْظُ الحافِظِ الطَّبرانيِّ :

* عن ابن عمر أن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم قال : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» فَقَالَ رَجُلٌ: وَفِي مَشْرِقِنَا، يا رَسُولَ الله فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» . فَقَالَ الرَّجُلُ: وَفِي مَشْرِقِنَا، يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ويَمَنِنَا، إِنَّ مِنْ هُنَالِكَ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان، وَبِهِ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْكُفْرِ، وَبِهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ» .

[المعجم الأوسط (٢/ ٢٤٩، رقم:١٨٨٩)]. قال الحافظ: لم يرو هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عطاء إلا سعيد بن أبي أيوب تفرد به بن وهب .

* عن أبي مسعود قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم وأشار بيده نحو اليمن فقال: «إن الإيمان ها هنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدَّادين عند مطلع الشمس، حيث يطلع قرن الشَّيطان، عند أصول أذناب الإبل في ربيعة ومضر» .

[المعجم الأوسط (٢/ ٣٤٠)]، وقال: لم يرو هذه الأحاديث عن خلاد الصفار إلا عامر بن مدرك، المعجم .

* عن عائشة أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم استقبل مطلع الشمس فقال: «من ها هنا يطلع قرن الشَّيطان، ومن ها هنا الزلازل والفتن والفدّادون وغلظ القلوب» .

[المعجم الأوسط (٨/ ٧٤)]، وقال: لم يروه عن علي بن زيد إلا حماد .

* عن أبي مسعود قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم وأشار بيده نحو اليمن فقال: «إن الإيمان ها هنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدّادين، عند مطلع الشمس حيث يطلع قرن الشَّيطان، عند أصول أذناب الإبل في ربيعة ومضر».

[المعجم الكبير (١٧ / ٢٠٩)] .

(رابعاً) لَفْظُ ابْنِ حِبَّانٍ :

* عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم يشير نحو المشرق ويقول: «ها، إن الفتنة هاهنا، إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشَّيطان» .

[صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٤، رقم:٦٦٤٨)] .

عن ابن عمر أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هنالك الزلازل والفتن وبها أو قال: منها يخرج قرن الشَّيطان»

[صحيح ابن حبان (١٦/ ٢٩٠، رقم:٧٣٠١)]، باب ذكر دعاء المصطفى صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالبركة للشام واليمن .

* عن ابن عمر أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «اللهم بارك لنـا في شـامنا اللهـم بـارك لنـا في يـمننا، قالوا: وفي نجدنا قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يـمننا قـالوا: وفي نجـدنا قـال: هنالك الزلازل والفتن وبها أو قال: منها يخرج قرن الشَّيطان» .

[صحيح ابن حبان (١٦ / ٢٩٠)] .

* وعن ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يشير نحو المشرق ويقول : «إن الفتنـة هـا هنا، إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشَّيطان» .   قال أبو حاتم رضي الله عنه : مشرق المدينة : هـو البحرين ومسيلمة منها وخروجه كان أول حادث حدث في الإسلام .

(خامِساً) لَفْظُ التِّرْمِذِيّ :

عن ابن عمر : أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «اللهم بارك لنا في شـأمنا، اللهـم بـارك لنـا في يـمننا» قالوا: وفي نجدنا قال: «اللهم بارك لنا في شأمنا وبـارك لنـا في يمننـا»، قـالوا: وفي نجـدنا قـال: «هناك الزلازل والفتن، وبها أو قال: منها يخرج قرن الشَّيطان» .

[سنن التِّرْمِذِيّ (٥ / ٧٣٣)] قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون .

(سَادِسَاً) لَفْظُ الإِمَامِ احْمَدٍ :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَن رَسُولَ اللهَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قَالَ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وَيمننا» مَـرَّتَيْنِ فَقَـالَ رَجُلٌ، وَفِىٰ مَشْرِقِنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم «مِنْ هُنَالِكَ يَطْلُعُ قَـرْنُ الشَّـيطان وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّر» .

[مسند أحمد (١٢ / ٣٠٣) من مسند عبد الله بن عمر].

من هذه الروايات التي أوردنا لمَ نجد لفظ العراق، وأن الروايات الصحيحة اجتمعت علىٰ ذكـر نجـد دون العراق، وبناء علىٰ هذا فإن ما جاء منها مشيرا الىٰ العراق إمـا شـاذ، معـارض لمجمـوع الأحاديـث

الصحيحة الكثيرة في هذا الباب، وإما ينبغي تأويله ليوافق الروايات الصحيحة، والشاذ كما نص عليه الحفاظ من أقسام الضعيف، والدليل إذا داخله الاحتمال بطل به الاستدلال كما قرر ذلك العلماء، وسأتعرض لهذه المسالة عند رد شبهة «أنَّ نجداً هي العراق» إن شاء الله .

الفَصْلُ الأَوَّلُ
نَجْدٌ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَقْوَالِ العُلَمَاءِ

الباب الأول : نجد والعراق في اللغة والاصطلاح .

الباب الثاني : نجد في السنة المطهرة .

الباب الثالث : نجد في اصطلاح الجغرافيين .

الباب الرابع : نجد في شعر الشعراء .

الباب الخامس : نجد في عرف أهل الاختصاص .

البَابُ الأَوَّلُ
نَجْدٌ وَالعِرَاقُ في اللغَةِ وَالاصْطِلاحِ

سأعرض معنى نجد عند اللغويين والشعراء، والجغرافيين، وأهل الاختصاص، وعند أهل تلك المنطقة، لأدلل من خلال ذلك على أن نجداً المقصودة في الحديث هي منطقة واحدة لا غيرها، وهي منطقة نجد الواقعة في الجزء الشرقي من جزيرة العرب، وإن اشترك معها غيرها في المعنى، لكن اسم الشهرة يبقى الأصل في ذلك .

من المعلوم أن الألفاظ الواردة في الأسماء قد تُطلَق على معناها اللغوي، وقد تُطلَق على معناها الاصطلاحي، وقد يكون المعنى اللغوي سبباً في التسمية، ثم يشتهر المكان بذلك، ونجد الجزيرة لها من هذا نصيب، فلها معنى لغوي ومعنى اصطلاحي، وبها عرفت على مرِّ الزمن، ومثل ذلك العراق .

نجدٌ في اللغة :

قال في [لسان العرب (٣/ ٤١٣)] :

نجد: النجد من الأرض قفافها وصلابتها، وما غلظ منها وأشرف وارتفع واستوى، والجمع أنجد، وأنجاد ونجاد، ونجود، ولا يكون النجاد إلا قفا أو صلابة من الأرض، في ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه، ويقال: أُعلُ هاتيك النجاد، وهذاك النجاد، قال الشاعر:

رَمَينَ بالطَّرْفِ النِّجادَ الأبعدَا

وليس بالشديد الارتفاع، والغور هو تهامة، وما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق، فهو نجد، فهي ترعى بنجد وتشرب بتهامة، ومنه قولهم: طلاع أنجد، أي ضابط للأمور غالب لها، قال حميد بن أبي شحاذ الضبي وقيل هو لخالد بن علقمة الدارمي:

فَقَدْ يَقْصُرُ القُلُّ الفَتى دونَ هَمِّه وَقَدْ كانَ، لَوْلا القُلُّ، طَلَّاعَ أَنجُدِ

يقول: قد يقصر الفقر عن سجيته من السخاء، فلا يجد ما يسخو به، ولولا فقره لسما وارتفع، وكذلك طلاع نجاد، وطلاع النجاد، وطلاع أنجدة، جمع نجاد الذي هو جمع نجد .

والأنجد: جمع النجد، وهو الطريق في الجبل. والنجد: ما خالف الغور، والجمع نجود. ونجد: من بلاد العرب ما كان فوق العالية، والعالية ما كان فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة، فما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد .

قال الأصمعي : سمعت الأعراب يقولون: إذا خلفت عجلزا مصعدا، وعجلز فوق القريتين، فقد أنجدت، فإذا أنجدت عن ثنايا ذات عرق، فقد أتهمت، فإذا عرضت لك الحرار بنجد، قيل: ذلك الحجاز .

وروي عن ابن السكيت قال: ما ارتفع من بطن الرمة، والرمة واد معلوم، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق .

قال ابن الأعرابي: نجد ما بين العذيب إلى ذات عرق، وإلى اليمامة، وإلى اليمن وإلى جبل طيء، ومن المربد إلى وجرة، وذات عرق أول تهامة إلى البحر . وجدة والمدينة: لا تهامية ولا نجدية، وإنها حجاز فوق الغور ودون نجد، وإنها جلس لارتفاعها عن الغور .

قال الباهلي: كل ما وراء الخندق على سواد العراق، فهو نجد، والغور كل ما انحدر سيله مغربيا، وما أسفل منها مشرقيا فهو نجد، وتهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة، وما وراء ذلك من المغرب فهو غور، وما وراء ذلك من مهب الجنوب فهو السراة إلى تخوم اليمن .

وروي عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه جاءه رجل وبكفه وضح، فقال له النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : «انظر بطن واد لا منجد ولا متهم، فتمعك فيه»، ففعل فلم يزد شيئا حتى مات قوله: لا منجد ولا متهم، لَمْ يُرد أنه ليس من نجد ولا من تهامة، ولكنه أراد حدّاً بينهما، فليس ذلك الموضع من نجد كله، ولا من تهامة كله، ولكنه تهام منجد .

قال ابن الأثير: أراد موضعاً ذا حد من نجد، وحد من تهامة، فليس كله من هذه ولا من هذه .

العِرَاقُ في اللغَة :

الجميع متفق على أن نجداً هو ما ارتفع من الأرض لغة، حتى من حاول صرف معنى نجد إلى العراق، وبالتالي وجب علينا أن نفرق بين العراق ونجد من حيث اللغة، كما اختلفت من حيث الاصطلاح، فالكل مجمع على أن العراق غير نجد اصطلاحا .

جاء في [تهذيب اللغة (١/ ١٤٩)] قال أبو عمرو: العراق مياه بني سعد بن مالك، وبني مازن بن عمرو بن تميم، ويقال: هذه إبل عراقية، قال: وسُمِّيت العراق عراقاً لقربها من البحر، قال: وأهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقا، ويقال أعرق الرجل فهو معرق، إذا أخذ في بلد العراق .

وقال إبراهيم الحربي : العراق شاطئ البحر أو النهر، فقيل العراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات حتى يتصل البحر، وهو اسم للموضع .

وقال الليث: العراق شاطئ البحر على طوله، وقيل لبلد العراق عراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات عداء حتى يتصل بالبحر .

وقال أبو زيد: استعرقت الإبل، إذا رعت قرب البحر، وكل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق .

وفي [تهذيب اللغة أيضاً (٢/ ٧)] قال عمارة: الإصعاد إلى نجد والحجاز واليمن، والانحدار إلى العراق والشام وعمَّان .

وفي [الصحاح تاج اللغة (٢/ ٦٤٦)]: وسمي قرى العراق سوادا: لكثرة شجرها .

ظهر من هذا أن العراق مغاير لنجد لغة، كما أنه مغاير له اصطلاحا، فالنجد هو ما ارتفع من الأرض، وأما العراق فهو ما انحدر منها وكان بجانب البحر، فالإصعاد إلى نجد والحجاز واليمن، والانحدار إلى العراق والشام وعمَّان، فالمعنيان (الإصعاد والانحدار) متعاكسان، فلا يمكن أن يتحد المعنى اللغوي للعراق ونجد أبدا، وسُمي العراق سواداً لكثرة شجره، وهذا غير موجود في نجد، اللهم إلا مناطق قليلة هنا وهناك .

فمن حاول صرف معنى حديث: نجد قرن الشَّيطان إلى نجد العراق فقد جانب الصواب لغة واصطلاحا، فالعراق ليست نجداً لا من حيث اللغة ولا من حيث الاصطلاح .

نجدٌ في الاصْطلاح:

حتى نعرف معنى نجد في الاصطلاح كان لا بد وأن نسلط الضوء على بعض ألفاظ الحديث، ونفسرها تفسيراً يصدق مع الواقع، لنتعرف من خلال ذلك على المعنى المقصود من لفظ الحديث الشريف، لأن المصطلحات التي ترد في النصوص الشرعية لا بد من تبيين معناها الاصطلاحي الذي قصده الشارع، فالصَّلاة مثلاً هي، مطلق الدعاء في المعنى اللغوي، لكن يتحدد معناها الاصطلاحي بالنصوص الشرعية، فمعنى الصَّلاة في النص الفقهي، أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة، لذا اختلف المعنيان الواردان في الصَّلاة، ومثل ذلك الحج فهو القصد لغة، لكنه بالمعنى الاصطلاحي: قصد البيت للنسك في أيام مخصوصة، فقول النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن نجد لا يُقصد بها المعنى اللغوي، وإنما يقصد بها المعنى الاصطلاحي .

لذا من هذا الوجه وجب علينا تحديد نجد في الاصطلاح حتىٰ نعرف قصد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في إيراده كلمة: «نجد» في هذه الأحاديث فمن هذه الألفاظ التي وردت :

* ما جاء عن ابن عمر قال: رأيت النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يشير إلىٰ المشرق ويقول: «ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشَّيطان» .

(أولاً) لفظ الحديث يشير إلىٰ المشرق، يعني أن المقصود بكلمة المشرق هي جهة الشرق عند أهل المدينة المنورة، لأن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عندما قال الحديث، كان عند حجرة السيدة عائشة وحجرتها في مسجده صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

(ثانياً) رواية الطَّبرانيّ قال: «الإيمان هاهنا» وأشار بيده إلىٰ اليمن، «والجفاء وغلظ القلوب في الفدّادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشَّيطان في ربيعة ومضر» .

فلفظ: «ربيعة ومضر» يُحدِّد موقع نجد التي جاءت في الحديث، فنقول لِمن اعتبر نجداً في الحديث أنه نجد العراق: إنه جاء في لفظ الحديث أن النجد المقصود في المصطلح النبوي هو ما كان يسكن فيه قبيلتا ربيعة ومضر من أرض الجزيرة لا غيرها، لأن قبيلتي ربيعة ومضر سكنتا أكثر من منطقة، فكانوا يسكنون تهامة، ونجد، والعراق، والأردن، ومصر، والذي يخصص ذلك كله هو لفظ المشرق الوارد في الحديث، وبهذا يخرج من كان في تهامة لأنهم ليسوا جهة مشرق المدينة، بل هم جنوبها، وكذلك يخرج من كان يسكن في العراق والأردن لأنهما يقعان شمال المدينة، ويخرج كذلك من كان يسكن مصر لأنها غرب المدينة، قال ياقوت:

وقال أبو المنذر هشام بن محمد في كتابه في افتراق العرب: ودخلت قبائل ربيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز، وأطراف تهامة وما والاها من البلاد، وهي بلاد معروفة من جزيرة العرب، مما يلي العراق [٣] ،

---

(٣) في معجم البلدان (١/ ١١٣) .

أي المنطقة الشرقية منها، كانت تسكنها قبائل عربية مثل بني تميم، وطي، وفزارة، وغطفان، ومساكنهم امتدت في المنطقة الشرقية للجزيرة العربية من الرياض إلى المنطقة الشرقية من جهة البحرين وعُمان والكويت .

وقد جاء ذكر نجد في الحديث النبوي، وفي شعر الشعراء، ذكر فيها معالم مكانية حددت لنا تلك المنطقة، فعلى سبيل المثال: كان قيس بن الملوح العامري الذي يُدعى مجنون ليلى يسكن نجدا، وابنة عمه ليلى كذلك، وكان يزور أطلالها بعد أن انتقلت إلى بيت الزوجية، ومن هذه الأطلال جبل التوباد، ويقع على بعد (٣٥٠) كم جنوب مدينة الرياض .

وكذلك جاءت أحداث في السيرة النبوية، مثل : «القُرَّاء السبعون» الذين قُتلوا في بئر معونة غدرا، غدرت بهم قبائل غطفان، وهم من القبائل النَّجْديّة التي كانت تسكن شرق المدينة المنورة، وغزوة ذات الرقاع التي شرعت فيها صلاة الخوف، كانت لتأديب تلك القبائل الغادرة، وهي شرق المدينة المنورة حاليا .

فنجد هو المرتفع من الأرض، والغور هو ما انخفض منها، ولكن ليس كل ما ارتفع من الأرض يسمى نجدا، ولا كل ما انخفض منها يسمى غورا، فالمعتبر في ذلك العرف الذي اصطلح عليه الناس، فصار معروفاً عندهم بالضرورة، كما أن الحجاز هو الفاصل الطبيعي بين منطقتين، وتشترك كثير من المناطق في هذا الوصف، لكن لا يطلق اسم الحجاز إلا على منطقة واحدة في العالَم، وهي الجزء الغربي من منطقة جزيرة العرب .

فالاصطلاح واقع عند الأمم كلها عربها وعجمها على أن منطقة نجد هي: أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية التاريخية، وأكبرها مساحة، وهي هضبة ترتفع ما بين (٧٠٠) إلى (١٥٠٠) متر فوق سطح البحر، وتقع في وسط وشرق شبه الجزيرة، تمتد من مشرق المدينة المنورة إلى ساحل البحر من الشرق إلى حدود عُمان جنوباً، وإلى الكويت شمالا، كانت موطناً تاريخياً لمملكة كندة، وبني حنيفة، وبني أسد،

وبنــي تمــيم، وغطفــان ، ومملكــة تنــوخ، وطيــئ وتشــكل الآن: منطقــة الريــاض، والقصــيم، وحائل، والجوف .

العِراقُ في الاْصطِلاحِ :

العراق: هو البلاد التي تسمى بلاد الرافدين «دجلة والفرات»، وكانت تسمى بالآرامية: «بيث نهرين»، تعاقبت عليه حضارات قديمة، وامتدت حدود هذه الحضارة إلى سوريا وفارس، وإلى منطقة جنوب شرق الأناضول «تركيا»، وتعاقب على حكم العراق دول وحضارات كثيرة من أهمها : السومرية، والبابلية، والكلدانية، والآشورية، والميديون، والسلوقيون، والإمبراطورية، والإمبراطورية الرومانية، والساسانيون، والمناذرة والدولة العباسية ، والمغول، والدولة الصفوية، والدولة العثمانية وغيرها .

والعراق منطقة ذات تضاريس متنوعة، فيها الجبال الشاهقة، والأودية السحيقة في شماله، والسهل الرسوبي الخصب فيما بين نهريه، والصحراء القاحلة في غربيه الممتدة إلى بادية الشام، كما يحتوي على نهرين عظيمين هما: دجلة والفرات، ضفافهما نشأت أولى الحضارات فيه، ووجود الأهوار الطبيعية في جنوبه، والتي تعد بيئة لحيوانات لا توجد في مكان آخر في العالَم، ومن أشهرها: هور الحويزة، وهور الحمار، وتوجد البحيرات الصناعية كبحيرة الثرثار والرزازة وغيرها، والبحيرات الطبيعية كبحيرة ساوة في صحراء بادية السماوة في محافظة المثنى .

وجغرافية المكان من حيث الارتفاع عن سطح البحر ليست مرتفعة كما هو الحال في نجد، فالبصرة مثلا على مستوى سطح البحر، وهي في جنوب العراق، وترتفع بغداد (٣٤) متراً عن سطح البحر فقط، وهي في وسطه، وترتفع الأنبار (٧٦) مترا عن سطح البحر وهي في غربيه، وترتفع الموصل (٢٢٠) مترا

عن مستوىٰ سطح البحر، وهي في شماليه، ومعلوم أن الموصل هي أعلىٰ منطقة في العراق عن مستوىٰ سطح البحر .

بعد هذا العرض الموجز عن العراق تبين لنا اختلاف المنطقتين: «نجد والعراق» عن بعضهما من حيث اللغة، ومن حيث الاصطلاح، وأهم شيء في الاختلاف: أنه لا يمكن أن نطلق اسم «نجد» علىٰ أي منطقة من مناطق العراق، لكونها سهول علىٰ مستوىٰ سطح البحر، ليس فيها نجد البتة، فالنجد هو: ما ارتفع عن سطح البحر، والعراق ليس فيه ارتفاع كما هو الحال في نجد، وبالتالي يتهافت قول من حاول صرف معنىٰ نجد الجزيرة إلىٰ نجد العراق، لعدم وجود نجد فيه، وهو كمن نسب البحر إلىٰ الصحراء .

البَابُ الثَّانِي
نَجْدٌ في السُّنَّةَ المطَهَّرَةَ

نستطيع الاستدلال على تعيين منطقة نجد من خلال أحداث السنة المطهرة، زيادة على ما أوردناه في الباب الأول، عند الكلام على المعنى اللغوي الاصطلاحي، لنجد والعراق، وبالتالي تقطع هذه الروايات كل شغب يحاول صرف معنى نجد من الجزيرة إلى العراق :

الدَّليلُ الأَوَّلُ :

جاء في صحيح البخاري [4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة .

(الشَّاهد الأول) قوله: «خيل قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة» وبنو حنيفة قبيلة من بكر بن وائل، قبيلة عربية قديمة سكنت إقليم اليمامة، ويسمى اليوم بالتقسيمات الإدارية «الرياض»، تنتمي حنيفه لآل ربيعه إحدى أكبر القبائل العربية، التي ورد ذكرها في حديث قرن الشَّيطان، فالرياض هي قصبة نجد .

(الشَّاهد الثاني): أن ثمامة بن أثال هو سيد أهل اليمامة، واليمامة من نجد، حيث كانت جهة الخيل التي بعثها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، واليمامة اليوم إحدى مدن محافظة الخرج، وتقع جنوب شرق الرياض .

---

(٤) (١٢٣:٣، برقم: ٢٤٢٢) .

الدَّليلُ الثَّاني :

غزوة ذات الرقاع وقعت في السنة الرابعة للهجره، وسببها غدر بعض قبائل نجد بالمسلمين، حيث قتلوا الدعاة السبعين ، الذين خرجوا يدعون إلى الله تعالى، وسميت ذات الرقاع: لأن المسلمين كانوا يلفون أرجلهم بالخِرق، حيث نقبت من شدة المشي، وهي غزوة تأديبية لقبيلتي؛ بني محارب، وبني ثعلبة من قبائل غطفان، وعسكر رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مكان يسمى نخل، ولكنه لَم يقع قتال، لأن الله قذف في قلوبهم الرعب، فهربوا بعيداً عن المسلمين .

(الشاهد): أن الغزوة كانت في ديار نجد، لتأديب القبائل الغادرة، وديار هذه القبائل وموطنها بالنسبة لوقتنا الحاضر يمتد من الرياض، إلى قريب من المدينة المنورة من جهة الشرق، وبها الآن قبيلة مطير، التي ترجع أصولها إلى قبائل غطفان، فسكنُ الأحفادِ يدلُّنا على سكن الأجداد .

الدَّليلُ الثَّالثُ :

ما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بعث علي رضي الله عنه، إلى النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بذهيبة، فقسمها بين الأربعة؛ الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، وعلقمة بن علاثة العامري، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا ... [٥] الحديث .

(الشَّاهد): أن هؤلاء الأربعة كانوا سادة أقوامهم، وكانوا يسكنون نجدا، فالأقرع بن حابس سيد بني حنظلة من تميم، وكانت تسكن مدينة الحوطة التي تسمى باسمهم فيقال: «حوطة بني تميم»، وهي الآن محافظة تقع جنوب منطقة الرياض بـ (١٦٠) كم .

---

(٥) [صحيح البخاري (٤: ١٣٧، برقم: ٣٣٤٤)].

وقبيلة فزارة كانت تسكن في المنطقة الشمالية الشرقية من «الرياض» اليوم، ومن فروعها قبيلة مطـير، وهي مشهورة اليوم في تلك المنطقة .

وأما قبيلة طيء: فهي قبيلة عربية عريقة، من فروعها اليوم قبيلة شَمَّر، ومساكنهم في «حائل» النَّجْديّة

وأما بنو عامر: فلها فروع كثيرة، منها الهلاليون، وبنو كعب، وبنو نُمير، ومساكنهم تمتد من الريـاض إلى البحرين وعُمان .

الدَّليلُ الرَّابعُ :

جاء في مسند الشافعي عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصابت الناسَ سنةٌ شديدةٌ على عهـد رسـول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فمر بهم يهودي فقال: أما والله لو شاء صاحبكم لَـمُطرتم ما شـئتم، ولكنـه لا يحب ذلـك، فأُخبر النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بقول اليهودي فقال: «أَوَقَدْ قال ذلك؟» قـالوا: نعـم قـال: «إني لأستنصر بالسَّنةِ على أهل نجد، وإني لأرى السحاب خارجة من العنان فأكرهها، موعدكم يوم كذا أستسقي لكم». قال: فلما كان ذلك اليوم غدا الناس، فما تفرق النـاس حتـى أُمْطـروا ومـا شـاءوا، فـما أقلعت السماء جمعة .

(الشَّاهد): أن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمْ يكن يدع لأهل نجد بالبركة حتى يكون ذلك عونـاً لـه عـلى إسلامهم فلما دعا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لهم، خرجت سحابة من منطقة في نجد تـدعى «العَنـان»، وهـي محل الشاهد، أي بتحديد موقع هذه المنطقة نستدل على نجد منها .

(العنان): الآن مركز مديرية «برط العنـان» بمحافظـة الجـوف، بلـغ تعـداد سـكانها (٦٩٤٧) نسـمة حسب الإحصـاء الـذي أجـري عـام (٢٠٠٤)م، ومنطقـة الجـوف هـي إحـدى المنـاطق الإداريـة في نجد، ومقر إمارتها مدينة سكاكا .

الدَّليلُ الخامِسُ :

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «مهلُّ أهل المدينة من «ذي الحليفة»، والطريق الآخر «الجحفة»، ومهلُّ أهل العراق من «ذات عرق»، ومهلُّ أهل نجد من «قرن»، ويقال: «قرن المنازل» ومهلُّ أهل اليمن من يلملم» .

وفي سنن النسائي [٦] عن عائشة قالت: وقَّت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لأهل المدينة: «ذا الحليفة»، ولأهل الشام ومصر: «الجحفة»، ولأهل العراق: «ذات عرق»، ولأهل نجد: «قرناً»، ولأهل اليمن «يلملم» .

(الشاهد): اختلاف الميقات المكاني الذي يحرم منه الحاج والمعتمر القادم من منطقتي نجد والعراق، فالحاج القادم من نجد يحرم من منطقة «قرن المنازل»، وتبعد عن مكة (٧٨) كم شرقاً، وأما الحاج القادم من العراق فيحرم من منطقة «ذات عرق»، وتقع على طريق الحاج من البصرة في العراق، إلى مكة المكرمة، ويعد هذا الطريق الثاني في الأهمية، حيث ينطلق من مدينة البصرة ماراً بشمال شرق الجزيرة العربية، عبر وادي الباطن مخترقاً منطقة صحراوية أصعبها صحراء الدهناء، ثم يمر بمنطقة القصيم.

فلو كانت نجد في العراق لكان ميقاتهما واحدا، ولكن لما فرّق بينهما رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم علمنا أن نجداً غير العراق .

الدَّليلُ السَّادِسُ :

روى ابن إسحاق في سيرته (ص: ٣١٢)، وغيره من أصحاب السير عند كلامهم على غزوة «ذي أمر» إلى نجد سنة ثلاث : «فلما رجع رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من غزوة السويق، أقام بالمدينة ذا الحجة

(٦) [سنن النسائي (١٢٣:٥)].

والمحرم، أو قريباً منه، ثم غزا نجداً يريد بني غطفان، وهي غزوة «ذي أمرَّ»، فأقام بنجدٍ صفَراً كلَّـه، أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلىٰ المدينة ولَمْ يلق كيداً» .

(الشَّاهد الأول) قوله: «غزا نجدا يريد بني غطفان»، وعطفان إحدىٰ قبائل جزيرة العـرب، ومسـاكنهم تمتد من شرق المدينة بحوالي (١٠٠) كم، وحتىٰ منطقة الرياض .

(الشَّاهد الثاني): أجمع علماء السير والتاريخ علىٰ أن غزوات النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كلها كانت داخل جزيرة العرب، ولَمْ يذكر لنا ولو مصدر واحد أنه دخل العراق، فلو كانت نجد المقصـودة هـي العـراق لذكر ذلك أصحاب السيرة والتاريخ .

الدَّليلُ السَّابعُ:

ذكر أصحاب الحديث والسِّيَر أن ميرة قريش كانت من نجد، فكانت سـهول نجـد خصـبة، وكـانوا يزرعونها بالحنطة «القمح»، وكانت قريش تعتمد في اقتصادها علىٰ ما يستوردونه مـن قمـح نجـد، فلـما أسلم ثمامة بن أثال ذهب معتمرا، فعلمت قريش بإسلامه وأرادوا قتله، فهددهم بقطع الميرة عنهم .

ذكر ابن زنجويه [٧] وغيره في قصة إسلام ثمامة بن أثال، وكان سيد اليمامة قال: وأنا أريد العمرة، فـماذا ترىٰ؟ فبشره رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: صبوت، قـال: لا، ولكني أسلمت مع محمد رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حتـىٰ يـأذن رسول الله فيها .

و«اليمامة» إحدىٰ مدن نجد الكبيرة، تبعد عن الرياض (١٦٠) كم، فكان من المسلّم به عند أبناء الجزيرة كافة، أن نجداً هي الإقليم الشرقي لجزيرة العرب، وكانت مشـهورة بهـذا الاسـم، فهـي نجـد بـالمعنىٰ اللغوي والمعنىٰ الاصطلاحي، لا يختلف في ذلك اثنان .

---

(٧) في [كتاب الأموال (١/ ٣٠١)].

البَابُ الثَّالِثُ
نَجْدٌ فِي شِعْرِ الشُّعَرَاءِ

وأقصد من هذا الباب: تبيين منطقة نجد عند شرائح العرب كافة، اللغويين منهم والشعراء، والصحابة والمحدثين، والمؤرخين والجغرافيين، وعند سكان نجد أنفسهم، حتىٰ أثبت للقارئ انعقاد الإجماع علىٰ أن المقصود من نجد في الحديث الشريف هي نجد الجزيرة وليس العراق .

قال قيس بني عامر يحن شوقا إلىٰ ليلىٰ :

أحنُّ إذا رأيت جِمالَ قومي ... وأبكي إن سمعتُ لها حنينا

سقىٰ الغيثُ المجيدُ بلادَ قومي ... وإن خلتِ الديارُ وإن بَلينا

علىٰ نَجد وساكن أرض نَجد ... تَحياتٌ يَرُحن ويغتدينا

ومعلوم أن قيس بني عامر كان يسكن نجد اليمامة، وابنة عمه ليلىٰ كانت هناك، وبالتحديد في منطقة «التوباد»، وهي منطقة تقع علىٰ بعد (٣٥٠) كم جنوب غرب الرياض، وقد مرَّ عليه قيس بن الملوح بعد زواج محبوبته من وردي الثقفي فقال فيه هذه الأبيات :

وأجهشتُ للتُّوباد حين رأيتُه ... وكبَّرَ للرحْمن حين رآني

وأذريتُ دمعَ العين لَـما رأيته ... ونادىٰ بأعلىٰ صوته ودعاني

فقلتُ له أين الذين عهدتهم ... حواليك في خصب وطيب زمان

قال صفي الدِّين الحلّي :

فلما ترامتْ عن زَرود ورملِهـــا ولاحتْ لهـــا أعلامُ نَجدٍ وقُورُها

وصدّتْ يَميناً عن شميط وجاوزتْ رُبَىٰ قطنٍ والشهبُ قد شفّ نورُها

وعــاجَ بـها عن رملِ عـاجٍ دليلُهـا فـقامتْ لعرفـانِ المرادِ صدورُهـا

و«زَرود» منطقة جبلية شرق حائل، وهذه الأماكن التي ورد ذكرها فيه الأبيات هي في نجد وجوانبها، ومعلوم أن ليلىٰ العامرية وعشيرتها بني عامر، هم من سكان منطقة نجد الجزيرة، وكذلك جبل نعمان، وثنيَّات اللوي، وغيرها من الأماكن الوارد ذكرها في الأبيات..

وأورد تالياً قصيدة الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مؤلف كتاب: سبل السَّلام، يمتدح فيها محمد بن عبد الوهاب، عندما بلغه أنه ثار علىٰ البدع والخرافات، وهذه القصيدة لا يمكن صرفها عن ابن عبد الوهاب، ولا عن نجد الذي عاش فيها، حيث أنها قيلت فيه، وأرسلت إليه، وبالتالي تكون هي الحجة الدامغة علىٰ من صرف معنىٰ نجد الواردة في الحديث إلىٰ العراق :

سلامــي علىٰ نجد ومن حـل في نجــد وإن كـان تسليـمي علىٰ البـعد لا يجـد

قفـي واسـألي عن عـالِمٍ حـل سوحـهـا بـه يهتدي مـن ضـل عن منهـج الرشـد

مُحـمـد الـهـــــادي لـسنـة أحـمــد فـيا حـبـذا الـهادي ويـا حـبذا الْمهـدي

لـقـد أنكـــرتْ كـلُّ الطـوائف قـولـه بـلا صـدرٍ في الحــق مـنـهم ولا وِرد

ومــــا كـان قـــول بالقـبـول مقـابـل ومـا كـــل قـول واجـب الـرد والطـرد

وقـد جـاءت الأخـبــار عـنـه بـأنــه يُـعيـد لـنـا الشرعَ الشريفَ بما يُـبـدي

ويـنشر جـهـراً مـا طوىٰ كل جـاهـل ومبــتـدع مـنـه، فـوافـق مــا عـنـدي

إلى آخر أبيات القصيدة، وترى فيها تصريحه بلفظ نجد، وأنها مركز دعوة ابن عبد الوهاب، ومدح ابن عبد الوهاب، وغالى في مدحه حتى تجاوز المدح إلى الأرض والبلاد التي ولد ونشأ فيها وهي نجد الجزيرة .

وقد تراجع الأمير الصنعاني عن قصيدته هذه، عندما بلغته حقيقة ابن عبد الوهاب من خلال الرسائل التي أرسل بها ابن عبد الوهاب للأمير الصنعاني يدعوه فيها للدخول في دعوته، فقال قصيدة مشهورة هذا مطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النَّجْديّ	فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت به خيراً وقلت: عسى عسى	نَجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي
فقد خاب فيه الظن لا خاب نصحنا	وما كل ظن للحقائق لي مهدي
وقد جاءني من تأليفه برسائل	يُكفِّر أهل الأرض على عمد
ولفّق في تكفيرهم كل حجة	تراها كبيت العنكبوت لذي النقد
تَجاري على إجراء دماء كل مسلم	مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يَحول عن العهد
وقد جاءنا عن ربنا في براءة	براءتُهم عن كل كفر وعن جحد
وإخواننا سماهم اللهُ فاستمع	لقول الإله الواحد الصمد الفرد
أبن أبن لي لِمَّ سفكت دماءهم	ولِمِ ذا نهبت المال قصداً على عمد
وقد عصموا هذا وهذا بقول لا	إله سوى اللهّ المهيمن ذي المجد
وقال ثلاث لا يَحل بغيرها	دم المسلم المعصوم في الحل والعقد
وقال عَليٌّ في الخوارج إنهم	من الكفر فَرُّوا بعد فعلهم المُرْدِي
ولِمَ يَحفر الأخدود في باب كندة	ليحرقهم فافهمه إن كنت تستهدي

ولكـــن لـقــوم قـــد أتـــوا العظـيمـــة فـقالـــوا علـــيٌّ ربنـا منـتهىٰ القـصد

وهـــذا هـو الكـفـر الصـريح ولـيـس ذا بـرفـض ولا رأىٰ الخـوارج فـي المَهـدي

وبهذا يتبين لنا أن نجدا الواردة في الحديث هي نجد الجزيرة، وأن المقصود بقرن الشَّيطان الذي يخرج منها هو من غير وبدل دين الله، وهو ابن عبد الوهاب، وأنكر عليه علماء عصره، ومنهم الأمير الصنعاني

البَابُ الرَّابعُ
نَجْدٌ في عُرْفِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ

أورد تالياً أقوالاً لعلماء من أهل تلك المنطقة، ونعتبرهم من ذوي الاختصاص، كونهم يسكنون نجدا، وهم أعلم الناس بمنطقتهم، وكما يقال: أهل مكة أدرىٰ بشعابها :

(أولاً) سُلَيْمانُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ :

وهو الأخ الشقيق لزعيم الطائفة الوهابية، قال :

(فصل) :

ومما يدل علىٰ بطلان مذهبكم: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبـيّ صـلَّىٰ اللهُ عليـه وسلَّم أنه قال : «رأس الكفر نحو المشرق»، وفي رواية «الإيمان يماني، والفتنة من هاهنا، حيث يطلع قرن الشَّيطان»، وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قـال وهـو مستقبل المشرق: «إن الفتنة هاهنا» وللبخاري عنه مرفوعاً: «اللهم بارك لنا في شامنا ويـمننا»، قالوا: وفي نجدنا قال: «اللهم بارك لنا في شامنا ويـمننا» قالوا: وفي نجدنا قال: «اللهم بارك لنا في شـامنا ويـــمننا» قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشَّيطان» .

ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعا: «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا وفي مدنا ويـمننا وشامنا»، ثم استقبل مطلع الشمس فقال: «هاهنا يطلع قرن الشَّيطان» وقال: «من هاهنا الزلازل والفتن» انتهىٰ .

أقول: «والكلام ما زال للشيخ سليمان» أشهد أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لصـادق، فصـلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، لقد أدىٰ الأمانة، وبلغ الرسالة

قال الشيخ تقي الدِّين: فالمشرق عن مدينته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم شرقاً ومنها خرج مسيلمة الكذاب، الذي ادعىٰ النبوة، وهو أول حادث حدث بعده، واتبعه خلائق، وقاتلهم خليفته أبو بكر الصِّدِّيق، وجه الدلالة من هذا الحديث من وجوه كثيرة منها:

* أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ذكر أن الإيمان يماني والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً .

* أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم دعا للحجاز وأهله مراراً، وأبىٰ أن يدعو لأهل المشرق، لِما فيهم من الفتن خصوصاً نجد .

* إن أول فتنة وقعت بعده صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وقعت بأرضنا هذه فنقول: هذه الأمور التي تجعلون المسلم بها كافراً، بل تكفّرون من لَمْ يكفِّره، ملأت مكة والمدينة واليمن من سنين متطاولة، بل وبلغنا أن ما في الأرض أكثر من هذه الأمور في اليمن والحرمين، وبلدُنا هذه هي أول من ظهر فيها الفتن، ولا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديما وحديثاً، وأنتم الآن مذهبكم أنه يجب علىٰ العامة إتباع مذهبكم، وأن من اتبعه ولَمْ يقدر علىٰ إظهاره في بلده وجب عليه الهجرة إليكم، وأنكم الطائفة المنصورة، وهذا خلاف هذا الحديث، فإن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبره الله بما هو كائن علىٰ أمته ومنهم إلىٰ يوم القيامة، وهو صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبر بما يجري عليهم ومنهم، فلو علم أن بلاد المشرق خصوصاً نجد بلاد مسيلمة أنها تصير دار الإيمان، وأن الطائفة المنصورة تكون بها، وأنها بلادنا يظهر فيها الإيمان ولا يخفىٰ في غيرها، وأن الحرمين الشريفين واليمن، بلاد كفر تُعبد فيها الأوثان، وتجب الهجرة منها لأخبر بذلك، ولدعا لأهل المشرق خصوصاً نجد، ولدعا علىٰ الحرمين واليمن، وأخبر أنهم يعبدون الأصنام وتبرأ منهم، إذ لَمْ يكن إلا ضد ذلك، فإنه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عمَّ المشرق، وخص نجداً بأنَّ يطلع منها قرن الشَّيطان، وإن منها وفيها الفتن، وامتنع من الدعاء لها، وهذا خلاف زعمكم، وأن اليوم عندكم الذين دعا لهم رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كفار، والذين أبىٰ أن يدعو لهم، وأخبر أن منها

يطلع قرن الشَّيطان، وأن منها الفتن هي بلاد إيمان تجب الهجرة إليها، وهذا بيّن واضح من الأحاديث إن شاء الله [8] . انتهى ما أردت نقله من كلام الشيخ سليمان رحمه الله .

(ثانياً) حَسَنُ بْنُ فَرْحَانَ المالِكِيِّ :

من بني مالك، يسكن مدينة الرياض، قال في كتابه الذي صنفه في محمد بن عبد الوهاب [داعية وليس نبيّاً هامش (ص: ٤٣)] : «بعضهم يتأوَّل أحاديث ذمِّ المشرق بأن المراد بذلك العراق، بل يتأوَّلون أحاديث ذمِّ نجد بأن المراد نجد العراق، وهذه التأويلات بعيدة لأسباب، وكان يمكن تأويلها بحيث لا تنزل على الصالحين من أهل نجد، كما أن مدح الشام واليمن لا تتناول الظلمة منهم، أما أسباب ضعف التأويل السابق فأهمها :

(١) إذا أطلقت نجد فلا تعني إلا نجد المعروفة وسط الجزيرة، مثلما نطلق الحجاز على الحجاز المعروف على ساحل البحر الأحمر، الذي يشمل مكة المكرمة، أما نجد لغوياً فتشمل كل ما ارتفع من الأرض، وكذا الحجاز لغوياً تشمل كل ما حجز بين بحر وجبل .

(٢) مما يدل على أن نجدا غير العراق: أن هناك ميقاتين، ميقات أهل نجد، وميقات أهل العراق .

(٣) ومن الدلائل على ضعف هذا التأويل: أن شرق المدينة هو نجد الحالية وليس العراق، ومن شاء أن يتأكد فليفتح خريطة الجزيرة العربية، ويستعين بمدار السرطان، الذي لَم يضعه الوهابية، فهو يمرُّ جنوب المدينة المنورة، وجنوب الرياض، فنجد، فإذا أشار النَّبيّ صلى الله عليه وآله بيده نحو المشرق وقال: «هناك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشَّيطان» فشرق المدينة هو وسط نجد المعروفة، وليس وسط العراق، وهذا لا يعني ذم كل نجدي، كما أن مدح المدينة لا يعني الثناء على كل مدني، وإنما العبرة بالأغلب، أو بفترة دون فترة، أو أن الذم مخصوص بظهور الردة ...الخ .

---

(٨) [الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية (ص: ٤٥)، وما بعدها].

فهذا التخريج خير من ذلك التأويل المتكلَّف، الذي ننكره على المعتزلة، والأشاعرة عندما يتكلمون في الصفات .

(٤) ظهور العلْم بالعراق دون نجد، فمعظم أهل الحديث وأئمة الفقه واللغة عراقيُّون، وهذا يؤكد أن قرن الشَّيطان خرج بوسط نجد، ولعل المراد بذلك مسيلمة الكذاب، فلماذا كل هذا الحماس في ردِّ دلالة الحديث، ألا يخشى المؤوِّلون أن يكون هذا الإصرار في الرد والتأويل من تلك الزلازل والفتن؟ ومن تزيين الشَّيطان؟! ثم سبق أن قلنا: أنَّ ذمَّ منطقة ومدح أخرى إنما هي بخصوص سبب، أو حسب الأغلب أو نحو ذلك، فلو سلَّمنا بأن نجد المذمومة هي العراق، أليس في العراق فضلاء وصالحون في الماضي والحاضر؟ ألَمْ يكن في العراق كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين ؟ فمن الصحابة بالعراق، علي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم، وبها ظهر سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، وقتادة، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل والخطيب البغدادي، ونحوهم . بينما لَمْ يطأ الصحابة والتابعون وسط نجد إلا مقاتلين لأهل الرِّدَّة ، باستثناء قلائل كثمامة بن أثال، ولَمْ يظهر بها من أهل العلم المشهورين غير يحي بن أبي كثير الطائي من شيوخ معمر وطبقته، وهو مع هذا غامض إلا عند الخاصة، ثم استمرت فترات كبيرة من الجهل، ولعل أصلح أحوالها هي تلك المرحلة التي سبقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد كان فيها عدد كبير من القضاة والعلماء، ومع ذلك فتلك الفترة ذمها الوهابية أشد الذم، وكفَّروا عامَّتها وخاصَّتها، فإذا كانت هذه حالتها فهي أولى بالحديث من العراق التي خرج منها نصف علماء الأمة، ومن شك فليعمل استبياناً بعدد العراقيين من العلماء فليجعلهم في كفة، وبقية الأمة في كفة، ولينظر النتيجة ثم ليعيد قراءة الحديث». انتهى

(ثالثاً) د . مُحَمَّدُ المسْعَرِيِّ :

قال في بحث له بعنوان: نجد السعودية هي قرن الشَّيطان : «والمدينة النبوية الشريفة المنورة تقع تقريباً على خط عرض مدار السرطان، لذلك فإن الشمس تتعامد عليها في قمة الصيف (حوالي ٢١ من يونيو) فيكون مشرق الشمس في رأي العين، هو المشرق الجغرافي، أما في حضيض الشتاء (حوالي: ٢٣ ديسمبر) فيكون مشرقها، في رأي العين هو الجنوب الشرقي الجغرافي، أي بزاوية (٤٥) درجة نحو الجنوب تقريباً .

ولكن جمهور المخاطَبين لا يتعاملون مع الخرائط الجغرافية والمساطر، لذلك نتوقع أن يطلق الإنسان العامي لفظة المشرق أيضاً على الشرق المنحرف بشمال خفيف، لذلك فإن الحزم والاحتياط يوجب السماح بالانحراف شمالاً في اتجاه الشمال الشرقي بزاوية معقولة، ولما كان الشمال الجغرافي المحض يبعد عن الشرق الجغرافي المحض بتسعين درجة، فإنه من المستبعد أن يتساهل الناس فيُدخلوا في مفهوم الشرق ما يجاوز ثلث هذه المسافة الزاوية أي نحو (٣٠) درجة تجاه الشمال، وإلا دخلنا منطقة الشمال الشرقي بلا شبهة.

وبتأمل الخريطة يتضح أن خط الجدي، الممتد من المدينة إلى الشرق بشمال خفيف (٣٠) درجة فقط، لا يمر أصلاً في العراق، وإنما يلامس جنوب الكويت ثم يستمر نحو شمال إيران، فبلاد ما وراء النهر، حتى يصل، تقريباً، إلى منتصف بلاد المغول والتتر .

فشرق المدينة النبوية الشريفة المنورة يضم معظم «نجد» أي نجد جزيرة العرب المعروفة، في المسافات المباشرة القريبة، ويضم خراسان وأفغانستان، وبلاد ما وراء النهر، وشرق الصين، وبلاد الترك ومنهم المغول والتتر في المدى البعيد، فالعراق المعروف هو قطعاً ليس إلى الشرق من المدينة، ولكن نصفه الشمالي يقع في شمال المدينة النبوية الشريفة المنورة، ونصفه الجنوبي يقع في الشمال الشرقي، هذه هي

الحقائق الحسِّيَّة القاطعة، التي لا يجوز إغفالها وتجاوزها ولا بحال من الأحوال، وبهذا يظهر لك بطلان قول الإمام الخطابي: «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة» .

ثم قال بعدها فوراً: «وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة» . انتهى كلام الإمام الخطابي .

وفقرته الأولى خطأ محض، لا يقول به إلا من لم يستطع تمييز يمينه من شماله، عياذاً بالله، أما جملته الثانية فصواب، وهي تنقض كلامه الأول، كما سيظهر قريباً إن شاء الله، كما يظهر لك بطلان قول الشيخ حكيم محمد أشرف سندهو في رسالته المعنونة: «أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشَّيطان» [٩] حيث قال: «مقصود الأحاديث أن البلاد الواقعة في جهة المشرق من المدينة المنورة، هي مبدأ الفتنة والفساد، ومركز الكفر والإلحاد، ومصدر الابتداع والضلال، فانظروا في خريطة العرب بنظر الإمعان، يظهر لكم أن الأرض الواقعة في شرق المدينة إنما هي أرض العراق فقط، موضع الكوفة والبصرة وبغداد»!!

ونحن نقول: ها هي الخريطة أمامنا، ولا تحتاج كبير نظر وإمعان للحكم على قوله بالسخف والتهافت والبطلان، فلعل الشيخ حكيم سندهو استخدم خريطة رسمها العور والعميان!

ولا صحة أيضاً لزعم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ أن العراق هو المراد بالمشرق، ونجد الذي ورد ذمُّه في الحديث فقال: «إن المراد بالمشرق ونجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق، لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق، يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث: وأشار إلى العراق» . انتهى كلام المسعري

---

(٩) وهي الرسالة التي أرد عليها في هذا الكتاب وأشرت لها في المقدمة .

(رابعاً) عُثْمَانُ بْنُ بِشْرٍ :

وهو مؤرخ الحركة الوهابية قال في تاريخه : «اعلم رحمك الله أن هذه الجزيـرة النَّجْديّـة هـي موضـع الاختلاف والفتن، ومأوىٰ الشـرور والمحن، والقتل والنهـب والعـدوان بـين أهـل القـرىٰ والبلـدان، ونخوة الجاهلية بين قبائل العربان» (١٠) .

الشاهد: هو قوله «الجزيرة النَّجْديّة» وهو لفظ صريح بأن نجدا المقصودة في الحديث هي نجد الجزيـرة، وأكد ذلك بإضافة اسم الإشارة: (هذه) فهو من منطقة الريـاض، واسـم الإشـارة يفيـد إلىٰ نجـد التـي عاصمتها الرياض وليس غيرها .

وعثمان بن بشر هو من أساطين الحركة الوهابية، ومؤرخ مخضـرم، أرَّخ لهذه الحركة بالتفصـيل ضـمن كتابه: «عنوان المجد في تاريخ نجد» وهو مجلدان مطبوع عدة طبعات .

(خامساً) اللجْنَةُ الدَّائِمَةُ للبُحُوثِ وَالإِفْتَاءِ :

جاء في [فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمـع وترتيـب احمـد بـن عبـد الـرزاق الـدويش / المجلـد الثالث/ قسم العقيدة، السؤال الثاني من الفتوىٰ (٦٦٦٧)] :

(سؤال): ما هي الفتنة التي يقول عليه الصَّلاة والسَّلام في هذا الحديث : «ألا إن الفتنـة هـا هنـا....من حيث يطلع قرن الشَّيطان» الحديث...؟

(جـواب)..... وقيل: يعني نجد مسكن ربيعة ومضر، وهي مشرق لقوله في حديث ابن عمر حين قـال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا: وفي نجدنا؟؟ قـال رسـول الله: هنالـك الزلازل والطاعون وبها يطلع قرن الشَّيطان...» .

---

(١٠) [عنوان المجد، في تاريخ نجد (٢/ ٣)] .

وفي الحديث الآخر: «اللهم اشدد وطأتك على مضـر..»، وأهـل المشـرق يومئذ من مضر....والظاهر أن الحديث يعم جميع المشرق الأدنى والأقصى والأوسط ومن ذلك فتنة مسيلمة الكذاب، وفتنـة المرتـدين من ربيعة ومضر وغيرهما في الجزيرة ...

فهذه اعترافات علماء الوهابية أنفسهم بأن نجد الواقعة شرق جزيرة العرب هي مركز خـروج الفـتن والزلازل والمحن، ومنها يطلع قرن الشَّيطان .

البَابُ الخَامِسُ
نَجْدٌ في اصْطِلاحِ الجَغْرَافِيِّينَ

قسَّم العلماء جزيرة العرب إلىٰ خمس مناطق جغرافية هي: اليمن، الحجاز، تهامة، العروض، ونَجد:

(١) **اليمن** : هو المنطقة الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة، وحدودها غرباً البحر الأحمر، وجنوباً المحيط الهندي .

(٢) **والحجاز**: هو المنطقة الواقعة في غرب وشمال غرب شبه الجزيرة العربيّة، وسمّيت بالحجاز لأنّها تحجز نجداً عن تهامة، وربّما يكون هذا الوصف لموقعها أفضل، فهو يحدّد حدودها بين تهامة ونجد، تمتدّ أرض الحجاز ما بين كلٍّ من تبوك شمالاً، والباحة جنوباً، وكان إقليم الحجاز هو أحد أهمَّ الأقاليم الإداريّة التي كانت تتبع للعصور الإسلامية المختلفة، ابتداءً من عصر النبوَّة إلىٰ عصر العثمانيين، مروراً بالخلافة الرّاشدة والعصر الأموي، والعبّاسي والفاطمي، والمملوكي، والحجاز سلسلةٌ جبليّةٌ كبيرةٌ تمتد علىٰ امتداد البحر الأحمر من جهته الغربية .

(٣) **تهامة** : فهي المنطقة الساحلية المحاذية للبحر الأحمر، من اليمن جنوباً، إلىٰ حدود الشام شمالا، وهي من أسماء مكة لكونها منها، ويطلق علىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لكونه من مكة، إحدىٰ مدن تهامة، وأشهر مدن تهامة: مكة، ينبع، والليث، والقنفذة، ومحايل عسير، وقنا، وبارق، والمخواة، وغامد، وجيزان، والحديدة، وعدن

(٤) **العَروض** : فهي المنطقة الجنوبية الشرقية، وتشكل صحراء الربع الخالي، والدهناء

(٥) **وأما نجد** : فهي المنطقة الشرقية وقصبتها اليمامة «الرياض» وتمتد إلىٰ عُمان، ثم تمتد شمالا إلىٰ الكويت، ثم غربا إلىٰ الجوف .

وهذه خريطة جغرافية تبين هذه الأقسام الخمسة :



قال الأصمعي: جَزِيرَةُ العَرَب، هي ما بين عدن أبين، إلى أطراف الشام طولا، وأما العُرض، فمن جدة وما والاها من شاطئ البحر إلى ريف العراق (11) .

وقال أبو عبيدة : هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى تهامة طولاً، أما العُرض فما بين يبرين إلى منقطع السماوة، والعالية ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة، وما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد .

وقال بعضهم: جَزِيرة العَرَب أقسام، تهامة، ونجد، وحجاز وعروض، ويمن:

فأما (تِهَامَةُ) فهي الناحية الجنوبية من الحجاز .

---

(11) [المخصص لابن سيده (3/ 310)] .

وأما (نَجْدٌ) فهي الناحية التي بين الحجاز والعراق .

وأما (الحِجَازُ) فهو جبل يقبل من اليمن حتىٰ يتصل بالشام وفيه المدينة وعَمّان، وسمي حجازاً لأنه حجز بين نجد وتهامة .

وأما (العروض) فهو من اليمامة إلىٰ البحرين، وأما اليمن فهو أعلىٰ من تهامة [12] .

قال في التهذيب: كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرىٰ علىٰ سواد العراق «أي من جهة الجزيرة، والبصرة داخلة فيها» فهو نَجْدٌ ، إلىٰ أن تميل إلىٰ الحرة، فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز .

وقال الصنعاني: كلّ ما ارتفع من تهامة إلىٰ أرض العراق فهو نَجْدٌ .

وقال الباهليُّ : كُلُّ ما وَرَاءَ الخَنْدَقِ عَلىٰ سَوادِ العِرَاقِ فَهو نَجْد والغَوْرُ : كُلُّ ما انْحَدَرَ سَيْلُه مَغْرِبيًّا، وما أَسْفَل منها مَشْرِقِيًّا فهو نَجْدٌ [13].

وهذه خريطة أخرىٰ توضح تقسيم الجزيرة :

(١٢) [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٩٩)] .

(١٣) [تاج العروس من جواهر القاموس (٩ / ٢٠٣)].



قال الشيخ محمد البسام التميمي النَّجْديّ : طول نجد شهر ونصف للمُجـدّ، وأمـا مـدائنها فأقسـام تتفرق إلىٰ ستة وهي: العارض، والقصيم، والوشم، وجبل شمر، وسدير والجنوب .

فالجنوب ينقسم قسمين: الخرج ووادي الدواسر .

أما العارض: فالدِّرعيَّـة أهـم مدنـه، وهـي مدينـة ملـك العـرب علىٰ الإطـلاق (أي السـعوديون) والرياض، ومنفوحة والعينية وحريملا .

هذه المدن التي عليها الاسم والاعتبار وله جملة قـرىٰ معتمـدة ومـنهن حوطـه بنـي تمـيم، والحريـق، والدكم، واليمامة، ووادي الدواسر .

وأما الوشم: فشقراء وشيعر، وثادق، وثرمدا، وخرما، والقصب .

وأما سدير: فخرمة والمجمعة، وجلاجل، والروضة، والعودة، والحصون، والزلفي، والقاط والداخلة وعشيرة .

وأما القصيم: فالرس، وعنيزة، وبريدة، والخبرا، والتنوما، والمذنب، والعيون، وله جملة قرى متصلة .

وأما جبل شمر: فثلاث مدائن، حائل، وقفار، وموفق وله أتباع مدن .

وأما جوف آل عمر: فمدينتين ذات نخيل وهما : دومة وسكاكا [١٤] .

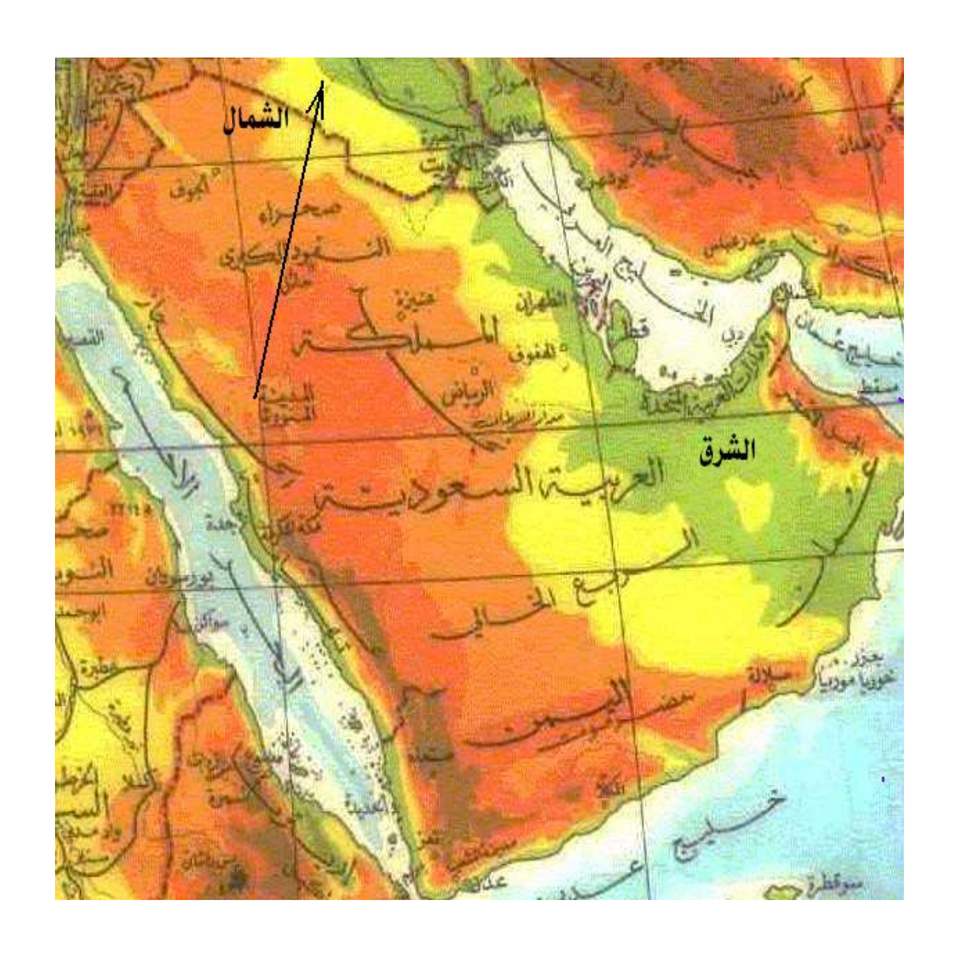
سأعرض تالياً خرائط جغرافية تبين لنا موقع نجد من الجزيرة، والتي تعارف عليها العلماء قديمً وحديثا، وسيرى القارئ بأم عينيه أن العراق تقع في المنطقة الشمالية لجزيرة العرب، ونجد شرق المدينة تماماً، لا كما ادعى صاحب الكتاب من أن العراق هي شرق الجزيرة، ولو سألت أدنى طالب علم في المدارس الأكاديمية، ماذا يحد الجزيرة العربية شمالا؟ لقال: العراق والأردن .

وأن الشرق هو جهة البحرين والإمارات العربية، ونجد هي في الخط الوسط بين المدينة والخليج العربي :

(١٤) في [الدرر المفاخر (١ / ٩)].



وانظر أيضا ما أشار إليه الكاتبان: حسن المالكي / ومحمد المسعري من بيان خطي السرطان والجدي الذيّن أغفلهما الوهابية، وهما خطان وهميان وضعهما الجغرافيون اصطلاحا، ليبينوا الجهات على سطح الأرض، وهما من خطوط الطول التي تبدأ من المغرب وتنتهي في المشرق، فالأول يمر من شمال الكويت، والثاني يمر جنوب الرياض...وهذان الخطان هما كما في الخريطة التالية :



انظر الخريطة لترى أن مدار السرطان يصل بين المدينة المنورة والرياض، وأن نجدا هي شرق المدينة تماما، وأن العراق هو شمال المدينة المنورة .

الفَصْلُ الثَّاني
تَعْرِيفُ بِنَجْدٍ وَمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ الفِتَنِ

الباب الأول: طبائع أهل نجد وذكر الجفاء الذي اتصف به الغالبية من أهلها .

الباب الثاني: نجد مركز ظهور المتنبئين .

الباب الثالث: نجد مركز الردة والمرتدين .

الباب الرابع: نجد مركز خروج الخوارج .

الباب الخامس: نجد مركز انطلاق القرامطة .

الباب السادس: نجد مركز خروج الحركة الوهابية .

البَابُ الأَوَّلُ
أَهْلُ نَجْدٍ فِي المِيزَانِ

وأقصد من هذا الباب: أن أضع أهل هذه المنطقة في ميزان الأحاديث النبوية، التي وصفتهم بأوصاف غايرت غيرَهم من بقية المناطق، فذكرت أن في هذه المنطقة زلازل وفتن، وفيها تسعة أعشار الشر، ومنها يطلع قرن الشَّيطان، وذكرت عن أهلها أن فيهم الجفاء، وغلظ الأكباد، وأن فيهم الداء العضال، لذا ينبغي أن نُخضع هذه المنطقة لدراسة تفصيليَّة لنعرف من خلالها ثمرة هذا الباب، فهل تنطبق عليهم هذه الأوصاف أم لا.

(الصِّفةُ الأولى) قسوة أهلها وجفاؤهم :

وهي كما جاءت في رواية الطَّبرانيّ في الأوسط وفيها: «وإن القسوة وغلظ القلب في الفدَّادين عند مطلع الشمس، حيث يطلع قرن الشَّيطان، عند أصول أذناب الإبل في ربيعة ومضر» .

قلت: قام كثير من العلماء المختصين بدراسة طبيعة البدوي الذي يسكن الصحراء، كما كانت هذه الدراسة محل اهتمام الملوك من الأمم الأخرى، فقد ذكرت كتب الأدب وصف مناظرة، قيل: إنها وقعت بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وبين كسرى ملك الفرس، في شأن العرب: صفاتهم وأخلاقهم وعقولهم، ثم ذكرت مناظرة أخرى جرت بين كسرى، وبين وفد أرسله النعمان لمناظرته ومحاجّته، فيما جرى الحديث عليه سابقاً بين الملكين، ومجمل ما نُسب إلى كسرى من مآخذ زعم أنه أخذها على العرب: هو أنه نظر فوجد أن لكل أمة من الأمم ميزة وصفة، فوجد للروم حظاً في اجتماع الألفة، وعِظم السلطان، وكثرة المدائن، ووثيق البنيان، وأن لهم ديناً يُبيِّن حلالهم وحرامهم، ويردُّ سفيههم، ويُقيِّم

جاهلهم، ورأىٰ للهند، نحواً من ذلك، في حكمتها وطبّها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعاتها، ودقيق حسابها، وكثرة عددها ، ووجد للصين كثرة صناعات أيديها وفروسيتها، وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وأن لها مَلِكا يجمعها ، وأن للترك والخزر علىٰ ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ملوكاً تضمُّ قواصيهم، وتدبِّر أمرهم .

ولكنه لَم يرَ للعرب دينا، ولا حزماً ولا قوةً ، همتهم ضعيفة بدليل سكنهم في بوادي قفراء، ورضاهم بالعيش البسيط، والقوت الشحيح، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضُهم بعضاً من الحاجة، أفضلُ طعامِهم لحومُ الإبل التي يعافها كثير من السباع، لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها، وإنْ قَرَىٰ أحدُهم ضيفاً عدّها مكرُمة، وإن أطعم أكلةً عدّها غنيمةً تنطق بذلك أشعارُهم، وتفتخر بذلك رجالُهم، ثم إنهم مع قلَّتهم وفاقتهم وبؤسِ حالهم، يفتخرون بأنفسهم، ويتطاولون علىٰ غيرهم، ويُنزلون أنفسهم فوق مراتب الناس، حتىٰ لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين، وأبوا الانقياد لرجل واحد منهم يسُوسُهم ويجمعهم، سلاحهم كلامهم، به يتفنَّنون، وبكلامهم يتلاعبون، ليس لهم ميل إلىٰ صنعة أو علم ولا فن، لا صبر لهم إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم، حاولوا جهدهم التغلب عليها، أما إذا وجدوها قوة منظمة هربوا مشتتين متبعثرين شراذم، يخضعون لحكم الغريب ويهابونه، ويأخذون برأيه فيهم ما دام قوياً، ويَقبلون بمن ينصِّبه عليهم، ولا يقبلون بحكم واحد منهم، إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم .

قلت: ما ذكره كسرىٰ واضح، وقد كان هذا حقا في طبيعة الأعرابي، وإني أرىٰ أن طبيعة منطقة الصحراء القاحلة، التي لا تحوي شيئاً من خيرات الدنيا، هي التي أثرت هذا التأثير في طبيعة البدوي، فصار بعيداً عن مظاهر الحضارة والمدنية، فالبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضري، حتىٰ أنهم لا يفهمون أدنىٰ أشكال الحضارة، وهي البيوت السكنية التي يسكنها الناس، وهذه البيوت وُضعت لها أبواب تقي أصحابها شرَّ ما يكرهون من أذىٰ الحرِّ والقرِّ، ويسترون أنفسهم عن أعين الناس

وغير ذلك، ومع هذه البساطة لأهل الريف في بيوتهم التي كانوا يسكنونها في ذلك الزمن، إلا أنها غابت عن البدوي، فلم يفهم من معاني هذا شيئا، وهذه قمة في الجهل والجفاء والتوحش حسب مقاييسنا ومفرداتنا اليوم، ومن الطريف في هذا المجال: أن البدو الذين كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية، كان عملهم بعد الاستيلاء على الطائف، نزع خشب النوافذ والأبواب، لا لبيعها والانتفاع بثمنها، بل لاستعمالها وقودا، إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماما، فعندما أسكنت الحكومة بعض القبائل في ثكنة جَرْوَل، اكتشفت الحكومة أن النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدريج، وأنها استُعملت للطبخ وتحضير القهوة، فأخرجهم جلالة الملك توّاً من الثكنة، وأسكن الحضر فيها، والحضَر بطبيعتهم يفهمون ما لا يفهمه جهلة البدو عن النوافذ والأبواب [١٥].

ومن عادات البدوي أنه لا يميل إلى هزل ولا دُعَابة، فليس من طبع الرجل أن يكون صاحب هزل ودُعَابة، ولهذا حذِر في كلامه، وتشدَّد في مجلسه، وقلّ في مجتمعه الإسفاف، وإذا كان المجلس عاما، أو مجلس سيد قبيلة، رُوعِي فيه الاحتشام، والابتعاد عن قول السخف، والاستهزاء بالآخرين، وإلقاء النكات والمضحكات، حرمة لآداب المجالس ومكانة الرجال، حياته خشونة وصعوبة ومشقة، ومن هذه الروح المسيطرة عليه، بقي هو هو، لا يريد تجديداً ولا تطويراً، وبقيت حياته لا تعرف دُعابةً ولا ضَحكاً، جفاءٌ في جفاء .

لذلك نرى الأعرابي يتقمص طبيعة البيئة التي يعايشها، لا يؤثر فيه عِلْم، وإن تعلَّم شيئا بقي طبعه قاسياً، وذلك لتأثير طبيعة المنطقة في ساكنيها حيواناً كان ذلك أو نباتا، فالناس الذين يسكنون السهل تغلب على طباعهم السهولة، وأخلاقهم يغلب عليها الهدوء والسكينة، وساكنو الجبال الوعرة يغلب عليهم الأخلاق الصعبة وتعكير المزاج، وسكان المناطق الباردة يغلب عليهم النشاط، عكس سكان

(١٥) [المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١ / ٢٧٦)] .

المناطق الحارة، حيث يغلب عليهم الكسل، لذلك جاء في الحديث النبوي عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه قال : «من سكن البادية جفا، ومن تبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن» (١٦) .

وكما أن لطبيعة المنطقة الجغرافية تأثيراً في ساكنيها، يكون التأثير أيضا لما يجاوره الإنسان بحكم التأثير بالمجاورة، لذلك علَّمنا النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم هذه المبادئ، فقد جاء في الحديث الذي نحن بصدده وهو (نجد) قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : «ألا إن القسْوة وغلظ القلوب في الفدّادين حيث يطلع قرن الشَّيطان في ربيعة و مضر » والفدّادون: هم الفلاحون الذين يشتغلون بالحراثة ورعاية الإبل، من الفديد وهو الصوت، لكثرة أصواتهم في حروثهم، وفي كلامهم مع الإبل في الرعي .

إن مِن شعراء نجد مَن كان يتنقل بين المناطق، فكان من أصحاب المعلقات والحوليات، والأغلبية لم يعرف إلا رعاية الإبل والحراثة، ومنهم مَن لم يعرف إلا غزو الجيران ومحاربتهم، ومنهم، ومنهم، فأثرت البيئة في طباعهم، فغلب عليهم الجفاء وقسوة القلب، لذلك لَمَا ارتدت العرب كان لنجد النصيب الأوفى في كثرة المرتدين، وازداد فيهم الجفاء حتى تنبأ بعضهم، وتعدى ذلك حتى تنبأت النساء، وتخبرنا كتب السير أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لَمَا عرض نفسه على قبائل العرب لينصروه لما كذبه كفار قريش، كان أقبح رد واجهه هو ما ردَّ به بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، لذا ورد في الحديث النبوي من صفات أهل تلك المنطقة ما ذكره لنا في مثل هذه الأحاديث .

ومما يؤيد ما ذهبتُ إليه ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقبِّل الْحَسَنَ فَقَال: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : « إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ » (١٧) .

---

(١٦) [رواه أبو داود (٨ / ٤٣) واحمد في المسند (٧ / ٢٢٣)].

(١٧) [صحيح مسلم (٤/ ١٨٠٨، رقم: ٢٣١٨)].

وفي مسند الحارث باب ما جاء في الأولاد عن عائشة قالت: قبّل رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بعض ولده عند أعرابي فقال: ما قبّلت ولداً لي قطُّ، فقال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «ما أصنع بك إن كان الله قد نزع الرحمة منك» (١٨) .

وما جاء عن أبي عثمان: أن عيينة بن حصن قال لعمر ورآه يقبل بعض ولده : أتقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟!! لو كنتُ أميرَ المؤمنين ما قبّلت لي ولدا، فقال عمر: آلله، آلله، آلله، ـ استحلفه ثلاثاً ـ فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك ؟ إنما يَرحم اللهُ من عباده الرحماءَ (١٩).

وعيينة بن حصن هو سيد بني فزارة، وهي بطن من تميم ويسكنون نجدا .

ومن ذلك ما روىٰ أحمد عن عمرو بن عبسة السلمي قال: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْخَيْلِ مِنْكَ»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكَيْفَ؟» قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَىٰ عَوَاتِقِهِمْ جَاعِلُوا رِمَاحَهُمْ عَلَىٰ مَنَاسِجِ خُيُولِهِمْ لابِسُوا الْبُرُودَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَبْتَ بَلْ خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَالْإِيمَانُ يَمَانٌ إِلَىٰ لَخْمٍ، وَجُذَامَ، وَعَامِلَةَ، وَمَأْكُولُ حِمْيَرَ خَيْرٌ مِنْ آكِلِهَا، وَحَضْرَمُوتَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَقَبِيلَةٌ خَيْرٌ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَقَبِيلَةٌ شَرٌّ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَاللهَّ مَا أُبَالِي أَنْ يَهْلِكَ الْحَارِثَانِ كِلَاهُمَا، لَعَنَ اللهَّ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ: جَمَدَاءَ، وَمِخْوَسَا، وَمِشْرَحَا، وَأَبْضَعَةَ، وَأُخْتَهُمُ الْعَمَرَّدَةَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَلْعَنَ قُرَيْشًا مَرَّتَيْنِ، فَلَعَنْتُهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ لَعَنَ قَبَائِلَ فَسَمَّاهُمْ» ثُمَّ قَالَ: «عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَّ وَرَسُولَهُ غَيْرَ قَيْسٍ، وَجَعْدَةَ، وَعِصْمَةَ»، ثُمَّ قَالَ: «لَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَخْلَاطُهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي

---

(١٨) [مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٨٤٩، رقم:٩٠١)] .

(١٩) [مصنف عبد الرزاق (١١ / ٢٩٩)].

أَسَدٍ، وَتَمِيمٌ، وَغَطَفَانُ، وَهَوَازِنُ، عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ فَسَمَّاهُمَا وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مِذْحَجٌ» . قَالَ صَفْوَانُ: وَمَأْكُولُ حِمْيَرَ خَيْرٌ مِنْ آكِلِهَا قَالَ: مَنْ مَضَىٰ خَيْرٌ مِمَّنْ بَقِيَ [٢٠] .

قلت: نفىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم الخيرية عن أهل نجد، وأثبتها لأهل اليمن، بل ولعن ملوكهم الأربعة وشقيقتهم العمردة، فوافق هذا الحديث ما نحن بصدده عن أهل نجد .

وهذه القبائل التي ذكر رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : (كندة، أسد، وتميم، وغطفان) هم من قبائل نجد، والقبائل التي مدحها صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من اليمن وتهامة الحجاز .

(الصِّفةُ الثَّانية) فيها الزلازل والفتن:

وهي كما في رواية البخاري، والزلزلة هي الحركة الشديدة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ والزلزلة: هي شدة الفزع والخوف، قال الله تعالىٰ واصفاً شدة الخوف التي لحقت بالصحابة في وقعة الأحزاب: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [الأحزاب:١١] فالزلازل التي كانت في نجد هي: حركات دينية وسياسية، ظهرت فيها علىٰ مرِّ التاريخ أرعبت المسلمين، وأما الفتن فبنفس المعنىٰ، لكن ليست بالمستوىٰ الأول، بل هي أقل درجة من الزلزال، لكن الفتن أكثر عددا، وأما الشر فيجمع ذلك كله، والشر: اسم معاكس للخير، لكن يكون للأفراد، وكأن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يشير إلىٰ أن أهل تلك المنطقة لا يعرفون خيراً قط، سواء علىٰ مستوىٰ الفرد وهو الشر، أو علىٰ مستوىٰ القبيلة أو الجماعة وهي الفتنة، أو علىٰ مستوىٰ المنطقة أو المستوىٰ الرسمي وهو الزلزال، وهذا من النبوءات التي أخبرنا بها صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم محذِّراً من تلك المنطقة، وتحذيره لأهل تلك المنطقة بالكف عن الشر وهي نصيحة لهم، وتحذير لكافة المسلمين ليأخذوا علىٰ أيديهم .

---

(٢٠) [فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٨٧٧)] .

(الصَّفَةُ الثَّالثة) فيها تسعة أعشار الشر:

وهذه رواية الإمام أحمد في [المسند (٩/ ٤٥٩)] ، والشر اسم معاكس ومغاير للخير، فكما أن الخير اسم جامع لما يحبه الله تعالى ورسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كذلك الشر هو اسم جامع لما أبغضه الله تعالى ورسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وحرَّمه على عباده .

ومن أشكال الشر: القتل عدوا وبغيا، والظلم، والفتن، وسلب الأموال، والابتداع في الدِّين بما لم يأذن به الله تعالى، ومنه الإرهاب الدموي، والإرهاب الفكري، ومسخ الأفكار السليمة، وغير ذلك ، والشر الذي سجله التاريخ في نجد يعادل الشرَّ الذي ظهر في بلاد الإسلام كافة بتسعة أضعاف، أو تقول: إن الشر في البلاد الإسلامية عشرة أجزاء، تسعة منها في نجد، وواحد في بقية المناطق، بل تجاوز الشر الذي خرج من نجد، حتى وصل بلاد الإسلام كافة، ولم ينج منه إلا من رحمه الله تعالى، ولو تصفحنا التاريخ لوجدنا ذلك طبقاً كما جاء في الحديث الشريف، وسأتعرض الى تفصيل هذه الصفة في الباب القادم .

(الصِّفَةُ الرَّابعة) بها الداء العضال :

وهذه رواية الطَّبرانيّ: وَبِهِ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْكُفْرِ، وَبِهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ، والداء العضال هو الذي استعصى حتى تعذَّر علاجه، ومن أنواع الأمراض التي تصيب الإنسان: منها ما كان في جسمه، ومنها ما كان في نفسه وعقله، والداء الذي يصيب النفس والعقل أشد ضراوة مما أصاب الجسم، ومن هذه الأمراض التي استفحلت في أهل تلك المنطقة، الجهل، الحماقة، شدة النفاق والكفر .

فمن تلك القبائل التي سادها هذا المرض: قبيلة فزارة، ومن حماقتهم أنهم رضوا بأن يسودهم رجل أحمق، وهو عيينة بن حصن، فقد عقد الدكتور جواد علي فصلاً في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» وهو الفصل السابع أسماه :طبيعة العقلية العربية، قال فيه:

وقد وُصف الأعراب بالغلظة والخشونة، فقيل: أعرابي قُحّ، وأعـرابي جِلْـفٌ، ومـا شـاكل ذلـك، وفي الحديث «من بَدَا جَفَا»، أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، وقد نعت الرسـول صـلَّىٰ اللهُ عليـه وسلَّم «عُيَيْنَة بن حصن» قائد غطفان يوم الأحزاب بـ «الأحمق المطاع»، وقد دخـل هـذا الرجـل عـلىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بغير إذن، فلما قال له أين الإذن؟ قال: ما استأذنت علىٰ مضـري قبلك وقـال: ما هذه الحُمَيراء معك يا محمد؟ فقال: «هي عائشة بنت أبي بكر» فقال: طلقها وأنزل لـك عن أم البنـين، في أمور كثيرة تذكر من جفائه. أسلم ثم ارتدّ وآمن بطليحة حين تنبأ، وأُخذ أسيراً فأُتي به أبو بكر، رضي الله عنه، أسيرا، فمنّ عليه، ولَمْ يزل مُظهراً للإسلام علىٰ جفوته وعنجهيته، ولوثة أعرابيته حتىٰ مات .

وذُكر أن الأعرابي إذا قيل له: يا أعرابي، فرح بذلك وهشّ، والعربي إذا قيل لـه: يـا أعـرابي غَضِـب، وذلك لازدراء العرب الأعراب، ولارتفاعهم عنهم في العقل، وفي الثقافة والمنزلة الاجتماعية .

وهذه الصفات التي لا تلائم الحضارة، ولا توائم سنّ التقدم في هذه الحياة هي التي حملـت الإسـلام علىٰ اعتبار «التبدّي» أي التعرُّب بعد الهجرة ردّة علىٰ بعض الأقوال، وعلىٰ النهي عن الرجوع إلىٰ البادية والعيش بها عيشة أعرابية، فلما خرج أبو ذر إلىٰ الربذة قال له عثمان بن عفان: «تعاهد المدينة حتىٰ لا ترتد أعرابيّا». فكان أبو ذر يختلف من الربذة إلىٰ المدينة، مخافة الأعرابية . انتهىٰ كلام الدكتور جواد .

قلت: جاء في القرآن الكريم آيات ذمت الأعراب، الذين لَمْ يكلِّفـوا أنفسَـهم طلـب العلـم والأدب، وهم كثير، قال تعالىٰ: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿٩٧﴾﴾ [التوبة]، أي أن الأعرابي إذا كفر، يفوق كفرُه علىٰ كفر غيره من المناطق، وإذا نافق، يفوق نفاقُه علىٰ نفاق غيره، وإذا جهل كان جهلُه مركَّباً، بحيث يدَّعي العلم لنفسه، والجهلَ لغيره، وإذا جفىٰ فاق جفاؤه كلَّ جفاء، وفي سورة الحجرات ذمَّ اللهُ تعالىٰ من لَمْ يراع الأدب مع رسوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وغلبت عليـه صفاتُ البادية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِـنْ وَرَاءِ الْحُجُـرَاتِ أَكْثَـرُهُمْ لاَ يَعْقِلُـونَ ﴿٤﴾﴾، والـذين

نادوا النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من وراء حجراته هم: وفد بني تميم من أهل نجد، فوصفهم بأن العقل غائب عن الأكثرية منهم .

فشدة الكفر والنفاق، والجهل والجفاء، والبعد عن الأدب هو داء عضال، يصعب علاجه إذا استحكم، بدليل أن الذين أسلموا من البادية كانوا أسرع الناس ردة، وكان أشدهم علىٰ الإسلام من كان منهم في نجد، ووصل الأمر بهم إلىٰ ادعائهم النبوة، وتجاوز الأمر حتىٰ تنبأت نساؤهم .

لذلك جاء النهي عن التعرب علىٰ لسان النبوة، أي أن يعود الرجل إلىٰ البادية بعد أن صار في الحضر، فقد روىٰ البيهقي عن عبد الله بن مسعودٍ: «ثلاثٌ من الكَبَائر: منها التَّعرُّب بعدَ الهِجْرة، ومن فعل ذلك فهو ملعون علىٰ لسان محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم » [٢١].

والتعرُّب: هو أن يعود إلىٰ البَادية، ويُقِيمَ مع الأَعرَاب بعدَ أن كانَ مُهَاجراً، وكان من رجَع بعدَ الهِجْرة إلىٰ موضِعه من غير عذر يَعدُّونه كالمرْتَدّ، قال: ومنه حديث ابن الأكْوع؛ لَمَا قُتل عثمان خرَج إلىٰ الرَّبَذة وأقامَ بها، ثم إنَّه دخل علىٰ الحجَّاج يوماً فقال له : يا ابن الأكْوع ارْتَدَدْت علىٰ عَقِبَيْك وتَعَرَّبْت؟ وذلك بسبب جفاء الأعراب والجهالة.

ومن هنا أُسقطت شهادة البدوي علىٰ الحضري، فقد روىٰ البيهقي وغيره عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول : « لا تجوز شهادة بدوي علىٰ صاحب قرية » [٢٢] .

لذلك أصبح الجفاء، وغلظ القلب والجهل، في البادية، ومن كانت هذه صفته كان قبوله للفتن أكثر، وهذا داء عضال، ومن هنا كان لنجد النصيب الأوفىٰ من هذه الأخلاق لبعدهم عن الحضارة والمدن، وتأثير طبيعة المنطقة فيهم .

---

(٢١) [السنن الكبرىٰ (٩ / ١٩)].

(٢٢) [السنن الكبرىٰ (١٠ / ٢٥٠)].

البَابُ الثَّاني
نَجْدُ مَرْكزُ ظُهُورِ المتَنَبِّئِينَ

لما تمَّ لنا دراسةُ طبيعة تلك المنطقة، وأخلاق أهلها وطبائعهم، ووجدنا أن ما جاء في الأحاديث الشريفة منطبقٌ عليهم تماماً، بحيث أصبح لا مناص لهم من تبعاتها، كان لنا أن نسترسل في عرض هذه الشرور، وتلك الفتن والزلازل التي ظهرت في أرض نجد، حتىٰ نصل الىٰ مقصودنا، وهو تعيين قرن الشَّيطان، الذي عُقد البحث من أجله، وهذه الدراسة التي سأقوم بها هي من بداية عصر الإسلام الىٰ يومنا هذا، حتىٰ نطبق ما تم دراسته علىٰ أرض الواقع، فإن وجدنا التاريخ مطابقاً لَمَا سنعرضه من شرورها وفتنها، كانت الدراسة صحيحة، وأن المقصود بهذه الأحاديث هو نجد الجزيرة، وبالتالي لا يجوز صرف معنىٰ هذه الأحاديث الىٰ العراق، وإن كان العكس تكون الدراسة خاطئة، ولا بد حينها أن نصرف معنىٰ الحديث عن نجد الجزيرة الىٰ العراق، وسنحاكي التاريخ الآن : ما عندك عن تاريخ هذه المنطقة؟

[**الجواب**]: شهدت نجد حركاتٍ سياسيةً كثيرةً، وفتناً كقِطَع الليل المظلم، وهذه الحركات كانت من بداية الدعوة الإسلامية الىٰ يومنا هذا، ولَم تزل هذه المنطقة مركز إزعاج لدولة الإسلام، وأن ما خرج من هذه المنطقة من الشر يساوي تسعة أضعاف ما ظهر في غيرها، وأن نسبةَ الخير فيها لا يساوي جزءاً من عشرة أجزاء نسبة لغيرها من المناطق، وأول هذه الفتن هي فتنة مسيلمة الكذاب من بني حنيفة، وكانوا يسكنون اليمامة قصبة نجد، وهي منطقة الرياض اليوم .

مُسيلمة بن حبيب الكذَّاب :

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت بـه «مسـيلمة» رسـولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم تستره بالثياب، ورسول الله جالس في أصحابه، معه عسيب مـن سـعف النخـل في رأسه خوصات، فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وهم يسترونه بالثياب، كلَّمه وسأله فقـال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم :« لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه» ثم انصرفوا عن رسول صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلىٰ اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله، وتنبـَّأَ وتكـذَّب لهـم وقـال: إني قـد أُشركت في الأمر معه «أي أُشرك في النبوة مع النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم» وقال لوفده الذين كانوا معـه: أَلَمْ يقل لكم حين ذكرتموني له: أما إنه ليس بشرِّكم مكانا؟ ما ذاك إلا لِما كان يعلم أني قد أُشركتُ في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن:

لقد أنعم الله علىٰ الحبلىٰ، أخرج منها نسمة تسعىٰ، من بين صفاق وحشىٰ .

وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصَّلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلَّىٰ اللهُ عليـه وسـلَّم بأنه نبي فأصفقت معه حنيفة علىٰ ذلك .

أخرج الشيخان عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب المدينة في بشـر كثير من قومه فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فأقبل النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ومعه ثابت بن قيس بن شـماس وفي يد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قطعة جريد، حتىٰ وقف علىٰ مسيلمة فقال: «لئن سألتني هذه القطعـة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه مـا رأيـت، وهذا ثابت بن قيس يُجيبك عني» [٢٣] ثم انصرف .

---

(٢٣) [صحيح البخاري (٤ / ٢٤٧) صحيح مسلم (٧ / ٥٧)] .

قال ابن عباس: فسألت عن قول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «إنك الذي أريت فيه ما رأيت»، فأخبرني أبو هريرة أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «بينما أنا نائم أريت أن في يديَّ سوارَيْن من ذهب فأهمَّني شأنُهما، فأُوحي إلي في المنام أنِ انفخْهما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلْتهما كذَّابَيْن يخرجان من بعدي، فهذا أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة» . وقد استفاض ذكره عند المحدثين والمؤرخين، وسأنقل رواية ابن كثير:

مقتلُ مُسيلمةَ الكذَّاب لعنه الله :

لما رضي الصِّدِّيق عن خالد بن الوليد، وعذَره بما اعتذر به، بعثه إلىٰ قتال بني حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلىٰ الأنصار: ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمرُّ بأحدٍ من المرتدين إلا نكَّل بهم، وقد اجتاز بخيولٍ لأصحاب سَجاح فشرَّدهُم، وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصِّدِّيقُ خالداً بسرية لتكن ردءاً له من ورائه، وقد كان بعث قبله إلىٰ مسيلمة: عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم في نحو أربعين ألفاً من المقاتلة، فجعل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل، فناجزهم فنكب، فانتظر خالدا، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: «عقربا» في طرف اليمامة، والريفُ وراء ظهورهم، وندب الناس وحثَّهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل علىٰ مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرَّجَّال بن عنفوه بن نهشل، وكان الرَّجَّال هذا صديقَه الذي شهد له أنه سمع رسولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول: أنه قد أَشرك معه مسيلمةَ بنَ حبيب في الأمر «أي في النُّبوَّة»، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضلَّ أهلَ اليمامة، حتىٰ اتَّبعوا مسيلمة لعنهما الله، وقد وفد إلىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وقرأ البقرة، وجاء زمن الرِّدَّة إلىٰ أبي بكر، فبعثه إلىٰ أهل اليمامة يدعوهم إلىٰ الله ويُثبِّتهم علىٰ الإسلام، فارتدَّ مع مسيلمة وشهد له بالنُّبوَّة

قال سيف بن عمر: عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنتُ يوماً عند النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في رهط معنا الرجّال بن عنفوة فقال: «إن فيكم لرجلاً، ضرسُه في النار أعظمُ من أحد» فهلك القوم

وبقيت أنا والرجَّال، وكنت متخوفاً لها، حتىٰ خرج الرَّجَّال مع مسيلمة وشهد له بـالنبوة، فكانـت فتنـة الرَّجَّال أعظم من فتنة مسيلمة .

وقرب خالد، وقد جعل علىٰ المقدمة: شرحبيل بن حسنة، وعلىٰ المجنبتـين: زيـداً وأبـا حذيفـة، وقـد مرَّت المقدمة في الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارساً عليهم مجَّاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم، وبني عامر، وهو راجع إلىٰ قومه فأخذوهم، فلـما جـيء بهـم إلىٰ خالـد عـن آخـرهم فاعتذروا إليه فلم يصدِّقهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوىٰ مجَّاعة فإنه استبقاه مقيـداً عنـده لعلمـه بالحرب والمكيدة، وكان سيداً في بني حنيفة، شريفاً مطاعا، ويقال: إن خالداً لَمَا عُرضوا عليـه قـال لهـم: ماذا تقولون يا بني حنيفة ؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية، فلما تواجـه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هُزمتم تُستنكح النساء سـبيَّات، ويُـنكَحن غـيرَ حظيَّات، فقاتِلوا علىٰ أحسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدم المسـلمون حتـىٰ نـزل بهـم خالـد عـلىٰ كثيـب يُشـرف علىٰ اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولىٰ أبي حذيفة، ورايـة الأنصـار مـع ثابت بن قيس ين شماس، والعرب علىٰ راياتها، ومجَّاعة بن مرارة مَقيَّد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالـد، فاصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة وانهزمت الأعراب، حتىٰ دخلت بنو حنيفة خيمة خالـد بـن الوليد، وهمُّوا بقتل أم تميم، حتىٰ أجارها مجَّاعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قُتل الرَّجَّال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم، وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عوَّدتم أقرانكم، ونادَوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصـت ثلـة مـن المهـاجرين والأنصـار، وحمي البراء بن معرور، وكان إذا رأىٰ الحرب أخذته العرواء، فيجلس علىٰ ظهر الرِّجَال حتـىٰ يبـول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، وقاتلت بنو حنيفة قتالا لم يُعهد مثلُه، وجعلـت الصـحابة يتواصَـون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السِّحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلىٰ أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار، بعد ما تحنَّط وتكفَّن، فلم يزل ثابتـاً حتـىٰ قُتـل هنـاك، وقـال

المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: نخشى أن نُؤتَى من قِبَلك، فقال: بئس حاملُ القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا في عدوِّكم، وامضوا قُدما، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله، أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقُتل شهيداً رضي الله عنه .

وقال أبو حذيفة: يا أهلَ القرآن زيِّنوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم، وأُصيب رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة، وجعل يترقَّب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ «**يا محمداه**» وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ودارت رحى المسلمين، ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النَّصَف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئا، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد، وقدْ ميَّز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتَون، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يُعهد مثله، ولم يزالوا يتقدَّمون إلى نحور عَدوِّهم حتى فتح الله عليهم، وولَّى الكفاُر الأدبارَ، واتَّبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة وهو محكم بن الطفيل لعنه الله بدخولها، فدخلوها وفيها عدوُّ الله مسيلمة، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها، يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم فرماه بحربته فأصابه،

وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سمّاك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة، وفي المعركة قريبا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفا، وقُتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم » [٢٤] . انتهى

هذه أول فتنة وقعت في المسلمين، راح ضحيتها عشرات الألوف من القتلى والجرحى، غالبيتهم من أهل النار بعدما كانوا مسلمين، ومصدرها نجد .

سَجاح بنت سُوَيد التميمية:

نُبِّئت سجاح، وخرجت من بني تغلب، فتبعها أناس كثيرون من النمر بن قاسط وإياد، ومن بني تغلب الهذيل بن عمران، فخرجت تسير بهم إلى بلاد بني تميم، فلقيها بنو حنظلة فقالت: أنا امرأة منكم، والملك ملككم، وقد بُعثت نبيَّة، قالوا: مرينا، قالت: إن رب السماء والتراب يأمركم أن توجهوا الركاب، وتستعدوا للنهاب، ثم تغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب، فسارت بنو حنظلة إلى بني ضبَّة، وهم من الرباب، وسارت سَجاح ومن معها من بني تغلب والنمر بن قاسط إلى حفر التيم، وعليه من الرباب بنو عدي وثور، فأما بنو حنظلة فلقوا بنو ضبَّة، فهزمتهم، ولقيت سَجاح ومن معها تيماً وعدياً وثوراً، فقاتلوهم قتالاً شديداً، وجاءتهم وفود بني تغلب والنمر وإياد، وأرسلت بنو ضبَّة يطلبون إلى حنظلة أن يُودُوا قتلاهم، ويصالحوهم، فقالت: لا تعجلوا على الرباب، فإنهم يحثون نحوكم الصعاب، ثم قالت: عليكم باليمامة، فإنها دار إقامة، نلقى أبا ثمامة، فإن كان نبياً ففي النَّبيّ علامة، وإن كان كذوباً فله ولقومه الندامة، ولا يلحقنكم بعدها ملامة، فخرجوا نحوها ومعها عطارد بن حاجب، وعمرو بن أهتم، والأقرع بن حابس، وشبيب بن ربعي ـ وهو مؤذِّنها ـ فساروا حتى نزلوا الصمان، فبلغ

---

(٢٤) [البداية والنهاية ط إحياء التراث (٦/ ٣٥٥) ، باب: مقتل مسيلمة].

ذلك مسيلمة الكذاب، فتجسس أهل اليمامة لها، فقال مسيلمة: دعوني ورأيي، فأهدَىٰ لها، وكتب إليها، أن موعدنا يوم كذا نلتقي فيه ونتدارس، فإن كان الحق بيدك بايعناك، وإن كان في أيدينا بايعتنا، فخرجت في أربعين، فلما جلسوا أحصاهم، ثم قال: ليقم من ها هنا عشرة، ومن ها هنا عشرة، ومن ها هنا عشرة، ومن ها هنا عشرة، حتىٰ ننظر من صاحب الأمر، فقاموا، فقال مسيلمة لغلامه: عثِّنْ لها لتذكر الباه، والعثان: الدخان أي بخِّر لها بشيء من الطيب، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشاً لا يعدلون، رحم الله من سمع، ومازال أمره في كل ما شاء مجتمع، وأطمع في الخير فطمع، أراكم الله محياكم، ومن رِجزٍ خلَّاكم، ويوم القيامة نجاكم، علينا صلوات من معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجار، يصلون بالليل، ويصومون بالنهار، ولربهم الكبار، رب النور والأمطار، ولما رأيت وجوههم حسنت، وأبشارهم صفت، وأيديهم انبسطت، النساء يأتون، والخمر يشربون، أنتم معشر الأبرار، سبحان ربي كيف يحيون، وإلىٰ رب السماء يرقون، لو أنها حبة من خردلة في جندلة لقام عليها شهيد، يعلم ما في الصدور، أكثر الناس، يومئذ المبثور .

قالت: أشهد أنك نبي، وآمنت به، فقال: إنكن يا معشر النساء خُلقتُنَّ لنا أفراجاً، وخُلِقنا لكم أزواجاً، فإذا ملكناكنَّ أرتجن لنا أرتاجاً، فنولجه فيكنَّ إيلاجاً، فتُخرجُنَّ أولاداً إنتاجاً، قالت: صدقت وبذلك أوحي إليّ .

قال: هل لك أن تزوجيني نفسك، فيكون الملك بيننا، ونخفف من عشيرتنا؟ قالت: نعم، فتزوَّجها وانطلق إلىٰ اليمامة، وتركت الجمع الذي كان معها بالصمان، ورفع مسيلمة عن بني تميم صلاة الغداة والظهر والعشاء، وقال: إن بني تميم لقاح لا أتاوة عليهم، يعني الخراج فعامة بني تميم لا يصلون هذه الصلوات إلىٰ اليوم، فلم تزل عند مسيلمة إلىٰ أن قُتل، فهربت فلم توجد، ثم أسلمت فتزوجها رجل من قومها، فولدت له ثلاثة وماتت بالبصرة .[٢٥] انتهىٰ

---

(٢٥) الأوائل للعسكري (ص: ٤٠١) .

قلت: المتنبئ الثاني في سلسلة الكهان الذين ادعوا النبوة: امرأة من بني تميم، من نجد الجزيرة، وهي فتنة نجدية .

طُلَيحةُ بن خُوَيلدٍ الأَسَدِيُّ :

من بني أسد إحدىٰ قبائل نجد، ادَّعىٰ النُّبوة سنة (١٠) هـ ودعا الناس لاتباعه، فتبعته بنو أسد وغطفان، فأرسل إليه الصِّدِّيق خالد بن الوليد، وكان الجيش الأول الذي يرسله لحرب المرتدين، في منطقة «بزاخة» .

أرسل الصِّدِّيق عدي بن حاتم الطائي إلىٰ قبيلته ليحذرهم من اتباع طليحة، فذهب إليهم وأطاعوه في عدم اتباعهم طليحة، وأمدّ خالداً بألف فارس من طيء .

لَمْ يدم القتال طويلا بينهم، حيث ألقىٰ الله الرعب في قلوبهم، فانكشفوا من ساحة المعركة، فلما رآهم طليحة هرب بأهله إلىٰ الشام .

البَابُ الثَّالِثُ
نَجْدٌ مَركِزُ الرِّدَّةِ وَالمرْتَدِّينَ

الرِّدَّة: حركة سياسية ظهرت بشكل واضح بعد انتقال النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، تمثَّلت بالتَّمرُّد والعصيان السياسي لخليفة المسلمين بعد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، حمل لواءه أعراب الجزيرة العربية كافة، ولَم يبق علىٰ طاعة الخليفة إلا مكة والمدينة والطائف، وما حولها من القبائل، وبلدة جواثا بالبحرين، وكان الباعث علىٰ هذه الحركة هو بُعد الأعراب عن الحضارة والمدنية، وغلبة النظام القبلي عليهم، فكانوا يأنفون أن يحكمهم حضري، وقد ساعد علىٰ هذا التَّمرُّد والعصيان بواعث سياسية، قام بها بعض البلدان المجاورة مثل: فارس والروم، من خلال عملائهم، واتفقوا علىٰ غزو المدينة، واستئصال شأفة الإسلام فيها، وقد قامت بعض هذه القبائل بالمسير جهة المدينة حسب الاتفاق المبرم مع الرومان، كما أن الرومان جهزوا الجيوش لغزو المدينة أيضاً لدعم هذه القبائل .

وقد اتخذت هذه الحركة صبغةً دينية تمثلت بمنع الزكاة، وعدُّوها جزيةً يؤدُّونها لنظام سياسي، يترأسه الحضريون من قريش، فأدرك الصِّدِّيق رضي الله عنه خطورة الموقف، فاستعمل حنكته السياسية، وقيادته العسكرية، باتخاذ الحزم في اتخاذ القرار الصائب، والعزم علىٰ إمضاء ما يَصدر عنه من هذه القرارات الميدانية، التي لا تحتمل التأجيل أو التباطؤ، فكانت خطة الصِّدِّيق رضي الله عنه هي: الوقوف مع النص، حيث أدرك بثاقب نظره أن النص الصادر عن الله تعالىٰ ورسوله معصوم، لا يتسرب إليه خلل، فكان آخر وصية وصَّاها النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عند موته: «أنفذوا بعث أسامة»، فكان هذا النصُّ أولَ عمل قام به، وعارضه في ذلك الصَّحابة جميعا، متخذين من المصلحة سبباً في تأجيل إرسال

هذا الجيش، حيث اعتبروا المرتدين أشدَّ خطراً علىٰ الإسلام من الرومان، فقال رضي الله عنه قولته المشهورة: والله لو ذهبت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما حللت راية عقدها رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بيده، ثم قبض علىٰ لحية سيِّدنا عمر وهو كبير المعارضين لهذا القرار: أواه يا ابن الخطاب، جبَّار في الجاهلية، خوَّار في الإسلام.

فسار الجيش علىٰ بركة الله، حتىٰ قدم الداروم، فقتل وسبىٰ، وأحرق، حتىٰ دبَّ الرُّعب في الروم، وطرد من رؤوسهم وساوس الشَّيطان بغزو المدينة، فلم يفكروا بعدها بهذا أبدا، وظهرت بركة رأي أبي بكر جلية للقاصي والداني.

ثم سيّر الصِّدِّيق في اليوم التالي أحد عشر جيشاً لحرب المرتدين، فقاتلهم الصَّحابة حتىٰ عادوا لحظيرة الإسلام، فتشكلت خطورة الردة بالتَّمرُّد والعصيان علىٰ السلطة السياسية الإسلامية، ثم التحالف مع قوىٰ خارجية للقضاء علىٰ الإسلام بشكل نهائي.

وهذه الحركات السياسية التي تم القضاء عليها وإعادتها لحظيرة الإسلام، كان أجلَّها خطرا، وأشدَّها شكيمة، وأشرسَها قتالاً للمسلمين: من كان في نجد، حيث كانت مأوىٰ لمدّعي النبوَّة، وهم أكثر تنظيما، وأكثرهم عدداً وعدة، وفيها أكثر القبائل العربية عددا، منها بنو تميم، وبنو حنيفة، وبنو أسد، وطي، وغطفان.

القَبائلُ المرْتدَّة:

كان أول المرتدين بني حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، وكانوا في اليمامة قصبة نجد، وعاصمتها الرياض

وارتدت أسد وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وكانوا في نجد.

وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وكانوا في نجد.

وارتدت بنو تميم مع سَجاح الكاهنة وكانوا في نجد.

وارتد الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل، فاجتمع إليه من غير المرتـدين ممـن لَمَ يزل مشركاً، حتىٰ نزل «القطيف وهجَر»، واستغووا الخط ومن بها من الزُّط والسبابجة، وبعث بعثـاً إلىٰ «دارين»، وبعثا إلىٰ «جواثا»، فحصَر المسلمين، حيث استغل بُعْدَ هذه البلدة عن حاضرة الإسلام، فأراد فصل عضوٍ قوي من أعضاء الدولة الإسلامية، بغية تمزيقها عضواً عضوا، فاشتد الحصار علىٰ مـن بهـا، ....الخ وهؤلاء كانو في «القطيف وهجَر» ضمن نجد .

تبين لنا أن الأغلبية الساحقة، التي قامت بالتَّمرُّد والعصـيان، عـلىٰ خليفـة المسـلمين، والخيانـة لأمـة العرب والإسلام، بالتواطؤ مع أعداء الدِّين والقومية، والتعاون معهم علىٰ استئصال شأفة الشرفاء مـن العرب والمسلمين، هم نجديون، انسلخوا من دينهم، وتنازلوا عن قوميتهم، وارتبطوا مع أعـداء الأمـة علىٰ قتلها وتدميرها، وها هو التاريخ اليوم يُعيد نفسه، فيعملون اليوم ما عملوه بالأمس، سواء بسواء .

البَابُ الرَّابعُ
نَجْدٌ مَرْكزُ خُرُوجِ الخَوَارِجِ

الخوارج: جمع خارج وخارجيٍّ، اسمٌ مشتقٌّ من الخروج، وقد أَطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة«خرج» على هذه الطائفة من الناس، مُعلِّلين ذلك بخروجهم عن الدِّين، أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس.

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك:

منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمَّى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصَّحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان، واسم الخارجي يَلحَقُ كلَّ من أشبه الخارجين على الإمام، أو شاركهم في آرائهم في أي زمن .

فأصل ظاهرة التكفير هم الخوارج، والخوارج هم الفئة التي خرجت على سيِّدنا علي رضي الله عنه، بعد أن كانت تحارب معه، تكوَّنت بعد معركة صِفِّين، بسبب رفضها لنتيجة التحكيم، وأصبحت العبارة التي صاغها أحدهم «لا حكم إلا لله» شعار هذه الطائفة، وكان ظهورها في منتصف القرن الأول الهجري، ولما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضي الله عنهما في وقعة صِفِّين، وكاد النصر أن يتمَّ لجيش علي، لولا رفع المصاحف من قبل أصحاب معاوية، ودعوا أصحاب سيِّدنا علي إلى ما فيها، مما أدى إلى الاضطراب والفوضى في جيشه، اضطر بعد ذلك رضي الله عنه للرجوع من صِفِّين إلى الكوفة، فلم تدخل معه الخوارج، وأتوا «حروراء» فنزل فيها منهم اثنا عشر ألفا، وسُمُّوا حينذاك « بالحرورية» نسبة إلى هذه القرية، وعندما انكشفت خدعة رفع المصاحف على جماعة من أصحاب علي رضي الله عنه،

ورفعهم شعار: «لا حكم إلا لله» قاتلهم الإمام في النهروان، حتىٰ لَمْ يفلت منهم إلا أقل من عشرة، انهزم اثنان منهم إلىٰ عُمان، واثنان إلىٰ كرمان، واثنان إلىٰ سجستان، واثنان إلىٰ الجزيرة، وواحد إلىٰ تل مورون في اليمن، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع، وهي باقية إلىٰ اليوم .

وبدعة الخوارج هي أول بدعة حدثت في الإسلام، وأول قرن طلع منهم كان علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وهو ذو الخويصرة التميمي، الذي اعترض علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وطعن عليه في قسمته العادلة بالإنفاق، وقال له في وجهه: اتق الله واعدل، فإنك لَمْ تعدل! فقال النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ويلك! ومن يعدل إذا لَمْ أكن أعدل؟ ! ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم «إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يَمرقون من الإسلام كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة، لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد» (٢٦) .

والشاهد في ما ذكرنا هو: أن أول قرن خرج علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم هو ذو الخويصرة التميمي ومركزه نجد، حيث كانت تلك القبيلة وما زالت تسكن هناك، ثم قال عنه النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يخرج من ضئضئ هذا قوم، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم...الخ فكانوا هم الخوارج، وأول عمل شنيع فعلوه هو قتل سيِّدنا علي، وأشد الجماعة التي خرجت علىٰ سيِّدنا علي والخروج عليه، الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، وكلهم من منطقة نجد، فكان هؤلاء القوم مؤسسي هذه الجماعة الخارجة عن طاعة الإمام، فتحقق بذلك الحديث الشريف، أن نجداً هي مركز الفتن، وفيها تسعة أعشار الشر .

---

(٢٦) [صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠، رقم: ٣٦١٠)].

البَابُ الخَامِسُ

نَجْدٌ مَرْكزُ انْطِلاقِ القِرامِطَةِ

يذكر التاريخ أن أول نشأة القرامطة كانت في فارس «إيران»، وأن الشعوب التي دخلت في الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية كان من بينهم يهود ومشركون يعبدون النار، فلما عجزوا عن مواجهة الإسلام عسكرياً حاولوا كيده من داخله، فأنشأوا هذه الحركة في منطقة الأهواز شرق البصرة من الأراضي الإيرانية، ولما تم تخطيطهم للقيام بالأمر المتفق عليه، أرادوا أن ينقلوا مشروعهم الخبيث الى بلاد الإسلام، فاختاروا مكاناً بعيداً عن مركز الخلافة «بغداد» فاختاروا البحرين، فأخذوا ينشرون مذهبهم هناك، واتخذوا شعاراً لهم هو مناصرة آل البيت الذين هُضم حقهم في الخلافة، ومن كيدهم وتمرسهم على المكر، أنهم لم يكن يختاروا لحركتهم إلا صنفين من الناس هم: الفقراء والجهال، فيسبغون على الفقراء ما يحتاجونه من القوت واللباس، وأما الجهال فلا علم عندهم حتى يعرفوا كيدهم وتضليلهم، ولما اشتدت شوكتهم اتخذوا من اليمامة وهجر مركزاً لهم، وبدأوا حركتهم بالتسلط على الناس بالقتل والسلب دون تفريق بين صغير وكبير، حتى وصل بهم الأمر إلى غزو مكة، وقتل الحجيج ودفنهم في بئر زمزم، وقلع الحجر الأسود، والذهاب به إلى هجر، ثم استغلوا ضعف الخلافة العباسية، فأرادوا توسيع رقعة دولتهم، فأنشأوا مركزاً بسواد العراق، وأغاروا على البصرة والكوفة، وهزموا جيش الخليفة مرات، ثم أنشأوا مركزاً آخر في سوريا، تسموا فيها بعد بـ «الإسماعيلية» أو الباطنية، كادوا للإسلام على مرِّ تاريخهم، وحاولوا قتل صلاح الدِّين، ودام ملكهم أكثر من قرن من الزمان .

قال السيوطي: وفي سنة ست و ثمانين ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي وقويت شوكته وهو أبو أبي طاهر سليمان، ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة وأغار على البصرة ونواحيها وهزم جيش الخليفة مرات ...

وفي هذه السنة سيَّر المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعاً، وطرح القتلى في بئر زمزم، و ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره، ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوما، ثم رحلوا وبقي الحجر الأسود عندهم «باليمامة» أكثر من عشرين سنة، ودُفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأَبَوا، حتى أُعيد في خلافة المطيع، وصعد القرمطي على باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله و بالله أنا   يخلق الخلق و أفنيهم أنا

ولَم يفلح أبو طاهر القرمطي بعدها و تقطع جسده بالجدري [٢٧] .

وإني أرى أن سبب اختيار القرامطة لهذه المنطقة دون غيرها، هو جهل أهلها وحماقتهم، وقبول أنفسهم وتهيؤها للفتن، فيسهل عليهم تنفيذ مخططهم، وفعلاً كان الأمر الذي هدفوا إليه .

(٢٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١ / ٣٢٠)، القرامطة تأليف محمود شاكر، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦/ ١٧٥) وما بعدها، التاريخ لابن خلدون (٣/ ٣٥٠) .

البَابُ السَّادِسُ
نَجْدٌ مَرْكزُ خُرُوجِ الحرَكَةِ الوَهَّابِيَّةِ

الوهابية: حركة خارجيَّة سياسية، سُميت بذلك نسبة إلىٰ زعيمها، وهكذا تتسمىٰ أية حركة أو جماعة باسم زعيمها، وزعيمها ومؤسسها هو: محمد بن عبد الوهاب التميمي النَّجْديّ، ولد في بلدة «العيينة» بنجد، سنة (١١١١) هـ، طلب العلم علىٰ مشايخ زمانه، ولكنه انقلب عليهم، خاصة بعد أن اتصل بوكيل وزارة المستعمرات البريطانية «همفر»، وكان مركزه في البصرة، فكفَّر أشياخه الذين طلب العلم علىٰ يديهم، كما كفَّر العلماءَ الذين كانوا معاصرين له كلَّهم، ثم وصل به الحال إلىٰ تكفير كل من سبقه من المسلمين إلىٰ ستة قرون، أي إلىٰ زمن شيخه ابن تيمية، ثم خرج علىٰ إمام زمانه، وتعاون مع محمد بن سعود لإقامة دولتهم، فيكون محمد بن سعود الزعيم السياسي، وابن عبد الوهاب الزعيم الدِّيني، واتفقا علىٰ ذلك، وعقدا بينهما معاهدة في ذلك سميت: «بيعة الإمامين» .

وتابع عملاءُ وزارة المستعمرات هاتين الشخصيَّتين، ببثِّ الدعاية لهما، والتمهيد لقيام الدولة، وبقي دعمهم لهما حتىٰ دانت لهما أغلبية الجزيرة العربية، ثم انحسر دعم بريطانيا لهما لانشغالها بحرب تركيا وألمانيا .

بدأ ابن عبد الوهاب مع ابن سعود حربهم ضد القبائل النَّجْديّة، ما يقارب سبعين سنة، حتىٰ استطاعوا التغلب علىٰ الجزيرة العربية، لكن الدولة العثمانية أوعزت لعاملها علىٰ مصر: محمد علي باشا، بتدبر أمر هذه الحركة الخارجة علىٰ دولة الخلافة، فأرسل محمد علي ابنه إبراهيم، إلا أنه فشل في إخضاعها، فقاد الحملة بنفسه، وبدأ باستعمال الحنكة السياسية، إلىٰ جانب قدراته العسكرية، فاستمال شيوخ القبائل بالمال، وضمَّهم إليه، وأخذ يُضعِف من شأن الحركة بالقوة العسكرية تارة، وبالمال تارة

أخرىٰ، حتىٰ تم له القضاء عليها نهائياً، وأخذ بعض قوَّادها وأرسلهم مخفورين إلىٰ استانبول عاصمة الخلافة، فأُعدموا هناك، وتُسمَّىٰ هذه الدولة: الدولة الوهابية الأولىٰ، دام حكمها ما يقارب ثمانية عقود

خُلاصَةُ هذا الفَصْلِ :

علمنا مما مر في هذا الفصل أن نجداً كانت منشئاً لعدد من الحركات السياسية، التي انشقت عن الإسلام وكادت له، فكانت منشأ الكُهَّان مُدَّعي النُّبوَّة، حيث كان فيها وحدها ثلاثة من المتنبئين الكذابين، في حين ظهر باليمن واحد، وفي عُمان واحد، فزادت حصة نجد من هذه الفتنة علىٰ ما تجمع في الجزيرة كلها، كما أنها كانت مسرحاً لعمليات القرامطة، وكان انطلاقهم من نجد، ومنها خرج قادة حركة الخوارج الذين قتلوا سيِّدنا علياً، وسيِّدنا عبد الله بن خباب، وزوجته من الصَّحابة، وكان التجمع الأكبر لحركة المرتدين من نجد وفيها، حيث خرج منها ما يقرب من (١٠٠) ألف مقاتل، ثم قامت الدولة الوهابية الأولىٰ، التي قتلت من المسلمين الموحدين مئات الألوف، ثم قامت الدولة الثانية، ثم قامت الدولة الثالثة، والتي تسمىٰ الآن بالسعودية، نسبة إلىٰ محمد بن سعود، الذي أبرم ابن عبد الوهاب اتفاقية قتل المسلمين معه، ولم تزل هذه الدولة إلىٰ الآن، ومن أكبر جرائمها تحالفهم مع الرومان ضد المسلمين بالعراق، ولم يزل العراق إلىٰ الآن منهوك القوىٰ .

فكان الشرُّ الذي خرج من نجد يفوق الشرَّ الذي خرج من أرجاء الجزيرة كافة، ليصدق فيهم حديث النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم منها يطلع قرن الشَّيطان، وبها الداء العضال، وهي مركز الفتن والزلازل، وبها تسعة أعشار الشر .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الإِرْهَابُ الفِكْرِيُّ عِنْدَ الحَرَكَةِ الوَهَّابِيَّةِ

وفيه العناوين التالية:

- ترجمة محمد بن عبد الوهاب النَّجْديّ .
- اتخاذها الدِّين جسراً لتحقيق مآربها .
- طمسها معالِمِ الفكر الإسلامي .
- عبثها بالتُّراث العلمي .
- طمسها معالِمِ التُّراث والتَّاريخ الإسلامي وفيه نماذج .

البَابُ الأَوَّلُ
مُؤَسِّسُ الحَرَكَةِ الوَهَّابِيَّةِ

محمد بن عبد الوهاب النَّجْديّ التميمي:

الذين كتبوا عن هذا الزعيم النَّجْديّ كثار، منهم من كان من مؤيديه، ومنهم من كان من معارضيه، ومن المؤيدين من غالىٰ فيه فرفعه فوق قدره، حتىٰ رفعه لمرتبة جعله في مصاف الأنبياء، والمصلحين العظماء، وشيخ مشايخ الإسلام، وغير ذلك من الألقاب التي لا تكون إلا لكبار الصَّحابة، ومن كان من الطرف الآخر انقسموا فيه أيضاً، فمنهم من نظر الىٰ أفعاله وعقائده فجعله قرناً من قرون الضلالة، ومنهم من نبزه باليهودية العرقية، أي أن الأصل الذي ينحدر منه هو يهود الدونمة من تركيا، وإني وإن كنت لا أميل إلىٰ هذا الراي، لأن الطعن في الأنساب كفر، إلا أنني أقول :

إن محمد عبد الوهاب هو أحد المتمرِّدين علىٰ إمام المسلمين، الذي أجمعت الأمة علىٰ إمامته، وأول من شقَّ عصا الطاعة له وخرج عليه، واتخذ من شعار التوحيد جسراً عبر منه إلىٰ ما يريد. ولد سنة (١١١١) هـ في بلدة «العيينة»، منطقة العارض، تبعد (٣٥) كم عن الرياض، فهي من قصبة نجد، ينحدر من قبيلة بني تميم، كان قويَّ الشخصية، طلب العلم علىٰ مشايخ منطقته، ثم انتقل إلىٰ المدينة المنورة، ثم ذهب إلىٰ البصرة لطلب العلم، ودرس المذهب الشيعي، وهناك بدأ اللقاء بينه وبين «هيمفر» المعتمد من قبل وزارة المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط، وكان مركزه في البصرة، واتخذ منه العملاء البريطانيون أداة لضرب الإسلام في عرينه [٢٨] .

---

(٢٨) هذا الرأي من كتاب: مذكرات هيمفر وكيل وزارة المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط مترجم من الإنجليزية الىٰ العربية، والطبعة التي بحوزتي مطبوعة سنة ١٩٧٣ م أي قبل ظهور هذا الجيل من الوهابية والسلفية مما يرجح صحة الكتاب،

وكانت بداية ظهور دعوته سنة (١١٤٣)هـ، فتفرَّس فيه والده أنه سيكون منه شرٌّ يصيب الأمة، فنصحه بالانتهاء عما يدعو إليه فلم يرعو، فحذَّر الناس منه، وكذلك أخوه الشيخ العلامة سليمان بن عبد الوهاب، أحد فضلاء الحنابلة، ألَّف كتباً في الرد عليه، ولما رآه الناس يدعو إلىٰ البدعة رفضوه وطردوه من بلده، فسكن العيينة وحريملا والدِّرعيَّة، فلَم يتم له الأمر، ولما رأىٰ عدم نجاح دعوته، اتخذ أسلوباً جديدا، فتقرب من أمير المدينة «عثمان بن مُعمَّر» وتزوج ابنة أخيه، ثم اتفقا علىٰ أن يساعد كل منهما الآخر، وذلك بأن تعطىٰ الحماية لمحمد بن عبد الوهاب، ليقوم بنشر دعوته وآرائه الجديدة، مقابل أن يتبع عثمان هذا محمد بن عبد الوهاب ويدخل في دعوته .

وتذكر جميع المصادر التي كتبت هذه الحادثة بما فيها من كتب لصالح الدعوة الوهابية أن عبد الوهاب هذا قال لعثمان : إن الله سيجعل منك ملكاً علىٰ نجد وأعرابها، مقابل دخولك في هذه الدعوة، فاستغل عبد الوهاب هذا المركز الجديد في العيينة، فأثار الفتن والقلائل من جراء دعوته، مما جعل الناس يمجُّونها، لأنه قام بهدم قبور الصَّحابة هناك، ومنها قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، ومما ذكره المؤرخون: أن ابن عبد الوهاب سمح لأتباعه بالتخلف عن صلاة الجماعة، وعدم دفع الزكاة، وغير ذلك من بِدَعِه، فثارت ثائرة المسلمين، فأصدر الحميدي أمير الإحساء والقطيف أمراً إلىٰ عثمان أن يتخلىٰ عن ابن عبد الوهاب، فأطاعه لأنه كان تابعاً له، فطلب عثمان من صهره الجديد أن يغادر العُيِّينة إلىٰ أي بلد يريد، فاختار الدِّرعيَّة، فتمَّ التمهيد من طريق عملاء بريطانيا إلىٰ اللقاء بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، وتذكر هذه المصادر أن هذه العائلة لَمْ تكن تمثل في الدِّرعيَّة سوىٰ إحدىٰ عوائل المدينة، فقد شهدت الدِّرعيَّة نزاعاً مستمراً بين تلك العوائل من القرن السابع عشر للحصول علىٰ النفوذ فيها، وفي

وليس فيه أنه يهودي الأصل، وإنما استدرجته المخابرات البريطانية استدراجا بأسلوبهم الخبيث، وجندوا له عملاء ذكورا وإناثا، وكانت بداية اللقاء به في البصرة .

بداية القرن الثامن عشر استقر النفوذ لعائلة سعود في الدِّرعيَّة، ولَم يشكل ذلك النفوذ سوىٰ تسلط عائلي في مدينة ضمن مئات المدن في جزيرة العرب .

ولَمَا لَم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد، ولَم يكن لهم تأثير يذكر في شؤون الجزيرة العربية، دفع هذا الواقع عملاء بريطانيا إلىٰ اللقاء بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، للبحث عن طريقة لتحقيق طموحاتهم في توسيع سلطته خارج الدِّرعيَّة علىٰ بلاد نجد، فوجدوا ضالتهم في استخدام المبادئ المتطرفة التي دعا إليها محمد عبد الوهاب استخداماً سياسياً، وذلك باعتبار جميع المسلمين في الجزيرة العربية كفاراً انحرفوا عن الدِّين الإسلامي، وارتدوا عنه لأنهم غير وهابيين، وعليه ومن أجل إنقاذ الإسلام لا بد من قتالهم والهجوم علىٰ ديارهم واستباحتهم، وهذه أفضل وسيلة للتوسع والسيطرة، مما يؤدي بالنتيجة إلىٰ تحقيق أهداف محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب المشتركة، ولَم يكن هذا الأمر سراً، فقد أوضح محمد عبد الوهاب في كتاب «تاريخ نجد» الذي أصدره آل سعود وآل الشيخ «ذرية محمد بن عبد الوهاب» والذي نقله عن رسائل محمد عبد الوهاب الشيخ حسين غنام، وأشرف علىٰ طباعته عبد العزيز بن مفتي الديار السعودية محمد بن ابراهيم آل الشيخ أوضح فيه القول: أن جميع أهل نجد دون استثناء كفرة تُباح دماؤهم ونساؤهم وممتلكاتهم، والمسلم هو من آمن بالسنة التي يسير عليها محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود .

أما حسين خلف الشيخ خزعل مؤلف كتاب: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، وهو من الكتب التي تدعو إلىٰ الوهابية وآل سعود وتمجِّدُهم، فقد أطلق علىٰ هذا الاتفاق اسم «**البيعة الكبرى**» .

ويقول أيضاً : إن محمد بن سعود قال لمحمد عبد الوهاب عند اتفاقهما : «أبشروا بالخير والعزة والمنعة» فردَّ عليه الشيخ عبد الوهاب: «وأنت أبشر باليمن والغلبة علىٰ جميع بلاد نجد»، وقد تم الاتفاق بينهما علىٰ أساسين :

الأول: أن يكون لأمير المؤمنين محمد بن سعود وذريته من بعده السلطة الزمنية أي الحكم .

الثاني: أن يكون للإمام محمد بن عبد الوهاب وذريته من بعده السلطة الدِّينية، بقتل كل من لا يسير للقتال، ولا يدفع لنا من مال، وقتل كافة الرافضين لدعوتنا والاستيلاء على أموالهم [٢٩] .

ولكي يعزز محمد عبد الوهاب هذا الاتفاق تزوج من أخت محمد بن سعود، لكي يصبحا عائلة واحدة في الوقوف ضد المسلمين، كما فعل من قبل في محاولة فاشلة مع عثمان بن معمر أمير العُيينة .

كان أول عمل إجرامي قام به محمد عبد الوهاب وشريكه بعد الاتفاق هو: الانتقام من عثمان بن معمر، وأهل العُيينة، مسقط رأسه الذين رفضوا دعوته، فقام بإرسال بعض أعوانه ومنهم: احمد بن راشد، وإبراهيم بن زيد، وموسى بن راجح إلى العُيينة، واغتالوا عثمان أثناء أدائه لصلاة الجمعة، وقال محمد عبد الوهاب عن هذه الجريمة: إن عثمان بن معمر مشرك كافر، فلما تحقق أهل الإسلام من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه في مصلاه بالمسجد في رجب سنة (١١٦٣)هـ [٣٠]

لَم يصبر أهل العُيينة على هذا العمل، فثاروا عليهما، لكنهما تمكنا من إخماد هذه الثورة ودمروا العُيينة تدميراً كاملاً، وبعدها قاموا بالتمثيل بأهلها، فقتلوا النساء، وبقروا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، وقطعوا أيدي الأطفال، وردموا الآبار، وأحرقوا الأشجار والمزروعات، وقد أرادوا من ذلك أن يبدأوا عملهم بإيقاع الرعب في قلوب الناس، ليسهل استيلاؤهم عليها، وما زالت بلدة العُيينة خرابا الى يومنا هذا .

---

(٢٩) انظر: [عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشّر (١/ ٤٢)، حوادث ما قبل ١١٥٣].

(٣٠) المصدر السابق .

البَابُ الثَّاني
عِظَمُ هَذِهِ الفِتَنِ وَخَطَرُهَا عَلَى الإِسْلامِ

بعد دراستنا لتاريخ نجد على مرِّ القرون، من لدن عهد الصَّحابة إلى يومنا هذا، وجدنا أنها كانت معقلاً للشر والفتن، فقد خرج منها المتنبئون الكذابون، والمرتدون، والقرامطة، والخوارج، وكان آخرها الوهابية .

وتشكل الوهابية أخطر هذه الحركات السياسية التي خرجت من نجد، وأشدها فتكاً بالمسلمين، ومن عظيم فتنة مؤسسها أنه استحق لقب قرن الشَّيطان الوارد في الحديث الشريف، حيث قام بأعمال عجز عنها شياطين الإنس والجن، من هدمٍ لِمعالِمِ تاريخ الإسلام في جزيرة العرب، ثم امتدت هذه الفتنة حتى طار شررها واستفحلت نارها، حتى لَم تدع بيتاً في العرب ـ بل والمسلمين ـ إلا دخلته، مصداقا لحديث النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في معرض حديثه عن أشراط الساعة: «ثم فتنة لا تدع بيتا في العرب إلا دخلته»، ومن معالِمِ هذه الفتنة التي حمل لواءها عبدالوهاب شيخ النَّجْديّين: اتخاذها الدِّين جسرا لتحقيق مآربها .

من خلال تجربتنا في الحياة، ومن خلال الدراسات المستفيضة التي أجريت على الحركات الفكرية في تاريخ الإسلام، ومثلها الحركات السياسية، وجدنا أن من أراد أن يتوَصَّل لهدف دنيوي، سواء الوصول لسدة الحكم، أو وظيفة حكومية، أو نشر مذهب فكري معين، وغير ذلك من الأهداف التي يريدها أصحابها، وجدنا أنَّ أهمَّ عامل يتخذونه لإنجاح دعوتهم، هو اتخاذهم من الإسلام جسراً يعبرونه إلى مقصودهم، ولنضرب على ذلك أمثلة من الواقع:

ذو الخويصرة: أول خارجي خرج في الإسلام، تظاهر بمظهر العدل والإنصاف، ووسم النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنه جائر في قسمته، فمطالبته بالعدل هو شعار ديني من صلب الإسلام .

الخوارج : الذين خرجوا على سيِّدنا علي، وانتهى بهم الأمر إلى قتله، كان شعارهم: «لا حكم إلا لله»، وهذا شعار ديني، ولكنه كما قال عنه سيِّدنا علي: كلمة حق أريد بها باطل، وهكذا هو شأن أصحاب الشعارات البراقة .

الدولة الأموية : قامت على أنقاض الخلافة الراشدة، وكان شعارها: المطالبة بدم سيِّدنا عثمان رضي الله عنه، وهو مطلب ظاهره شرعي .

الدولة العباسية : كان شعارهم الانتصار لآل البيت، الذين هُضم حقهم في الخلافة، وإراحة المسلمين من ظلم بني أمية .

المعتزلة : الذين خرجوا على الأمة في العصر العباسي، إنما استندوا بقولهم هذا لآيات من كتاب الله .

الدولة العُبَيدية : الذين تسموا «بالفاطمية» نادوا بمحبة آل البيت، والانتصار لهم حتى سموا الدولة بالفاطمية، مع أن السيدة فاطمة رضي الله هنها منهم براء .

وعلى الصعيد الحالي : فإن غالب الحكام الذين وصلوا إلى سدة الحكم كان شعارهم في البداية دينيا .

على المستوى الشعبي: رأينا مرات عديدة، أن المترشحين لمجلس الأمة، أو رئاسة بلدية يتخذون من الإسلام شعارات لهم مثل: إن خير من استأجرت القوي الأمين، وغير ذلك .

لذا من هنا نقول: إن هذه الحركة نادت كغيرها ممن سبقهم من الحركات الفكرية والسياسية بشعار الإسلام، لتكون مقبولة عند الناس، لأن الإسلام هو دين كل مسلم، وأن تعاليمه تاج على رؤوس المسلمين، لكنه خالف مَن قبلَه بأمرٍ هو مقصودٌ لذاته وهو، أنه إذا نادى بشعار العودة بالناس إلى الإسلام، فسوف يقابل بـ : إن الناس مسلمون، فيقول عندها: إن الناس كافة ارتدوا عن الإسلام من عهد ابن تيمية، وأنهم وقعوا في الشرك الأكبر، ولأجل هذا راح يفسر بعض آيات القرآن التي نزلت في

المشركين فحملها على المؤمنين، ليدعم قوله وفكرته، ويُضفي الصبغة الشرعية على ما سيقوم به من قتلٍ لجماعات المسلمين في الجزيرة العربية وخارجها .

وهذا مدخل شيطاني، بل عجز عنه شياطين الجن بأسرهم، فحتى يُسوِّغ لنفسه قتل المعارضين لدعوته، والدخول تحت حكمه الجديد، حكم على كل من لَم يدخل في دعوته، أو عارضه ولو بكلمة بأنه مشرك كافر حلال الدم، وكونه ينادي بإقامة دولة الإسلام، فكان الحكم على كل من خالفه هو القتل .

وقد أخذ ابن عبد الوهاب من تأصيل ابن تيمية لهذه المسائل دستوراً له، فاعتبر أن من توسل بأحد من الأنبياء أو الأولياء مشرك، وشركه أكبر من شرك أبي جهل، لأنه اتخذ مع الله نداً على حد تعبيره، واعتمد في ذلك على قوله تعالى : ﴿فَلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أحداً﴾ [الجن:١٨].

واعتبر الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف عبادة للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، واعتبر زيارة الأموات عبادة لهم، واعتبر الصَّلاة على النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عقب الأذان بدعة في الدِّين، مخرجة من الملة، يستحق صاحبها القتل، لذلك أعلن الحرب على المسلمين كافة، وبدأ بالقرية التي ولد فيها، فأغار عليها ودمرها تدميراً كاملاً، وأحرق الأشجار والزروع، وردم الآبار، وقتل الرجال، ثم أتبعهم الشيوخ والنساء، ثم عمد إلى الأطفال فقطع أوصالهم «الأيدي والأرجل» وهم أحياء، وبعدها عمد إلى النساء الحوامل، فبقر بطونهن واستخرج الأجنة وقتلهم، ولَم تزل هذه البلدة خرابا لغاية اليوم لَم تُسكن .

طمسُها معالِـم الفكر الإسلامي :

إن وحشية المغول في تدميرهم حضارة بغداد لم تتجاوز همجية هذه الحركة عندما استعلت على المسلمين في جزيرة العرب وخارجها، سواء على الصعيد العسكري، أو على الصعيد الفكري، فقد دمروا وأحرقوا المكتبات، وطمسوا المعالم التاريخية، والآثار النبوية، في كافة أرجاء الجزيرة، وخاصة ما كان منها في الحرمين الشريفين، وتمثلت همجيتهم:

(١) **بحرق المكتبات العامة والموقوفة** : قام الوهابي بمصادرة الكتب العلمية التي ازدانت بها مكتبة الحرم المكي، وفعل مثل ذلك بمكتبة الحرم النبوي، والمكتبة العامة في الطائف وكافة المكتبات الموجودة في الجزيرة وحرقها .

وحرق الوهابية المكتبةَ العربية في مكة المكرمة، وهي من أنفس مكتبات العالَم، إذ كانت تحوي ستين ألفاً (٦٠،٠٠٠) من الكتب النادرة، وحوالي أربعين ألف (٤٠،٠٠٠) مخطوطة، بعضها مما أملاه النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون، وسائر الصَّحابة، ومنها ما هو مكتوب علىٰ جلود الغزلان والعظام، والألواح الخشبية، والرقم الفخارية والطينية، كما كانت المكتبة تُشكِّل في جانبٍ منها متحفاً يحتوي علىٰ مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده .

إن هذا التَّصرُّف يبرهن علىٰ مدىٰ عدائه للإسلام، وبذل ما في وسعه لطمس معالِمِه، وهو تصرف ما يزال الوهابية يمارسونه بأشكال مختلفة، فهم يحرقون كتب المسلمين التي ترد إلىٰ بلادهم، ولا تناسب منهجهم ، وارجع للفائدة لما كتبه الدكتور محمد عوض الخطيب في «صفحات من تأريخ الجزيرة العربية الحديث»، دار المعراج للطباعة والنشر (ص: ١٨٩) وما بعدها .

(٢) منع دخول أي كتاب يخالف فكره إلىٰ جزيرة العرب، فأقام علىٰ كل منفذ حدودي مفتشين، ليس لهم عمل إلا التفتيش عن كتب التصوف، والعقيدة الأشعرية، والكتب التي تعارض فكره، وهو ما يسمىٰ بالحصار الفكري .

أما كتب التصوف: لما علمته بريطانيا من وقوف طرق التصوف في إفريقيا ضد التبشير النصراني، ولما فعلته طرق التصوف من حركات جهادية ضد المستعمر، فأوعزوا لعملائهم القيام بطمس معالم التصوف، وهو ما عملت عليه الوهابية جاهدة، وجهودهم في هذا المجال ما زالت إلىٰ اليوم علىٰ قدم وساق .

وأما كتب العقيدة الأشعرية: فهي عقيدة المسلمين على مر العصور، القائمة على تنزيه الله تعالى عن سمات المحدثات، فأرادوا استبدالها بعقيدة أهل الكتاب التجسيمية، ومن نظر في كتب العقيدة عند أهل هذه الحركة يجد الأدلة التي يستدلون بها على تجسيم الحق تعالى مستفيضة من كتابي: العهد القديم، والعهد الجديد .

(٣) القيام بحملات تفتيشية مفاجأة لبيوت المواطنين، والغرض منه التعرف والتجسس على المسلمين، هل يقرءون شيئاً يخالف هذا الفكر، ومن وجدوا عنده شيئاً من هذا القبيل عزَّروه بالجلد أو السجن وربما أدى به للقتل .

(٤) إخلاء المكتبات العامة من كتب الأخلاق «التصوف»، وطمس معالمه بالتزوير والتدليس والتشويه، فعمدوا إلى المكتبات الكبيرة في بلدان المسلمين، وشراءهم مخطوطات التصوف، ثم القيام بتحقيقها ممن دربوهم على مثل هذا العمل من طلاب العلم التابعين لهم، وتغيير ما أرادوا تغييره من عبارات أشادت بالتصوف، ومثال ذلك:

* تأسيسهم جمعية مقرها الكويت عنيت بهذا العمل، وكان تأسيسها سنة (١٩٨٦)م، وهو ما أخبرني به أحد مؤسسيها المعتبرين .

* ما قام به ناصر الألباني، الذي جندته الماسونية، من يهود ألبانيا، فأعلن إسلامه، وقاموا بتدريبه وتعليمه في الجامعة العبرية بتل أبيب، ثم إطلاق يده في العبث بالتراث الإسلامي، وأول عمل قام به: طمس ما أرادوا طمسه في مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، فقد مكث سنوات طويلة هناك يعمل من الصباح إلى المساء، بطمس العبارات المراد طمسها بقلم أسود عريض، حتى لا يستطيع أحد الرجوع لأصل الكلمة، على حين غفلة من القائمين على المكتبة.

ومن ثم قيامه بعد إكمال عمله هذا بالعبث بالحديث النبوي، وتصنيفه إلى قسمين: صحيح وضعيف، فقال برفض الضعيف، وأخذ الصحيح، بسابقة لم يعرف مثلها التأريخ على مر أزمانه، والحكم على

الأحاديث التي فرغ منها المحدثون بالتصحيح والتضعيف، حسب ما يملي عليه مذهبه، فصحح أحاديث قال العلماء بضعفها أو وضعها، وتضعيف أحاديث صححها العلماء .

ومنه التناقض في حكمه على الأحاديث، فتارة يصحح الحديث، ثم بعدها بمدة يضعفه، حتى يوقع الناس بحيرة من أمرهم في الحكم على الحديث النبوي .

(٥) العمل على إزالة أي كتاب أو مقال في صحيفة، أو أي شيء يخالف فكرهم في الشبكة الدولية «الانترنت» وقد وظف الوهابيون (٥٠٠) من الموظفين المختصين لهذه الغاية، ومما قام به هؤلاء خلال تصنيفي لهذا الكتاب:

- اختراقهم لموقع «منتدى الصوفية» وقيامهم بالشكاوى ضده، وكافة الضغوطات على الشركة من أجل إغلاقه .
- اختراقهم لموقع الصَّلاة على النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والذي أشرف عليه أنا الفقير راقم هذه السطور ولكن الله سلَّم، وقمنا بنقل السيرفرات الى شركة أجنبية .
- سحبهم للجزء المفقود من مصنف عبد الرزاق، الذي قام بتحقيقه الدكتور عيسى بن مانع الحميري .

٠٦ عدم إجازة أية رسالة علمية في الجامعات تحمل فيها فكراً غير فكرهم، وأكثر رسالة حرية بمنحها الإجازة بالتخرج هي: ما كان فيها سبٌّ لأحد من أولياء المسلمين، وتمجيد لصاحب هذه الحركة .

٠٧ طباعة الكتب التي تحمل فكرهم، وتصديرها خارج الجزيرة عن طريق عملائهم، أو إهدائه للحجاج والمعتمرين .

٠٨ منع أي عالِم من العلماء من خارج الجزيرة لا يحمل فكرهم، من التدريس في جامعاتهم ومدارسهم، وكذلك في الحرمين الشريفين .

٠٩ امتحان أي طالب علم يتقدم بطلب توظيف، بسؤاله عن عقيدة التجسيم المعمول بها عندهم، وهي عقيد ابن تيمية التي تنص على:

- أن الله مستو على العرش بذاته استواء يفيد المماسة والاستقرار . ٠
- إثبات أن الله له حد وغاية، وجهة ومكان .
- نسبة الجوارح إلى الله تعالى كاليد والوجه والرجل والجنب وغيرها من لوازم المحدثات .
- إثبات الحركة والسكون لله تعالى .
- اعتقاد تكفير جميع المسلمين «الأشاعرة» وأنه لا يجوز أكل ذبائحهم، ولا الزواج من نسائهم، وأنه يلزمهم ما يلزم المشركين في كل شيء .

هذه هي أهم البنود التي يمتحنون بها طالب العلم المتقدم بطلب توظيف في أحدى مؤسساتهم العلمية، فإن أثبت شيئاً منها كما يريدون قوبل بالترحيب والموافقة على الطلب وإلا قوبل عكس ذلك .

عَبَثُهَا بِالتُّرَاثِ العِلْمِيِّ :

الأمانة العلمية شيء مقدس عند العلماء، وهو من النواميس التي تدل على رُقيِّ الأمم وحضارتهم، فإذا تسربت الخيانة إلى هذه الرموز، فُقدت الثقة بعلومهم، وبالتالي لا قيمة لِما يكتبونه من العلوم .

والعبث بالتراث العلمي عند أرباب هذه الحركة مشهور، وربما يعتبرونه قربة الى الله تعالى، ويعتبرونه إزالة للمنكر، فقد قام عدد من المختصين منهم بشطب كل عبارة نُقلت عن العلماء المتقدمين، تشير للتصوف ومدحه، وتزوير بعض العبارات التي تخالف الشريعة وإلصاقها بأعيان الصوفية، وقد حدثني أحد رموزهم، وكان يظن أني منهم: أنه تم إنشاء لجنة من المختصين للعبث بالتراث الإسلامي، ومركزها الكويت، والبرنامج الموكول لها هو: شطب كل عبارة في التصوف، أو زيارة قبر النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واستبدال كلمة «قبر» بكلمة (مسجد)، وشطب كل كلمة تأمر بالصَّلاة على النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد الأذان، ومسائل غيرها كثيرة .

وهذا الأمر مشهور عندهم، وقد صنف عدد من العلماء مصنفات مستقلة عن سرقاتهم العلمية، وتدليساتهم، وعبثهم في التراث العلمي، وسأشير لبعض هذه الأمور:

- حذفهم لعبارة تأمر بالصَّلاة علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بعد الأذان من كتاب: «شرح منتهىٰ الإرادات» للبهوتي الحنبلي (١/ ١٢٧) .
- نسبوا بيت شعر للشيخ محي الدِّين بن عربي، فيه كفر صريح لا يقبل التأويل، أوردوه دون ذكر مصدر النقل، وإنما اكتفوا بصيغة التمريض، وقد تتبعت كتب الشيخ فلم أجده فيها، وأنزه القارئ عن قراءته لأنه كفر بواح .
- حذفهم عبارة الإمام الشافعي التي أثبتها النووي في مقدمة كتاب المجموع عند ترجمته له وهي قوله: صحبت الصوفية عشر سنين فاستفدت منهم كلمتين: الوقت سيف إن لَم تقطعه قطعك، والنفس إن لَم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، وقولهم العدم عصمة .
- تحريفهم بيتين من الشعر قالهما الشيخ محي الدِّين بن عربي هما :

العبدُ عبدٌ والربُّ رب   يا ليت شعري من المكلَّف
إن قيل عبدٌ فالعبد ميت   أو قيل ربٌّ أنىٰ يكلَّف

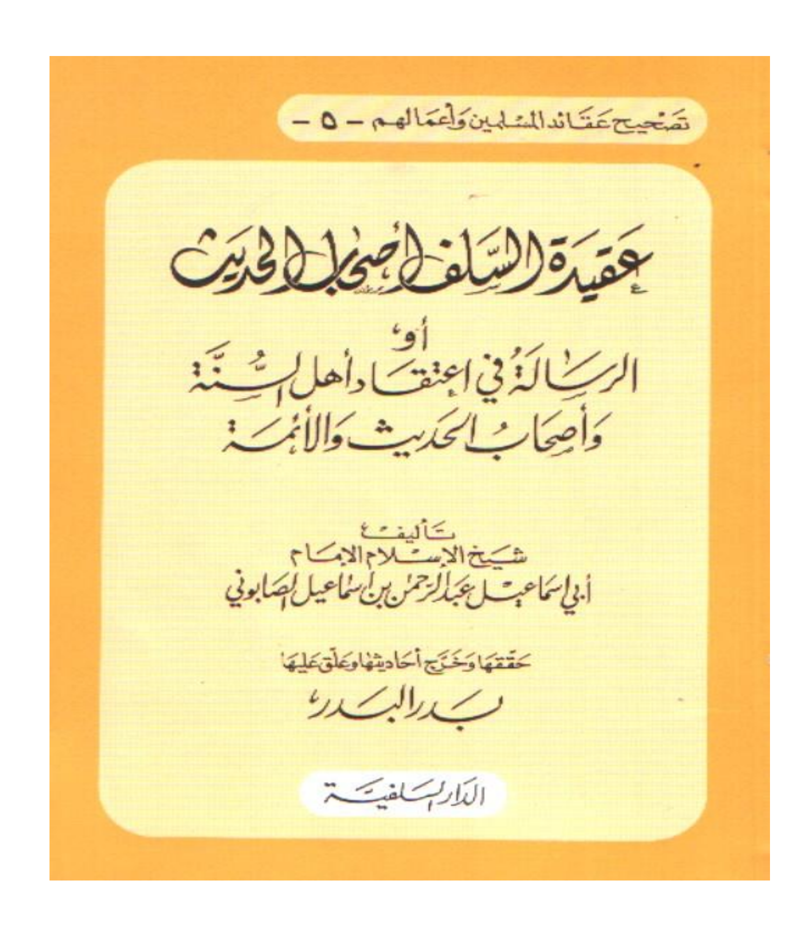
فأصبحا بعد التحريف:

العبدُ ربٌّ والربُّ عبدُ   يا ليت شِعري مَن المكلَّف
إن قيل عبدٌ فذاك ربٌّ   أو قيل ربٌّ أنىٰ يكلَّف

قام بتحريفهما حامد الفقي محقق مدارج السالكين، المجلد الأول، هامش (ص:٧٢) طبعة دار الكتب العلمية، والبيتان في أربعة من كتب الشيخ محي الدِّين ابن عربي، تجده في الصفحة الأولى من المجلد الأول من الفتوحات المكية.

- عبثهم في كتاب الأذكار للنووي باب زيارة قبر النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واستبدال كلمة (قبر) بكلمة (مسجد) .

وهذه نماذج مصورة من تزويراتهم:



٢ ـ أما بعد ، فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه[٤] محمد صلى الله عليه[٥] وعلى آله و[على] أصحابه الكرام ، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف

---

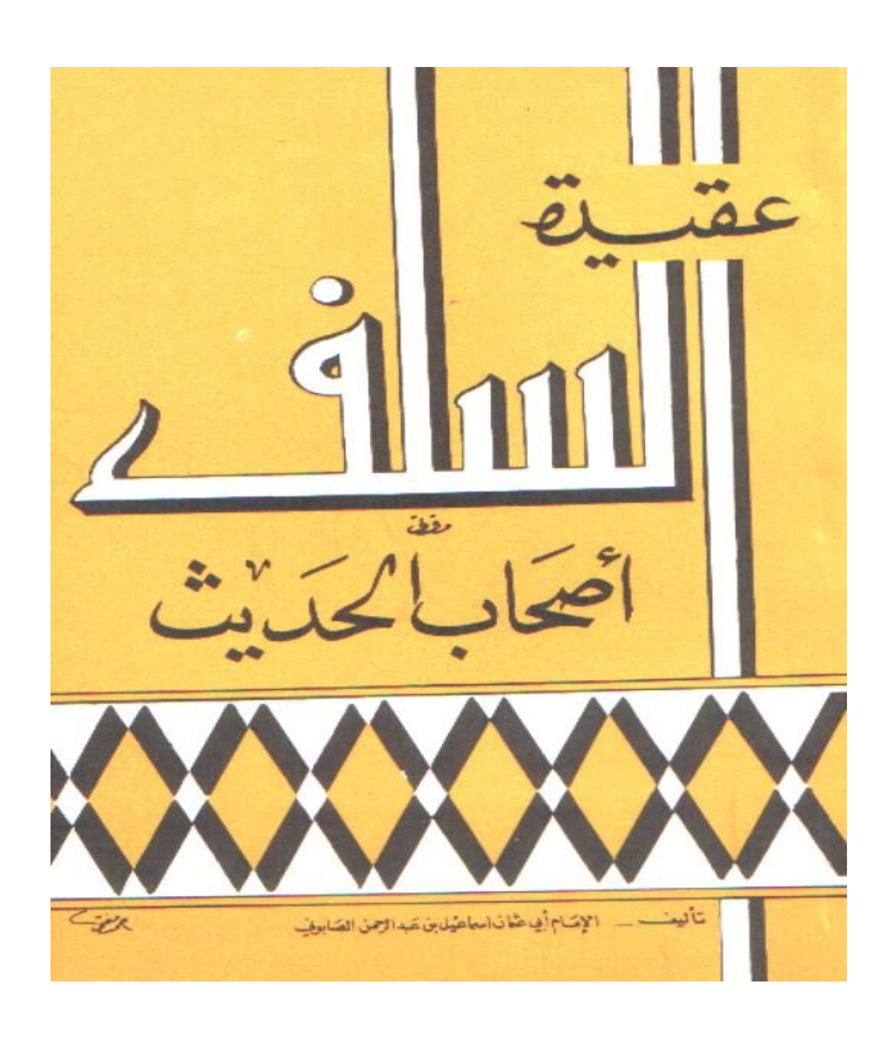
(١) في س : « المتجي » والصواب ما أثبتناه كما في اللباب (٣ : ٢٥٩) .

(٢) في المطبوعة : « صلى الله عليه » .

(٣) في المخطوطة : « صلى الله على محمد وآله أجمعين » .

(٤) قلت : الأولى بالمصنف ـ رحمه الله ـ أن يقول : « زيارة مسجد نبيه » . لأن المشروع هو السفر بقصد زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا قبره ، ويراجع للتوسع في هذا الموضوع كتابي شيخ الإسلام ابن تيمية : « الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية » . « والجواب الباهر في زوار المقابر » . وهما من مطبوعات المطبعة السلفية بمصر .

هذه الصفحة السليمة من التزوير وفيها كلمة «قبر نبيه محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم»، انظر الآن كيف شطب المحقق كلمة «قبر» واستبدلها بكلمة «مسجد» لينتصر لمذهبه بمنع زيارة النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم :

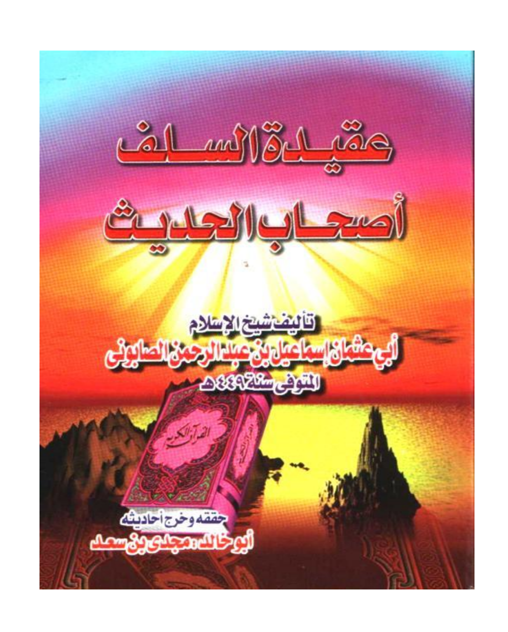

عقيدة
السلف
و
أصحاب الحديث
تأليف — الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني

(أما بعد) فإني لما وردت آمد طبرستان، وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد(١) نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين، التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين، وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملةَ المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتباعها،

(١) في الأصل: «قبره» وهو خطأ، لأن المشروع السفر بقصد زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا قبره، لأنه ثبت عنه عليه السلام أنه قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد «الأقصى» رواه الشيخان وغيرهما، هذا مع العلم أن قبره عليه السلام الآن في مسجده، ولا مانع لمن يزور مسجده (ص) من زيارة قبره تبعاً لذلك. «المعلق»

— ٦ —

وهكذا فعلوا في كتاب الأذكار للنووي، حيث شطبوا كلمة قبر، واستبدلوها بكلمة زيارة مسجد النَّبـيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . وهذا تزوير آخر لطبعة جديدة :


عقيدة السلف
أصحاب الحديث
تأليف شيخ الإسلام
أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني
المتوفى سنة ٤٤٩ هـ
القرآن الكريم
حققه وخرج أحاديثه
أبو خالد: مجدى بن سعد

عقيدة السلف أصحاب الحديث ١١

سبب تأليف الرسالة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

(أما بعد) فإني لما وردت آمد[١] طبرستان، وبلاد جيلان متوجهًا إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين، التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين، وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا

(١) هذا تصحيف، والصحيح آمُل: بضم الميم واللام، أكبر مدينة بطبرستان في السهل لأن طبرستان سهل وجبل، وهي في الإقليم الرابع - يعني من بلاد فارس - وبين آمل وجيلان حوالي عشرون فرسخًا .. وإليها ينسب أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور. [راجع إن شئت «معجم البلدان» ٥٧/١].

وهذا تزوير آخر قام به الوهابية وهو، حذف عبارة في كتاب حاشية العلاّمة الصاوي المالكي احمد بن محمد المتوفى سنة (١٢٤١)هـ على تفسير الجلالين، المجلد الخامس، طبعة دار إحياء التراث العربي، (ص: ٧٨) عند شرحه للآية الشريفة: (أفمن زُين له سوء عمله...) :

﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾ النار الشديد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتمويه ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا، دل عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ

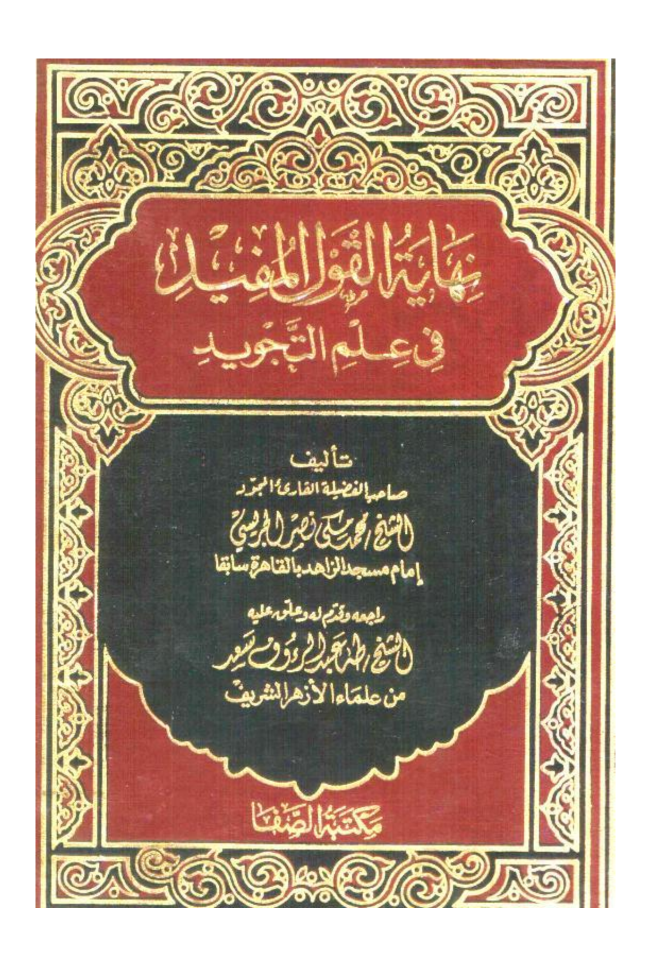
قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ إلخ بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته. قوله: **(هذا)** أي قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره، فله العذاب الشديد، ومن آمن من أول الزمان إلى آخره، فله المغفرة والأجر الكبير. قوله: **(ونزل في أبي جهل وغيره)** أي من مشركي مكة، كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها: ﴿ليس عليك هداهم﴾. ومنها: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾. ومنها: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ وغير ذلك. ففي هذه الآيات تسلية له ﷺ على كفر قومه، وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى. وقيل: نزلت في الشيطان، حيث زين له أنه العابد التقي، وآدم العاصي، فخالف ربه لاعتقاده أنه على كل شيء.

تم حذف عبارة: (لما هو مشاهد الآن في نظائرهم و هم فرقة بأرض الحجاز يقال لها الوهابية ... الخ) !!

قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السيىء، فهو من اضافة الصفة للموصوف. قوله: **(بالتمويه)** أي التحسين ظاهراً بأن غلب وهمه على عقله، فرأى الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأما من هداه الله، فقد رأى الحق حقاً فاتبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه. قوله: **(لا)** اشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري. قوله: **(دل عليه)** أي على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إلخ عليه، وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه، فلو كان كذلك، ما أسند الاضلال والهدى لله تعالى.

قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عامة القراء على فتح التاء والهاء، ورفع نفس على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاط أسباب ذلك، وقرىء شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و ﴿نَفْسَكَ﴾ مفعول به، ويكون المعنى: لا تهلكها على عدم إيمانهم. قوله: ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول لأجله، جمع حسرة، وهي شدة التلهف على الشيء الفائت. قوله: **(فيجازيهم عليه)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: **(وفي قراءة الريح)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(لحكاية الحال الماضية)** أي استحضاراً لتلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى. قوله: **(أي تزعجه)** أي تحركه وتثيره. قوله: **(فيه التفات عن الغيبة)** أي

وهذا تزوير في كتاب نهاية القول المفيد في علم التجويد، وهو من أعظم كتب التجويد التي ظهرت في أول القرن الرابع عشر الهجري إن لَم يكن أعظمها، وقد طبع الكتاب في مصر طبعات قديمة، لكن هناك طبعة جديدة بتحقيق الأستاذ العالِم طه عبدالرؤوف سعد خرجت عن دار الصفا هذه صورتها :



(أما بعد) فيقول أسير الشهوات كثير الهفوات الراجي من مولاه الفوز
والنصر الفقير محمد مكي نصر الجريسي مولدا والشافعي مذهبا الشاذلي طريقة
ومشربا إن أولى ماشغل العبد بلسانه وعمر به قلبه وجنانه وأفضل مايتوسل به
إلى نيل الغفران وأعظم مايتوصل به إلى دخول الجنان قراءة كتاب الله المجيد
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد مع التدبر
لمعانيه وإحكام مبانيه والعمل بما فيه . وأهم ما يجب تحصيله قبل تلاوته علم تجويد
حروفه وتصحيح قراءته

أما بعد : فيقول أسير الشهوات كثير الهفوات الراجي من مولاه الفوز والنصر
الفقير محمد مكي نصر ، الجريسي مولدًا والشافعي مذهبًا. إن أولى ما شغل العبد به
لسانه وعمر به قلبه وجنانه وأفضل ما يتوسل به إلى نيل الغفران وأعظم ما يتوصل به
إلى دخول الجنان قراءة كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

انظر كيف شطبوا كلمة «الشاذلي طريقة ومشرباً» من جملة محاربتهم للتصوف بطمس آثاره من كتب العلماء .

ومما أشرنا إليه سابقا، تزوير الوهابية في كتاب الأذكار للإمام النووي، حيث استبدلوا كلمة قبر بكلمة مسجد، عند كلام الشيخ بزيارة النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في المدينة بعد أداء مناسك الحج، فقال: باب زيارة قبر رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، وقد صدرت الأوامر الى الشيخ عبد القادر الأرناؤوط بتحقيق كتاب الأذكار فحققه، ثم أخذت دائرة الإفتاء والبحوث في الرياض مخطوطة التحقيق، وطبعوه، ولما صدرت الطبعة شاهد المحقق تزويراً في طبعة الكتاب الجديدة، فأصبحت العبارة، باب، زيارة مسجد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فأعلن براءته من هذا التزوير، وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا (الأذكار) للإمام النووي رحمهُ الله قدطبع بتحقيقي في مطبعة الملامح بدمشق سنة (١٣٩١)هـ ، الموافق (١٩٧١) م ، ثم قمت بتحقيقه مرةً أخرى وقام بطبعهِ صاحب دار الهدى بالرياض الأستاذ أحمد النحاس ، وكان قد قدمهُ للإدارة العامة لشؤون المصاحف ومراقبة المطبوعات برئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد في الرياض، وسلم الكتاب إلى هيئة مراقبة المطبوعات ، وقرأهُ أحد الأساتذة فتصرف فيه في (فصل في زيارة قبر رسول الله ﷺ) وجعلهُ (فصل في زيارة مسجد رسول الله ﷺ) مع تغيير بعض العبارات في هذا الفصل صفحة (٢٩٥) ، وحذف قصة العتبي ، وهو محمد ابن عبدالله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبةَ بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية الأموي العتبي الشاعر،الذي ذكر قصة الأعرابي الذي جاء قبر النبي ﷺ وقال لهُ: جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعا بك إلى ربي .

وأن العتبي رأى النبي ﷺ في المنام وقال له: يا عتبي إلحق الأعرابي فبشرهُ بأن الله قد غفر لهُ وحذف التعليق الذي ذكرتهُ حول القصة ، وقد ذكرت أنها غير صحيحة ، ومع ذلك كلهُ حذفها، وحذف التعليق الذي علقتهُ عليها .

وهذا التصرف الذي حصل في هذا الكتاب لم يكن مني أنا العبد الفقير إلى الله تعالى العلي القدير (عبدالقادر الأرناؤوط) وكذلك لم يكن من صاحب دار الهدى الأستاذ أحمد النحاس ، وإنما حصل من هيئة مراقبة المطبوعات ، وصاحب دار الهدى ومحقق الكتاب لا يحملان تبعة ذلك ، إنما الذي يحمل تبعة ذلك هيئة مراقبة المطبوعات ، ولا شك أن التصرف في عبارات المؤلفين لايجوز ، وهي أمانة علمية ، و إنما على المحقق والمدقق أن يترك عبارة المؤلف كما هي وأن يُعلق على ما يراهُ مخالفاً للشرع والسنّة في نظرهِ ، دون تغيير لعبارة المؤلف .... الخ

الوثيقة (٥)

نصُّ براءة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط من تحريف كتاب الأذكار للإمام النووي

١٣٠

الفهرس

١٣١

والآن نقف لحظات مع الفقيه العلامة عثمان بن عبد الله بن جامع الحنبلي الزبيري النَّجْديّ ثم البحراني، قال عنه ابن حميد الحنبلي المتوفىٰ سنة: (١٢٩٥)هـ في «السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة»: الفقيه النَّبيّه الورع الصالح، قرأ علىٰ شيخ وقته الشيخ محمد بن فيروز في الفقه وغيره، فأدرك في الفقه إدراكاً تاماً، ثم طلبه أهل البحرين من شيخه المذكور، ليكون قاضياً لهم ومفتياً ومدرساً فأرسله إليهم، فباشرها سنين عديدة بحسن السيرة والورع والعفة والديانة والصيانة، وأحبه عامَّتهم وخاصتهم

وصنَّف «شرح أخصر المختصرات» شرحاً مبسوطاً نحو ستين كُرَّاساً جمع فيه جمعاً غريبا، ولَم يزل على حسن الاستقامة والإعزاز التام ونفوذ الكلمة عند الأمير فمَن دُونَه إلى أن توفاه الله تعالى سنة (١٢٤٠)هـ .

وأخباره في [التسهيل (٢/ ٢٠٧)، وعلماء نجد (٣/ ٧٠٤)، وإمارة الزبير (٣/ ٦٨)] ، كانت مخطوطته في مكتبة عبد الله الدحيان الحنبلي الكويتي، ثم انتقلت إلى الأوقاف الكويتية، وهنالك وقف عليها الدكتور ابن برجس رحمه الله فقام بتحقيقها، وعند التحقيق فوجئ الرجل أثناء التحقيق أنَّ المؤلفَّ مناوئٌ لدعوة ابن عبد الوهاب، وأنه قد تعرض لمحمد عبد الوهاب في كتابه هذا، في باب الصَّلاة ومسألة رفع اليدين في الدعاء بعد الذكر حيث وصفه بـ«طاغية العارض» ! فقام ابن برجس بتحقيق الكتاب، ولَم يهمله أو يحذف منه شيئا، واكتفى بمناقشة المسألة في ثلاثة مواضع من التحقيق:

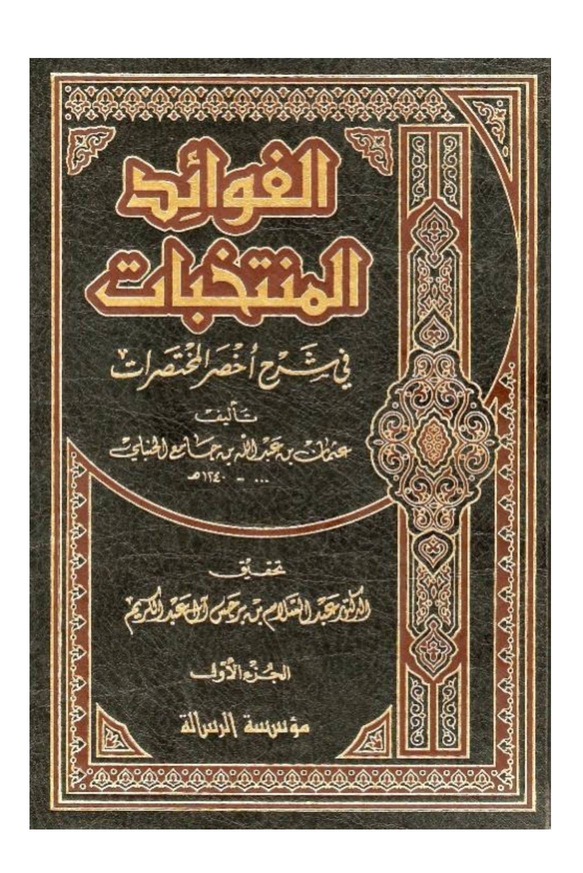
الموضع الأول : في مقدمة الكتاب، حيث عقد فصلاً لعقيدة العلامة عثمان بن جامع، وبيَّن أنه كان مناوئاً لدعوة ابن عبد الوهاب، شأنه في ذلك شأن شيخه العلامة الكبير ابن فيروز الحنبلي، ودلل المحقق على مناوءته هذه بالإحالة على (ص: ٢٠٧) من الكتاب حيث يصف المؤلف، ابن عبد الوهاب بطاغية العارض .

الموضع الثاني : في مقدمة الكتاب أيضاً، حيث عقد فصلاً لذكر المآخذ على الكتاب، وهناك ذكر مجددا أنه تعرض لشيخهم وسبَّه في (ص: ٢٠٧) ووصفه بـ ..... (هنا لا وجود للوصف بطاغية العارض) وتم حذفه !

الموضع الثالث : في الكتاب نفسه (ص:٢٠٧) في نص ابن جامع، في باب الصَّلاة، فقد أنكر على ابن عبد الوهاب ووصفه بما تقدم، ولكن تم حذف عبارة «طاغية العارض» وبدلاً منها وُضِعَت نقط !!! ومع هذا علق ابن برجس على هذا الموضع، وشرح كلمة «العارض» !! ودافع عن شيخهم ضد هجوم ابن

جامع، وهذا يدل على أن الكلمة كانت موجودة في الأصل المحقَّق، الذي كان بيد الدكتور ابن برجس، ولكنه خرج من يده ووصل إلى يد من قام بالحذف في الموضع الثاني والثالث وفاته الأول !!!

سأضع الآن صورة غلاف الكتاب وتليها صور المواضع الثلاث :



شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ كيف لا يكون كذلك وشيخه ابن فيروز ألدُّ أعداء الدعوة، وحامل لواء الطعن فيها،

ومن ثمراته في ذلك: المؤلف ـ عفا الله عنهما ـ فقد تأثر بشيخه، حتى كان غيضه على الدعوة وأهلها ليفيض في عبارته التي جاءت في ثنايا مؤلَّفه هذا، فشانه بها، حيث قال في كتاب الصلاة (ص ٢٠٧) عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (طاغية العارض) وقد رددت عليه هناك، فأغنى عن إعادته.

وهذا يدل على خلل في العقيدة عنده، لأن المعارضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب إنما هي معارضة لما وضحه وقرره من عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، فالطعن فيه دلالة على سوء عقيدة الطاعن.

وهذا منهج للسلف ـ رضي الله عنهم ـ يعرفون سوء عقيدة المرء بطعنه في علماء السنة وقدحه فيهم.

مالك عند الله حاجة؟» انتهى[١].

فحينئذ تبين لك فساد ما ذهب إليه .... ابن عبدالوهاب[٢]، من نهيه عن رفع اليدين بالدعاء بعد الفراغ من الأذكار

(١) لم أستطع الوقوف على مصدر لهذا الحديث فيه إسناده حتى يتبين حكمه.

(٢) هذا الطعن في شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ لا قيمة له ولا وزن عند أهل العلم المعتبرين. فقد تواتر فضله وإصلاحه، وبقي ذكره وتجديده للدين إلى اليوم، شهد بذلك الأعداء من المستشرقين ونحوهم، كما شهد بذلك أهل الصلاح والاستقامة من علماء الأمة المعروفين بسلامة المعتقد. فلا يطعن عليه إلا رجل مريض القلب، مبتلى بالبدع.

ينظر: «الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب» لمحمود مهدي استانبولي، و«الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه» لأحمد بن حجر آل أبو طامي، و«محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» لمسعود عالم الندوي، و«عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي» د. صالح بن عبدالله العبود.

وقول المؤلف: «العارض»: عَارِضٌ: بالراء ثم الضاد المعجمة، عارض اليمامة. والعارض: اسم للجبل المعترض. ومنه سمي «عارض اليمامة» وهو جبلها. ينظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٦٥)، و«معجم اليمامة» لابن خميس (٢/ ١٢٩). وقوله: «ابن عبدالوهاب» هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، مجدد هذا الدين في القرون المتأخرة، وحامل لواء السنة المطهرة: محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن مشرَّف، الوهبي، التميمي، النجدي، الحنبلي. ولد سنة (١١١٥هـ) في بلدة العيينة، قرأ على أبيه

وبعد .. فهذا مثال لتزوير جديد في كتب السلف لا نأمن في الطبعات القادمة أن يحذف منه أي دليل أو إشارة إلىٰ المحذوف، فمن هو المسؤول عن هذا التزوير؟ من قام به؟ لاحظنا أن المحقق لَمْ يكتم المسألة، ولَمْ يحذف العبارة في الموضع الأول، بل علق علىٰ كلمة «العارض» في (ص:٢٠٧) ولكن أين النص؟ أين ذهب؟ من حذفه؟ يبعد عندي أن يكون المحقق نفسه فعل ذلك مع ما نرىٰ من تلك الإشارات، فهل هي مؤسسة الرسالة؟ حتىٰ يسمح بالكتاب في السعودية؟ أم أيادٍ داخل السعودية نفسها؟ الله أعلم...

ومن جملة ما زوره الوهابية: كتاب «السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة» لابن حميد الحنبلي المتوفىٰ سنة (١٢٩٥)هـ، فعندما طبع الكتاب وقرأنا فيه ترجمة محمد عبد الوهاب من خلال ترجمة والده، وجدناه قد شنع عليه، وأن أباه حذّر منه، وقال عنه: «سيصيب الإسلام من ابني هذا شر»، لكن بعد أيام فوجئنا بفقد الكتاب من المكتبات، مع أن نسخ الكتاب كانت كثيرة، فأفادنا صاحب المكتبة بأن الوهابية قاموا بشراء جميع النسخ من عنده، وقبل سنتين أو أكثر كنت في المدينة المنورة، وخلال تفتيشي في مكتبة المسجد النبوي عما هو جديد، وجدت الكتاب مطبوعاً ومحققا، قام بتحقيقه بكر بو زيد، نشر مؤسسة الرسالة، فتصفحته فوجدت ترجمة محمد عبد الوهاب قد حذفت تماما، واستبدلت بترجمة في مقدمة الكتاب، ومما كتبه المحقق لمز المؤلف بالبغض لمحمد بن عبد الوهاب حيث أغفل ترجمته، وكان من الأجدر أن يترجم لشيخ الإسلام ومجدد دعوة التوحيد، و...الخ، فسألت قيِّم المكتبة عن عنوان المحقق فقال: هو بالرياض وقد توفي منذ ستة أشهر، وكنت أود الاتصال به وأخبره بما قام به من تزوير، لكنه أفضىٰ الىٰ ربه وهو يتولّىٰ حسابه .

***

طَمْسُها مَعَالِمِ التَّاريخِ الإِسْلامِيِّ:

اعتبر محمد عبد الوهاب أن القباب التي بنيت على ضرائح الأولياء والأنبياء مظهرٌ من مظاهر الشرك تجب إزالته، وأول عمل قام به هو:

* هدم القبة التي بنيت على قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، الأخ الشقيق لسيِّدنا عمر رضي الله عنه وعن أخيه، وسيِّدنا زيد استشهد يوم اليمامة في حربه ضد مرتدي نجد، وكذلك فعلوا بقبور الصَّحابة في تلك المنطقة .

* ولما توسع سلطانه على كافة أنحاء الجزيرة، هدم كل قبة في الحرمين، ومنها قبة العباس بن عبد المطلب بجوار الكعبة، وأزال كل قبر مشرف «مرتفع» وسوَّاه بالأرض، ومن تلك القبور قبور أصحاب الحجون، وهي مقبرة أهل مكة، وفيها قبور كثير من الصَّحابة منها: قبر السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها، فقد هدموا القبة التي كانت عليه، وهدموا المسجد الذي بُني على القبر، ثم تركوه صحراء قاحلة .

* طمسوا كثيراً من الكتابات والزخرفات في الحرم النبوي الشريف، منها أبيات شعر في التوسل بالنَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كُتبت على جدار الحجرة النبوية الشريفة من الخارج، وما زالت مطموسة باللون الأخضر .

* كما قام محمد عبد الوهاب وأعوانه بسرقة التحف والجواهر التي كانت في الحجرة النبوية الشريفة ومثلها ما كان داخل الكعبة .

* هدم كل مسجد بني على قبر ولي أو عالم، أو رجل اشتهر بالصلاح، أو انتسب لآل بيت النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومن المساجد التي هُدمت: مسجد العُريضي، نسبة لقرية يقع فيها هذا المسجد، وكانت تبعد عن المدينة (٤) أميال، وهي الآن ضمن مساحة المدينة، وعامرة بالسكان، وسكن هذه الأرض أبو الحسن علي بن جعفر الصادق، (١٤٨-٢١٠) هـ قال عنه الذهبي وابن العماد واليافعي وغيرهم: كان

متقدماً بالعلم والإمامة والزهد والورع والسخاء، وكان سيد قومه بني هاشم، حتى لقب بأبي الأشراف، وله مسجد مقصود «مسجد العُريضي» وبجانب القبة منارة، ومن غربي المقام مزارع كثيرة وآبار، وقد بني هذا المسجد ومرفقاته زمن العثمانيين .

وقد تم هدم المسجد ومرفقاته كاملاً، ونُبشت قبور السيد على العريضي ومن معه يومي الثلاثاء والأربعاء (٤،٥/ ٦/ ١٤٢٣)هـ إنا لله وإنا إليه راجعون .

* ومن ذلك مسجد بني قريظة، سمي بذلك لأن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم صلىٰ في هذه المنطقة عند غزوه لبني قريظة عام (٥) هـ بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كان والياً على المدينة عام (٨٧- ٩١) هـ ، وقد بقي هذا المسجد عامراً بالصَّلاة طوال هذه القرون، حتىٰ هدمه الوهابية في شهر ربيع الأول من عام (١٤٢٢) هـ .

* هدمهم لمسجد العريش في بدر، وهو مسجد بُني مكان العريش الذي عُمل لسيِّدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في غزوة بدر الكبرىٰ، كما هدموا ما كان مبنياً علىٰ قبور الشهداء، وقد صَلَّيتُ في هذا المسجد مرات عند زيارتي للشهداء رضي الله عنهم، والآن بعد هدم المسجد منع الوهابيون زيارة الشهداء في بدر مطلقاً، ووضعوا نقاط تفتيش هدفها منع وصول أي زائر لتلك المنطقة، ولا يسمحون إلا لسكان تلك المنطقة فقط .

* هدم الوهابيون مسجد السَّبق، في المدينة المنورة، وهو مسجد بناه عمر بن عبد العزيز مكان ميدان الخيل، التي كان يُجري صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم سباقها في ذلك المكان .

* هدم الوهابيون مسجد الكاتبية، حيٌّ في المدينة المنورة، جنوب غرب المسجد النبوي الشريف، بتهمة أنه مبني على قبر ولي، وقد صليت فيه مرارا، ثم أزالوه سنة (١٤٢٥) هـ .

* هدمهم لمسجد سعد بن خيثمة، بجوار مسجد قباء .

* هدمهم لمسجد عِتبان بن مالك، بجوار مسجد قباء أيضا .

* هدم القباب التي بنيت على قبر والدي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثم سكبهم البترول على قبر السيدة آمنة بنت وهب عليها السَّلام، وهي والدة سيد الوجود سيِّدنا ومولانا محمد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كما أخبرني أحدهم مقيم في المدينة المنورة .

* مسجد في الحديبية: ومن جملة ما أزاله زعماء الحركة الوهابية من آثار النبوة، وهي الأمكنة التي تشرفت بمس جسم النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المسجد الذي أقيم مكان بيعة الرضوان في منطقة الحديبية، وقد قمت بالصَّلاة فيه وأنا قادم من جدة باتجاه مكة المشرفة، فوجدته مليئاً بالتراب والأوساخ وغير مفروش، ولا يوجد فيه أي خدمات مطلقاً، ثم مررت به من العام القابل فوجدته قد أزيل تماماً، حتى لَم أكد أتعرف على مكان المسجد .

* طمسهم للآبار التي كانت زمن النبوة، منها: بئر أريس، وبئر «حا» . وهذا البئر الآن ضمن بناء المسجد النبوي الشريف من الجهة الشمالية، وهو على يسار الداخل من باب فهد بن عبد العزيز، وقد غطاه الوهابية بالسجاد، ولا يسمحون لأحد برؤيته مطلقا، إلا أنني رأيت مكانه قبل أعوام، أرانيه أحد خدام المسجد النبوي.

ومن الآبار التي طمست آثارها: بئر بضاعة، وهو البئر الذي كان يجلب منه الماء للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

* ومن ذلك جبل الرماة في منطقة أحد، أخذت «الجرافات» منه أكثر من النصف، ومثلها قبور الشهداء في أحد، ومنهم قبر سيد الشهداء، فأصبحت القبور صحراء قاحلة لا يُرى منها قبر .

وباختصار، كما رأيت بعيني منذ عام (١٩٧٦) حتى تاريخ تأليف هذا الكتاب، أزال الوهابية كل ما استطاعوا الوصول إليه من آثار النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وصحبه الكرام، ولآل بيته الطاهرين، ونشرت إحدى الفضائيات الأجنبية تقريراً أن الوهابية أزالت فعلاً ما نسبته (٩٥٪) من الآثار التاريخية في بلاد الحرمين، ولم يبق منها غير القبة الخضراء على قبر النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر

وعمر، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيل، وميزاب الكعبة، والحجر الأسود، وقـد تقـدَّم أحـد الوهابيـة بمشـروع إلى الملك سلمان، وإلى رئيس مؤسسة الإشراف على الحرمين الشريفين، طلـب فيـه نـبش قـبر النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم وصاحبيه، ونقلهم إلى البقيع . انتهى التقرير

ذكر الدكتور ناصر السعيد في كتاب تاريخ آل سعود، أنهم قاموا بقصف جبل النور الذي يقع فيه غار حراء بالطائرات، عندما عجزوا عن هدم الغار لارتفاعه وصعوبة الوصول إليه .

ومما عجزوا عن هدمه القبة الخضراء التـي بنيـت عـلى حجـرة رسـول الله صـلَّى اللهُ عليـه وسـلَّم في مسجده، وكان ذلك عام (١٩٤٦) حين صعد أحد ولاة الأمر المعتبَرين عندهم إلى سطح المسجد وأخذ المعول، وبدأ بضـرب القبة إعلاناً منه بإزالتها، فخرجت شرارة من القبة وضربت عينه فقُلعت، ومـات أعور، فكفُّوا عن هدمها عجزاً منهم وخوفا، ولكنهم قطعوا الإنارة الليلية عنها، وبقيت على المنائر التي بنوها على المسجد .

ومن الجدير بالذكر أن آثار اليهود في المدينة وخيبر لَم تزل على حالها لَم تُمس بسوء، وقد حافظت عليها السلطة وحفظتها من العبث وقد كتبوا على أطرافها لافتة تحذيرية : انتبه....

منطقة أثرية يمنع العبث وإلقاء النفايات

ومثل ذلك الآثار اليهودية في خيبر لَم تزل على حالها، وتم تغيير طريق الحج الشامي من أجـل المحافظـة عليها .

الفَصْلُ الرَّابِعُ
الإِرْهَابُ الدَّمَويُّ عِنْدَ الوَهَّابيَّةِ

- قتلهم للمسلمين داخل الجزيرة العربية .
- قتلهم للمسلمين خارج الجزيرة وفيه:
- غزوهم للعراق .
- غزوهم لليمن .
- حربهم في حضرموت .
- غزوهم للأردن .
- غزوهم سوريا .
- غزوهم عُمان .

الفَصْلُ الرَّابِعُ
الإِرْهَابُ الدَّمَوِيُّ عِنْدَ الوَهَّابِيَّةِ

إن قتل المسلم بدون سبب شرعي جريمةٌ كبرىٰ، وإفسادٌ في الأرض، وإلحادٌ في البلاد، وانظر إلىٰ الملائكة كيف خاطبت الحق تعالىٰ عندما أعلمهم بخلق أبينا آدم عليه السَّلام : ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فسمت الملائكة القتل إفسادا، ولَمْ تُشر إلىٰ أي معصية من المعاصي التي ربما يرتكبها الآدمي سوىٰ القتل، وقد بيّن الله تعالىٰ خطورة القتل العمد، وأنه من قتل نفساً عمداً ولو كانت كافرة، فكأنما قتل أهل الأرض جميعهم، فقال في سورة المائدة : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة:٣٢]، وعلىٰ لسان النبوة ما جاء عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم « لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ » (٣١)، وفيه أيضا عن ابن عباس قال: نظر رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إلىٰ الكعبة، فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك!! وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إن الله حرم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثا: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء» (٣٢) .

وقد صوَّر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم جريمة القتل العمد فقال في خطبته يوم النحر: «أيُّ يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، فقال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلىٰ، قال: «فأي شهر هذا؟» أو قال: «أتدرون أي شهر هذا؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، حتىٰ ظننا أنه سيسمِّيه

---

(٣١) [شُعَب الإيمان (٧/ ٢٥٥، رقم:٤٩٥٨)] .

(٣٢) (٩/ ٧٥، رقم: ٦٢٨٠) .

بغير اسمه، فقال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أتدرون أي بلد هذا»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، فقال: «أليس بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، وفي بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، ليبلغ الشاهدُ الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع، ألا فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض» (٣٣) .

لهذا حكم الله تعالى على القاتل الخلود في نار جهنم وإن صام وصلى، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيماً ﴿٩٣﴾ ﴾، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : «لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه، ما لَمْ يُصب دماً حراماً» (٣٤)، وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول: «كل ذنبٍ عسى اللهُ أن يغفرَه، إلا من مات مشركاً، أو مؤمنٌ قتل مؤمناً متعمداً» (٣٥) .

ومع هذه النصوص العظيمة، في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في خطورة القتل العمد، لَمْ يلتفت إليها الشيخ النَّجْديّ، ورمى بها عُرض الحائط، ومشى على الموحدين بالقتل حتى أهلك العباد، وأفسد في البلاد .

فقد قامت حركته على أشلاء المسلمين من الشيوخ والنساء والأطفال، الذين لا ذنب لهم، ولا قدرة لهم على القتال، زيادة على ما قتلوه من العلماء والصلحاء والشبان، حتى أصبحت هذه الحركة لا تُذكر إلا ويُذكر معها شبحُ الرُّعب الدموي الذي خلَّفته، وبحقٍّ أقول: إن الإسلام ما بُلي بمحنة ومصيبة مثل هذه الفتنة، التي حمل لواءها الأعراب النَّجْديّون .

---

(٣٣) [صحيح البخاري (١/ ٢٤، رقم:٦٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٠٦، رقم: ١٦٧٩)].

(٣٤) [صحيح البخاري (٩/ ٢ رقم:٦٨٦٢)].

(٣٥) [سنن أبي داود (٤/ ١٠٣، رقم:٤٢٧٠)].

وأول من سنّ لهذه الحركة قتل المسلمين ابن تيمية الحراني، فقد ذكر القتل للعصاة في كتابه الفتاوىٰ الكبرىٰ وحده (٤٦) مرة، في الطبعات الجديدة، وأما القديمة فأكثر من ذلك، ومن أخطر هذه الفتاوىٰ: الفتوىٰ بقتل من جهر بالنية في الصَّلاة، وهذه الفتوىٰ جاءت في المجلد الأول، من كتابه: الفتاوىٰ الكبرىٰ، المسألة الأولىٰ منه، وقد حذفت الأيدي الوهابية هذه الفتوىٰ من الطبعات الحديثة، بعد ما واجهته من الضغوط الدولية، بسبب ما فعله الجناح التكفيري لحركتهم .

ثم جاء ابن عبد الوهاب، فأحيا ما اندرس من كتب ابن تيمية، واعتنىٰ بها عناية كبيرة، فأفتىٰ بكفر من لَم يدخل في دعوته، كما وأفتىٰ بكفر كل من عارض مسألة جزئية مما يدعو إليه، كالاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، والجهر بالصَّلاة علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بعد الأذان واستقبال القبر الشريف بالدعاء، والتوسل بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وبغيره من الأولياء، أو الاستغاثة بهم، أو زيارة القبور، والبناء عليها أو رفعها عن مستوىٰ الأرض، وأفتىٰ بكفر من سلك مذهب التصوف، أو اعتقد عقيدة التنزيه لله تعالىٰ، ولَم ينسب الجسمية لله تعالىٰ ... والمسائل التي كفّر المسلمين بها كثيرة .

ولما اعتبر نفسه حامل لواء التوحيد، وأنه نائب عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في إقامة شرع الله، فقد حكم بالقتل علىٰ كل من خالفه في هذه الجزئيات الفقهية، لاعتباره مشركاً شركاً أكبر، مُخرجاً من الملة، وقد نظم لذلك حملاتٍ عسكرية، سماها غزوات، تشبهاً بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فكل معركة حضرها ابن عبد الوهاب سُميت غزوة، وكل من غزاهم استحل دماءهم، ونساءهم، وأموالهم، فقتل الرجال، واسترقَّ النساء والأطفال، وأخذ المال والأرض، وترىٰ ذلك واضحا في الكتب التي أرخت للحركة الوهابية مثل: «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بِشر، و«تاريخ نجد» لحسين غنام، بل إن ابن غنام هذا، سمىٰ الجزء الثاني من كتابه والذي ذكر فيه قتل ابن عبد الوهاب للمسلمين : «الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية».

وابتداء القتل عند ابن عبد الوهاب في قريته التي وُلد فيها، ثم انتقل إلىٰ القبائل النَّجْديّة، ثم قبائل الجزيرة، ولما دانت له قاتل البلدان الإسلامية المجاورة كاليمن وحضرموت، وعُمان، والكويت، والعراق، وسوريا، والأردن .

قَتْلُهُمُ المسْلِمِينَ في الجزِيرَةِ :

قال الشيخ احمد زيني دحلان: مفتي السادة الشافعية في مكة المكرمة، في كتابه خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، فقال تحت عنوان فتنة الوهابية:

«فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز، حتىٰ استولوا علىٰ الحرمين، ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري، كان ابتداء القتال فيها بينهم وبين أمير مكة، مولانا الشريف غالب بن مساعد، وهو نائب من جهة السلطنة العليَّة علىٰ الأقطار الحجازية، وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة (١٢٠٥)هـ، وكان ذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث، ابن السلطان مصطفىٰ الثالث بن أحمد .

وأما أول ظهور فتنة الوهابية فكانت قوَّتُهم وشوكُتهم في بلادهم أولاً، ثم كثر شرُّهم وتزايد ضررُهم، واتسع ملكهم، وقتلوا من الخلائق ما لا يُحصَون، واستباحوا أموالهم وسبَوا نساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث: محمد بن عبد الوهاب، وأصله من المشرق من بني تميم، وكان من المعمِّرين، عاش قريب مائة سنة، حتىٰ انتشر عنه ضلالهم، كانت ولادته سنة (١١١١) هـ، وهلك سنة (١٢٠٦)هـ وأرخه بعضهم بقوله: بدء هلاك الخبيث (١٢٠٦)هـ وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وكان أبوه رجلاً صالحاً من أهل العلم، وكذا أخوه الشيخ سليمان، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرَّسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال، لِما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل، وكانوا يُوبِّخونه ويحذِّرون الناس منه، فحقَّق الله فراستهم فيه لما ابتدع من الزَّيغ والضَّلال الذي أغوىٰ به الجاهلين، وخالف فيه أئمة الدِّين، وتوصَّل بذلك إلىٰ تكفير المؤمنين، فزعم أن زيارة قبر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم والتوسُّل به وبالأنبياء والأولياء والصَّالحين،

وزيارة قبورهم شرك، وأن نداء النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عند التَّوسُّل بهم شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء الصالحين عند التَّوسُّل بهم شرك، وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً، نحو نفعني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التَّوسُّل به في شيء، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه، وأتى بعبارات مزوَّرة زخرفها ولبَّسَ بها على العوام حتى تبعوه، وألَّف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتصل بأمراء المشرق أهل الدِّرعيَّة، ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته، وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه، وتسلَّطوا على الأعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض، وصاروا يعتقدون أن من لَم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدور الدم والمال، وكان ابتداء ظهور أمره سنة (١١٤٣)هـ وابتداء انتشاره من بعد (١١٥٠) هـ.

ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التي كفَّروا بسببها المسلمين، ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعد قبيلة، ثم اتسع مُلكهم فملكوا اليمن، والحرمين، وقبائل الحجاز، وبلغ مُلكهم قريباً من الشام، فإن مُلكهم وصل إلى المزيريب، وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم، ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين، ويُدخِلون عليهم الشُّبهة بالكذب والميْن، فلما وصلوا إلى الحرمين، وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تملكوا به، ردَّ عليهم علماء الحرمين، وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقَّق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم، ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفِّرات، فبعد أن أقاموا البرهان عليهم، كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة، تتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد، ليشتهر بين الناس أمرُهم، فيعلم بذلك الأول والآخر، وكان ذلك في مدة إمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة (١١٦٥)هـ، وأمر بحبس أولئك الملحدة، فحُبسوا وفرَّ بعضهم إلى الدِّرعيَّة، فأخبرهم بما شاهدوا، فازدادوا عتوّاً واستكباراً، وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج، فصاروا يُغِيرون على بعض القبائل

الداخلين تحت طاعة أمير مكة، ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة، مولانا الشريف غالب، وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من (١٢٠٥)هـ، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة، قُتل فيها خلائق كثيرون، ولَمْ يزل أمرهم يقوىٰ، وبدعتهم تنتشر، إلىٰ أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة .

وفي سنة (١٢١٧)هـ، ساروا بجيوش كثيرة حتىٰ نازلوا الطائف، وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم تملكوهُ وقتلوا أهله رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولا نجا منهم إلا القليل، ونهبوا جميع أموالهم، ثم أرادوا المسير إلىٰ مكة، فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج، ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري، فيخرج الجميع لقتالهم، فمكثوا في الطائف إلىٰ أن انقضىٰ شهر الحج، وتوجه الحجاج إلىٰ بلادهم، وساروا بجيوشهم يريدون مكة، ولَمْ يكن للشريف غالب قدرةٌ علىٰ قتال جيوشهم، فنزل إلىٰ جدة، فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف، فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة، فأعطوهم الأمان، ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة (١٢١٨)هـ، ومكثوا أربعة عشر يومًا يستتيبون الناس، ويجدِّدون لهم الإسلام علىٰ زعمهم، ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك، كالتَّوسُّل وزيارة القبور، ثم ساروا بجيوشهم إلىٰ جدة لقتال الشريف غالب، فلما أحاطوا بجدة رمىٰ عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيراً منهم، ولَمْ يقدروا علىٰ تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية أيام، ورجعوا إلىٰ بلادهم، وجعلوا لهم عسكراً بمكة، وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب، وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة، ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم، وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية، وهو شريف باشا ومعهما العساكر، فوصلوا إلىٰ مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية، ورجعت إمارة مكة للشريف غالب، ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل، وصار الطائف بأيديهم، وجعلوا عليه أميراً «عثمان المضايفي»، فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي

في أطراف مكة والمدينة، ويُدخلونهم في طاعتهم، حتىٰ استولوا عليهم وعلىٰ جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة، فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء علىٰ مكة، فساروا بجيوشهم سنة عشرين، وحاصروا مكة، وأحاطوا بها من جميع الجهات، وشدَّدوا الحصار عليها، وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عنها، فاشتد الحصار علىٰ أهل مكة حتىٰ أكلوا الكلاب لِشِدَّة الغلاء وعدم وجود القوت، فاضطر الشريف غالب إلىٰ الصلح معهم، وتأمين أهل مكة، فوسَّط أناساً بينه وبينهم، فعقدوا الصلح علىٰ شروط فيها رفق بأهل مكة، فمن تلك الشروط: أن إمارة مكة تكون له، فتم الصلح، ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين، وتملكوا المدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وانتهبوا الحجرة، وأخذوا ما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالاً شنيعة، وجعلوا علىٰ المدينة أميراً منهم: مبارك بن مضيان، واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين، ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مكة، وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوباً من العباء القيلان الأسود، وأكرهوا الناس علىٰ الدخول في دينهم، ومنعوهم من شرب التنباك، ومن فعل ذلك وأطّلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير، وهدموا القبب التي علىٰ قبور الأولياء .

وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير، وشدة قتال مع النصارىٰ، وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم، ثم صدر الأمر السلطاني من خليفة رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم سلطان محمود خان ثاني بن عبد الحميد خان أول سلطان أحمد لصاحب مصر محمد علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية، وكان ذلك في سنة (١٢٢٦)هـ فجهز محمد علي باشا جيشاً، فيه عساكر كثيرة، جعل عليهم ولده طوسون باشا، فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولَمْ يزالوا سائرين براً وبحراً، حتىٰ وصلوا إلىٰ ينبع، فملكوه من الوهابية، ثم لما وصلت العساكر إلىٰ الصفرا والحديدة، وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفرا والحديدة، وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي، وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش، وقتلوا كثيراً منهم، وانتهبوا جميع ما كان معهم، وكان

ذلك في شهر ذي الحجة سنة (٢٦)، ولَم يرجع من ذلك الجيش إلىٰ مصر إلا القليل، فجهز جيشاً غيره سنة سبع وعشرين، وعزم محمد علي باشا علىٰ التوجه إلىٰ الحجاز بنفسه، وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد، وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعاً وثلاث قنابل، فاستولت العساكر علىٰ ما كان بيد الوهابية، وملكوا الصفراء والحديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال، بل بالمخادعة ومصانعة العرب، بإعطاء الدراهم الكثيرة، حتىٰ أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال، وأعطوا شيخاً من صغار مشايخ حرب أيضاً ثمانية عشر ألف ريال، ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة: الشريف غالب، وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي، وأما المرة الأولىٰ التي هُزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتىٰ يكون الأمر بتدبيره، ودخلت العساكر المدينة المنورة في أواخر ذي القعدة، واستولت العساكر السائرة من طريق البحر علىٰ جدة في أوائل المحرم سنة ثمان وعشرين، ثم طلعوا إلىٰ مكة واستولوا عليها أيضاً، وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سرّاً، ولما وصلت العساكر إلىٰ جدة، فرَّ مَن كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم، وكان سعود أمير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل إلىٰ الطائف، ثم إلىٰ الدِّرعيَّة ولَم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية علىٰ المدينة إلا بعد ذلك، ثم لما وصل إلىٰ الدِّرعيَّة علم باستيلائهم علىٰ مكة ثم الطائف، ولما وصلت العساكر إلىٰ جدة ومكة فر من الطائف أميرُها عثمان المضايفي، وفرَّ مَن كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم .

وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد علي باشا بنفسه إلىٰ الحجاز، وقبل توجهه من مصر - قبض الشريف غالب علىٰ عثمان المضايفي الذي كان أميراً علىٰ الطائف للوهابية، وكان من أكبر أعوانهم وأمرائهم فقيَّده بالحديد وبعثه إلىٰ مصر، فوصل في ذي القعدة بعد توجه الباشا إلىٰ الحجاز، ثم أُرسل إلىٰ دار السلطنة فقتلوه، ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة إلىٰ مكة، وقبض علىٰ الشريف غالب بن مساعد، وبعثه إلىٰ دار السلطنة، وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيي بن سرور بن مساعد، وفي

شهر محرم من سنة (٢٩) بعثوا إلىٰ السلطنة مبارك بـن مضـيَّان، الـذي كـان أمـيراً عـلىٰ المدينـة المنـورة للوهابية، فطافوا به في القسطنطينية في موكب ليراه الناس، ثم قتلوه وعلقوا رأسه عـلىٰ بـاب الســرايا، وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي، وأما الشريف غالب فأرسلوه إلىٰ سلانيك، وبقي بها مكرماً إلىٰ أن توفي سنة إحدىٰ وثلاثين، ودفن بها وبني عليه قبة تزار، ومدة إمارته علىٰ مكة ست وعشرون سنة.

ثم إن محمد علي باشا وجه كثيراً من العساكر إلىٰ تربة وبيشة، وغامد وزهران وعسير، لقتـال طوائـف الوهابية وقطع دابرهم، ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشـرين، ووصل إلىٰ تلك الديار، وقتل كثيراً منهم وأسر كثيرا، وخرَّب ديارهم، ورجع محمد علي باشا عند إقبـال الحـج، وحـج ومكـث بمكة إلىٰ رجب سنة ثلاثين، ثم توجه إلىٰ مصـر وترك بمكة حسن باشـا، ووصـل الباشـا إلىٰ مصـــر في منتصف رجب سنة (١٢٣٠)هـ، فتكون إقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر، وما رجع إلىٰ مصر إلا بعد أن مهَّد أمور الحجاز، وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق [٣٦] .

انتهىٰ ما أردت نقله من كلام العلامة زيني دحلان رحمه الله .

سأذكر نصوصاً من كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد» [٣٧]، لمؤلفه: عثمان بن بِشْر، وهو من الموالين للوهابية، قال محقق الكتاب: مما لا ريب فيه أن هذا الكتاب من أهم كتب التاريخ التي دَوَّنت لتأريخ قيام الدولة السعودية، ذلك أن عثمان عالم فاضل، يتحرَّىٰ الصدق فيما ينقل، غير متهم في دينه، فضلاً عن كونه معاصراً لمعظم الحوادث، وشاهد عيان لها، وأورد الحوادث حسب سنوات التأريخ الهجري، ومما أرخه: اعتباره أن نجداً كانت بلاد كفر، ولما تمت البيعة بين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، أعلنا الجهاد، وبدأوا بغزو من والاهم من قبائل نجد .

---

(٣٦) [خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ذكر فتنة الوهابية سنة (١٢٠٥)هـ (ص: ٢٢٨)].

تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ، ط٤، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٥٩) هـ :

قتلوا دهام، شيخ قبيلة آل ظفير، بالمنشار، لأنه لم يتبع مذهب الوهابية، وقتلوا عدداً من رجال قبيلته .

ثم وقعة الشباب بين الوهابية وابن دواس، في منطقة الوشم، وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله ثم وقعة العبيد، وسميت بذلك لكثرة من قتل من عبيد منطقة الرياض .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٠) هـ :

وفيها وقعة «دلقا»، بين الوهابية وأهل حريملا ومنفوحة، راح ضحيتها أبرياء .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦١) هـ :

وفيها وقعة البنية، بين الوهابية وأهل الرياض، ثم قاتلوا أهل حريملا، وقتلوا منهم (٢٥) نفساً، ثم هدموا بلدة «البنية» كاملة .

ثم وقعة الخريزة، بين الوهابية وأهل الرياض، ووقعة البطين، بين الوهابية وأهل ثرمدا، فقتلوا عامة أهل البلد، حتى خلت من أهلها تماماً، فكان أهلها بين قتيلٍ ومُشـرَّد، واستولوا على أرضهم وأموالهم، ونظم شعراء الوهابية بهذه الوقعة شعراً مفتخرين بقتلهم أهل ثرمدا . ثم حاربوا بلدة «ثادق» فقتلوا من رجالها، واستلبوا ماشيتهم .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٢) هـ :

وفيها وقعة الحبونية، فقتلوا من بها، وهدموا منازلها، وصارت من أهلها خلاء، ثم قتل أهل منفوحة .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٣) هـ :

وفيها قتل ابن عبد الوهاب الشيخ عثمان بن معمر، شيخ بلدة العُيينة، لرفضه اتباع مذهب الوهابية، فقتلوه وهو في صلاة الجمعة، واستولوا على العُيينة، ثم وقعة البطحاء بين الوهابية وأهل الرياض، ثم وقعة الوطية، بين الوهابية وأهل ثرمدا مجددا، قتلوا فيها العشرات من رجال البلدة .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٥) هـ :

وفيها قتالهم أهل ضرما، فقتلوا غالب رجالها، ثم قاتلوا بلدة الخرج، فقتلوا عامة أهل البلد، واستلبوا أموالهم، ثم أغاروا على قبيلة دهيمان من البدو، فقتلوهم عن آخرهم، وأخذوا أموالهم ونساءهم، ثم أهل حريملا مرة أخرى .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٨) هـ :

وفيها وقعة الغفيلي، بين الوهابية وأهل ثرمدا، قتلوا كثيراً من رجالها، ثم استيلاؤهم على مدينة حريملا، واستولوا على جميع ما فيها من أموال، ثم وقعة الدار بين الوهابية وأهل تادر وسدير، واستولوا عليها .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٧٠) هـ :

وفيها وقعة الرشا، بين الوهابية وأهل منفوحة، ووقعة القراين، بين الوهابية وأهل الوشم، ووقعة باب القبلي في الرياض، ثم قتال أهل أشيقر، ثم أهل ثادق، ثم غزوهم جلاجل، قرية معروفة في سدير .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٧١) هـ :

وفيها وقعة البطيحا في ثرمدا، ثم قتالهم سدير، واستيلاؤهم على بلد الحوطة، والجنوبية، ثم قاتلوا أهل جلاجل، واستلبوا أموالهم، ثم وقعة أم العصافير بينهم وبين أهل الرياض، ثم وقعة البنية الثانية، بينهم وبين الرياض .

حَوَادِثُ سَنَةَ ١١٧٦ هـ :

وفيها سار عبد العزيز بالجيوش غازياً إلى الأحساء، وأناخ بالموضع المعروف بالمطيرفي، ومعه من الخيل نحو الثلاثين، وصبّحهم وقتل منهم رجالاً كثيرة على نحو السبعين رجلاً، وأخذ أموالاً كثيرة، ثم أغار

على المبرز فقتل من أهلها رجالاً، ثم ظهر من الأحساء راجعاً، فلمّا وصل العرمة وافق قافلة لأهل الرياض، وأهل حرمة معها أموال كثيرة، فأخذ أهل الرياض، وترك أهل سدير لأجل هدنة بينه وبينهم .
قال حسين غنَّام عن هذه الهجمة : ثم غزا المسلمون – وأميرهم عبد العزيز - الأحساء وكانت خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يسمى المطيرفي، وهجم على من كان فيه من المشركين (!!) فقتل منهم نحو سبعين رجلاً، وأخذ المسلمون كثيراً من الأسلحة والأمتعة والدواب، فلما أرادوا الرجوع إلى نجد، أغاروا على أهل المبرز، وقتلوا منهم رجالاً [3].
قال الفاخري في تاريخه أحداث سنة (١١٧٦ هـ) : وفيها غزا المسلمون الأحساء وأخذوا المطيرفي وذبحوا أهلها [4] .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٩٨) هـ :

وفيها سار سعود بالمسلمين، وقصد ناحية الأحساء، وصبَّح أهل العيون ولَمْ يبلغهم عنه خبر، وأخذ كثيراً من الحيوانات، وأخذ من بيوتها أزواداً وأمتعة.

قال حسين غنام عن هذا الهجوم : وسار سعود بالمسلمين إلى الأحساء، فجدَّ في سيره حتى وصل ليلاً إلى قريةٍ يقال لها «العيون» فلم يفطن أهل القرية لوصوله، فلما أصبحوا هجم عليهم المسلمون، فاستولوا على ما كان خارج الحصن من المساكن، وأخذوا جميع ما كان فيها من الحيوانات والأمتعة والقوت .

(٣) تاريخ ابن غنام، حسين بن أبي بكر بن غنّام، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، (ص: ٨٥٠).

(٤) [تاريخ الفاخري، (ص:١٣٩) محمد بن عامر الفاخري، تحقيق د. عبد الله الشبل، سنة (١٤١٩هـ١٩٩٩م) الرياض].

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٩٩) هـ :

وفيها سار سعود بجنود المسلمين إلىٰ جهة الخرج، فذُكر له في أثناء طريقه: أن قافلة حافلة من أهل الخرج وغيره ظاهرة من الأحساء، فرصد لهم سعود علىٰ الثليما المعروفة قرب الخرج، فأقبلت القافلة وكانت علىٰ ظمأ، وقدَّموا لهم ركاباً ورجالاً إلىٰ الماء، فأغار عليهم سعود فقتلهم، ثم أناخت الحدرة فنازلهم سعود، واستمروا ساعة في جلاد وقتال، واقتتلوا قتالاً شديداً، قتل بينهم قتلىٰ كثيرة، والقافلة قريب ثلاثمائة رجل، فحمل عليهم المسلمون، وأخذوا جميع ما معهم من الأموال والقماش والمتاع والإبل .

حَوَادِثُ سَنَةَ(١٢٠٢) هـ :

وفيها سار - أي سعود بن عبد العزيز - وقصد الأحساء، وأغار علىٰ أهل «الجشة» القرية المعروفة، فقتل منهم رجالاً . وذكرها الشيخ حسين غنام في تاريخه (ص:٨٦٦) .

حَوَادِثُ سَنَةَ(١٢٠٣) هـ :

وفيها سار سعود بجنود المسلمين من الحاضر والبادي، وقصد الأحساء ونازلَ أهل المبرز، ووقع بينه وبين أهلها رمي بالبنادق، ثم رحل منه ونازل أهل قرية الفضول في شرقي الأحساء، فأخذها وقتل من أهلها نحو ثلاثمائة رجل.

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٨) هـ :

واجتمع أهل قرىٰ شمال الأحساء في قرية «القُرين» فسار إليها سعود فنزلها، وحاصرها أشد الحصار، وحاصر أهل بلد «المطيرفي» المعروفة، فصالحوه علىٰ نصف أموالهم، وسار سعود بتلك الجنود إلىٰ «المبرز» فخرج عليهم زيد بن عريعر بما عنده من الخيل، فحصل بينهم قتال، قتل من قوم زيد غديرُ بن عمر

وحمود بن غرمول وانهزم زيد ومن معه إلىٰ البلد، ثم بعد أيام سارت الجموع إلىٰ المبرز، فكمنوا لهم، فجرت وقعة «المحيرس» قُتل فيها من أهل المبرز مقتلة عظيمة، قيل إن القتلىٰ ينيفون عن المائة رجل، وسارت الجنود إلىٰ بلاد ابن بطال، تسمىٰ الآن بـ البطاليّة، شمال شرق الهفوف، فوقع فيها قتال، فانهزم أهلها، وقُتل منهم عدد كثير، وأخذ سعود ما فيها من الأمتعة والطعام والحيوان والأموال، ثم ساروا إلىٰ بلدان الشرق، فحصل فيها قتال وجلاد، فارتجف أهلُ الشرق، هذا وجميع البوادي الذين مع سعود وغيرهم يدمِّرون في الأحساء، ويصرمون النخيل، ويأخذون من التمر يبيعونه أحمالاً، ويأكلون ويطعمون رواحلهم من الحاضر والبادي، واكتالوا جميع البوادي من الأحساء نهباً .

السَّيطَرةُ على الأَحْسَاء سنة (١٢١٠) هـ :

فلمَّا طلع الصباح رحل سعود بعد صلاة الصبح، فلما كان قبل طلوع الشمس ثوّر المسلمون بنادقهم دفعة واحدة، فأرجفت الأرض وأظلمت السماء، وثار عجّ الدخان في الجو، وأسقط كثير من الحوامل في الأحساء، ثم نزل سعود في «الرقيقة» المذكورة، فسلم له، وظهر عليه جميع أهل الأحساء وأمرهم بالخروج فخرجوا، فأقام في ذلك المنزل مدة شهر، يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد إجلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحالّ، ويبني دوراً ويهدم ثغوراً، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم، وأكثر سعود فيهم القتل ... الخ

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٦) هـ :

وفيها سار سعود غازياً بالجنود المنصورة من البادي والحاضر، وقصد القطيف وحاصر أهل سيهات، وتسوَّر المسلمون جدارها، وأخذوها عنوةً، وأخذوا ما فيها من الأموال، وغير ذلك مما لا يُعد ولا يُحصىٰ، وأخذوا «عَنَك» عنوةً وقتل منهم خمسمائة رجل، ثم سار إلىٰ «القديح» وأخذه عنوة، وأخذ منه كثيراً من الأموال، وقتل منهم رجالا، واستولىٰ علىٰ عنك والعوّامية، وحاصروا الفرضة، لأن أكثر أهل

القطيف هربوا إليها، فصالحوه بثلاث آلاف زر وأزال المسلمون جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكنائس، وأحرقوا كتبهم القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالاً .

وذكر الحادثة ابن غنّام في تاريخه: قال بأن عدد الضحايا كان أكثر من (٥٠٠) رجل .

وفيها سار سعود بالمسلمين إلىٰ القطيف، يريد أن يطهّر بلدانها من الأصنام والأوثان، فأحاط المسلمون ببلدة «سيهات» وحاصروها ثم تسوّروها، وقتلوا من وجدوا فيها وكانوا نحو ألف وخمسمائة قتيل، واستولوا علىٰ جميع ما فيها من الأموال التي لا تعد ولا توصف. ثم قصد المسلمون «القديح» فدهموا أهلها واستولوا كذلك علىٰ ما فيها من الأموال، فأصاب حينئذٍ الذعر بلدان القطيف، فتهاوت أمام المسلمين، فاستولوا علىٰ العوَّاميَّة وعنك وغيرها .

وهكذا أرخ ابن بشر حرب الوهابيين مع أهل نجد، قرية قرية، وقبائل البدو، القبيلة تلو القبيلة، يقتلون الرجال، ويسبون النساء، وينتهكون الأعراض، وينتهبون الأموال، ويحرقون الزروع، كقطاع الطرق واللصوص المجرمين، الذين يتلذذون بقتل البشر وإبادة الشجر، وهدم والبيوت لأجل النهب والسلب والحكم، وكلُّ ذلك باسم الدِّين حتىٰ دانت لهم كافة مناطق نجد ، واستمر قتالهم إلىٰ سنة (١٢٣٧)هـ، أي أن ابن عبد الوهاب رفع سيفه في وجه المسلمين الموحدين مدة (٧٩) سنة من عمره .

«تاريخُ ابن غنَّام» :

واسمه حسين بن أبي بكر التميمي، من الأحساء، وهو ممن أرَّخ للوهابية، وممن اعتنق مذهبهم، وكتابه هذا يعتبره الوهابية من أهم المصادر التاريخية التي أرَّخت للحركة الوهابية، وذلك لتسطيره لسيرة ابن عبد الوهاب، وعرضه أهم المبادئ التي جاء بها، وقد أطلق علىٰ الجزء الأول منه لقب: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وأطلق علىٰ الجزء الثاني منه لقب: «الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية»، أرَّخ في الجزء الثاني منه حرب الوهابية لأهل نجد والحجاز لغاية عام (١٢١٢) هـ، وسمَّىٰ حرب الوهابية للمسلمين «غزوات»، تشبها بغزوات النَّبيّ

صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم مما يُشتم منه رفع إمامهم إلىٰ مصاف النبوة، وإن لَمْ يصرحوا بذلك، لكن تعظيمهم الفعلي له زاد علىٰ تعظيمهم للنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

وكتابه هذا لا يخلو من السجع الممل، لذا لَمْ أنقل منه شيئا، إلا أني أشرت إليه لمن أراد الاطلاع، وأن حرب الوهابية ضد الموحدين، وقتلهم المسلمين في المساجد مما يتباهون به، ويعتبرونه حرباً مقدسة ضد الكفار والمشركين .

جَرَائِمُ الوَهَّابيَّةِ فِي الطَّائِفِ :

هاجم الوهابية الطائف ليحرِّروها من الشِّرك !! وكانت تحت حكم الشريف غالب حاكم مكة، وكان بينه وبين الوهابية المواثيق، ولكنهم غدروا فتمكنوا من الاستيلاء علىٰ الطائف، إذ دخلوها عنوة في ذي القعدة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م)، فقتلوا الناس قتلاً عاماً بدون تمييز بين رجل وامرأة وشيخ وطفل، حتىٰ أنهم كانوا يذبحون الرضيع علىٰ صدر أمه، وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين، فأدركتهم الخيل وقتلت أكثرهم، وفتشوا عمن تواریٰ في البيوت وقتلوهم، وقتلوا من كان في المساجد يصلي، ونهبوا ما كان فيها من الأرزاق، حتىٰ كانت كأمثال الجبال، فأخذ ابن سعود الخمس ووزع الباقي علىٰ الأعراب ، ولاحقوا الفارِّين من المدينة فقتلوا أكثرهم، وأعطوا الأمان للبعض، فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا فريقاً إلىٰ أحد الأودية، واسمه وادي «وَج»، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء، وأخذت الأعراب تروح وتغدو إلىٰ الطائف، فتحمل المنهوبات الهائلة التي كانت تخمَّس، ويرسل خمسها إلىٰ الأمير ويقتسمون ما بقيٰ، كما عبثوا بالمصاحف والكتب الدِّينية ورموها، بعد

أن مزقوها ورموها في الأزقة، وعمدوا أخيراً إلى حفر بيوت المدينة حتى المراحيض، بحثاً عن المال الذي قيل لهم أنه خبئ في الأرض(٣٨) .

قال ناصر السعيد: إن هؤلاء الأعراب بعد أن قتلوا وذبحوا الرجال والنساء والأطفال والصلحاء عمدوا إلى قطع أيدي النساء لانتزاع الحليِّ منها، كما كانوا يتوضؤون بدماء الآدميين بعد صبه في صهاريج الماء (٣٩) .

قال الجبرتي: حاربوا الطائف، وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا، فأخذ البلدة الوهابيون، واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال، وأسروا النساء والأطفال، وهذا دأبهم مع من يحاربهم (٤٠) .

وقُتل خلال هذه المجزرة الشيخ عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة، والشيخ عبدالله أبو الخير قاضي مكة، والشيخ جعفر الشيبي وغيرهم ذبحوهم بعد أن أمَّنوهم عند أبواب بيوتهم (٤١).

ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامّاً، واستوعبوا الصغير والكبير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون الطفل الرضيع، ويصعدون البيوت، يخرجون من توارى منهم فيها ويقتلونهم، ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم، حتى أبادوا من في البيوت جميعا، ثم

---

(٣٨) [كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين الحسيني، بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص:٢٠)} . صفحات من تاريخ الجزيرة الحديث، محمد عوض الخطيب، مركز غدير للدراسات الإسلامية، قم، ط٢، (١٤١٦خـ/ ١٩٩٦م)، (ص: ١٧٨)] .

(٣٩) [تاريخ آل سعود، ناصر سعيد، (ص:١٣٠)] .

(٤٠) [عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ) دار الجيل بيروت، (٢/ ٥٥٤)] .

(٤١) [السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، (ص ٢-٤)، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ.] .

خرجوا إلى الحوانيت والمساجد، وقتلوا من فيها، وكانوا يقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد، فلم يبق من أهل الطائف إلا شرذمة قدر نيف وعشرين ...الخ

وقاتل جماعة في بيت الفعر، يبلغون (٢٧٠) الوهابية ثلاثة أيام، فعلم ابن شكبان أن لا سبيل إليهم إلا المكر والخديعة، فأمَّنهم فكفوا عن القتال، فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح، ثم أمرهم بالخروج لمقابلة الأمير، ولما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم، بمنطقة «دقاق اللوز» فقُتلوا جميعا .

وكان جماعة يبلغون الخمسين في بيوت ذوي عيسى، فأخرجوهم أيضاً بالأمان إلى وادي وجّ، وهناك جردوهم من ثيابهم وتركوهم عراة، في البرد والثلج، رجالاً ونساءً، مكشوفو السوآت، وبعد ثلاثة عشر يوماً أخذوا يُشغِّلونهم بالطين بدون أجرة، فصاروا يستعطون الناس فيحسنوا إليهم بقبضة من الذرة يقضمونها، وعربان الوهابية كل يوم تدخل الطائف وتنقل الأموال من نقود وعروض، وفرش وأثاث، حتى تكدست الأمتعة في مخيمهم، أي عند خيامهم كالتلول، وأما الكتب فنثروها في الأسواق والبطاح تحت الأقدام، وكان فيها المصاحف وكتب الحديث (٤٢) .

احْتِلالُ مَكَّةَ المكَرَّمَةِ :

بلغ أهلَ مكة قدومُ الوهابيين عليهم فداخلهم الفزع، والاضطراب الشديد، خصوصاً الحجاج الذين أتوا لأداء فريضة الحج من سائر أقطار الدنيا، وكان الحجاج المغاربة بمكة نحو (١٥٠٠٠)، وحج في تلك السنة إمام مسقط سلطان بن سعيد، ونقيب المكلّا، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك عبد الله باشا العظم، وأمير الحاج المصري عثمان فرجي بك، وكان معهما كثير من العساكر، فكثر الناس في مكة واشتد الزحام ، فلما كان يوم التروية بلغ الناس أن ابن سعود خيم بجموعه في عرفات، ولكثرة العساكر

(٤٢) انظر: [صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، الشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا، (ص:١٣٣) وما بعدها] .

الشامية والمصرية اضطر ابن سعود للتراجع عن عرفة، فحج الناس براحة وهدوء، ثم إن الشريف غالب أمير مكة حثَّ الناس خصوصاً أمراء المحملين علىٰ الخروج لمقاتلة الوهابيين، فتعللوا بعدم وجود ذخائر حربية، فتعهد لهم بكل ما يلزم، فارتأوا قبل الخروج إليهم أن يكاتبوهم، وينصحوهم عن الدخول إلىٰ مكة، فلما وصلت إلىٰ الأمير سعود رسلُهم وكتبُهم، علم أن عصبة عزمهم ضعفت، فأعاد إليهم الرسل وهددهم، ثم كاتبوه مرة أخرىٰ، فأعاد إليهم رسلهم إليهم وتوعدهم بالمحو إن هم بقوا مُصرِّين علىٰ مقاومته، ففزعوا وأدركهم الخوف، وعالجهم أمير مكة علىٰ الثبات فلم ينجح، وبعده شكَّل أهل مكة وفداً من أشرافها ومقدميها وذهبوا لمقابلة سعود، فأعطوهم الأمان ودخلوها، ثم مكثوا أربعة عشر يوما يُشهدون الناس علىٰ أنفسهم أنهم كانوا كافرين، وبايعوه علىٰ الإسلام الوهابي، وبعدها أمرهم بهدم ما في الحرم من قباب، إذ اعتبرها طواغيت تُعبد من دون الله، فهدموا جميع ما في المعلَّىٰ من آثار الصالحين، وكانت كثيرة، ثم، ثم هدموا قبة مولد النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ثم قبة مولد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، والمشهور بمولد سيِّدنا علي عليه السَّلام، وقبة السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين، وهم في أثناء هدمهم لها يضربون الطبول، ويرتجزون مبالغين في شتم القبور التي هدموها، ولم تمض ثلاثة أيام إلا وقد محو عموم تلك الآثار المباركة، ولم يتركوا منها شيئا.

وفي اليوم السادس أمر بمنع صلاة الجماعة للأئمة الأربعة في المسجد الحرام، كما منع المؤذنين من التسبيح علىٰ المنائر في جوف الليل، ومنعهم من إعلان الصَّلاة علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم والترضي عن الآل والأصحاب، وقال: إن هذا العمل شرك أكبر، ثم أمر جميع علماء مكة أن يدرّسوا للعامة عقائد ابن عبد الوهاب التي سماها «كشف الشبهات» ففعلوا ذلك مكرهين (٤٣) .

---

(٤٣) انظر: [صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، للشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا، (ص:١٣٧) وما بعدها] .

قلت: حاصر الوهابيون مكة حصاراً شديداً حتىٰ يضطر أهلها للاستسلام، فقطعوا جميع الطرق المؤدية إليها، وأرخ عثمان بن بشر لفتح مكة بقوله:

وأما مكة فكان الأمر فيها أعظم، حيث سُدَّت الطرق كلها عن مكة، من جهة اليمن وتهامة والحجاز ونجد، واشتدَّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لَمْ تشهده من قبل، وبيعت لحوم الحمير والجيف فيها بأغلىٰ الأثمان، وأُكلت الكلاب [٤٤] .

ومن شنيع أفعال الوهابية خلال غاراتهم علىٰ مكة والمشاعر العظام، أن توجه اثنان من قادتهم وهما: عثمان المضايفي – والذي أصبح أمير الطائف بعد الاستيلاء عليها – وابن شكبان، إلىٰ عرفة، فقتلا من لَمْ يُطعهما، وأسرا الكثير من الناس، ثمَّ انتقلا إلىٰ وادي مرّ، ينهبون ويقتلون الواردين إلىٰ مكة المكرمة، مما أدىٰ إلىٰ امتناع أهل الحجاز عن الحج، وأُحرق المحمل المصري رمز اجتماع الحجيج، ولقد رفض أمير الحج الشامي شروط الوهابية وعاد إلىٰ بلاده ومن معه [٤٥] .

وكان من نتيجة استيلائهم علىٰ مكة المكرمة ومنطقتها أن انفلت حبل الأمن فانتشر السَّلْب والنَّهْب، واضطربت السُّبُل، ولَمْ يستطيعوا ضبط الوضع بوضع حدٍّ لهذا الفلتان، وما لبث الوهابية أن زهدوا في مكة بعد أن عاثوا فيها فسادا ؛ فتركوها عندما سمعوا أن العجم غزو عاصمتهم: «الدِّرعيَّة» كما يروي الجبرتي، فعاد إليها الشريف غالب، وحاول استعادة الطائف، ولكنه فشل بعد أن استطاع حماية جدَّة من هجماتهم الشرسة [٤٦] .

قلت: إن الله تعالىٰ جعل مكة حرماً آمنا، وسجَّل ذلك في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال العلماء: سماها تعالىٰ بكة، لأنها تبك أعناق

---

(٤٤) [عنوان المجد حوادث سنة (١٢٢٠)هـ (١/ ٢٨٥)] .

(٤٥) [كشف الارتياب (ص: ٢٧)].

(٤٦) [د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية (ص:١٧٩)].

الجبابرة، أي تقطعها. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ فمن دخل حرم الله تعالىٰ فهو آمن بأمان الله، حتىٰ أن الطير فيها آمن، فيحرم فيه التعرض لصيده، أو تنفيره وتخويفه، حتىٰ الشجر والشوك يحرم اقتلاعه، ومن أصاب حداً خارج الحرم، ثم لجأ إلىٰ الحرم فهو آمن، لا يقام عليه الحد حتىٰ يخرج، ويحرم التقاط لقطته إلا لتعريفها، فقد حرم الله تعالىٰ مكة يوم خلق السماوات والأرض، لكن الوهابية لم يراعوا له حرمة أبدا، وتجاهلوا ـ وهم الجهال ـ كل هذا، فتعرَّضوا لأهل حرم الله وجيرانه، بالقتل والتجويع، والتضييق، ولم يراعوا فيهم حرمة، ولا ذمة .

الإِرْهَابُ الدَّمَويُّ بوَصْفِ نَاصِرِ السَّعِيد

ناصر السعيد أحد موظفي شركة «أرامكو»، وكان ثورياً، ينتمي للقوميين العرب، وكان مناوئاً لآل سعود، صنَّف كتاباً كبيراً سماه: «تاريخ آل سعود»، ضمَّنه ما رآه وسمعه أو قرأه عن تاريخ الجزيرة الوهابي السعودي، كما ضمنه وثائق خطية وصوراً لما رآه من الفساد والإفساد علىٰ يد هذه الحركة التي تسمت باسم دولة التوحيد، قامت بعض الجهات الشيعية بطباعة الكتاب، ولكن المطبعة الطابعة له رفضت وضع اسمها عليه لخطورة موضوعه، قامت الحكومة السعودية بتقديم رشوة مالية للحكومة اللبنانية قدرها (١٦) مليون دولار لتسليمهم مؤلف الكتاب، وتم لهم ذلك، فأُعدم فورا، منهم من يرىٰ أنهم ألقوه من الطائرة قبل وصوله، ومنهم من يرىٰ أنه وصل، وأعدموه بوضعه في حوض مملوء «بالأسيد» حتىٰ ذابت عظامه، والله أعلم بالحال، لذا فالنسخة الورقية الموجودة بحوزتي لا تحمل رقم الطبعة، ولا السنة، ولا اسم المطبعة الطابعة للكتاب .

وَقْعة تُربة:

عقد الإنجليز اجتماعاً في القاهرة بتاريخ (٢٣/ ٣/ ١٩١٨)م بدائرة المخابرات المسمىٰ: «المكتب العربي» برئاسة السير «ريجنلد ونجت» المندوب السامي في مصر، وحضور الجنرال «كليتون»، والكومودور «هوجارت» والميجر «كورنوالس»، والكولونيل «سيريل ولسون» ممثل الحكومة البريطانية

لدىٰ الشريف في الحجاز، والسير «برسي كوكس» وكيل وزارة المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط، ومساعديه: الميجر «كتليف أوين»، والميجر «هاملتون»، و «اللورد بلهافن»، وعبد العزيز آل سعود، لمناقشة مسألة الشريف حسين بن علي، وحُكمه علىٰ الحجاز، وإبداله بحكم آل سعود، وكانوا جميعاً وعلىٰ رأسهم فيلبي وكوكس يؤيدون عبد العزيز دون غيره من الحكام... فقال كوكس: إني أكَّدت لكم أن ابن سعود أصلح لنا من الشريف حسين، الذي رفض التوقيع أو الموافقة لإقرار وضع اليهود في فلسطين، ولهذا نريد أن نرسل ابن سعود لتأديب الشريف حسين واخضاعه لنا، وإذا لَمْ يخضع فسيرىٰ الجميع آنذاك أن استئصاله أصلح لنا مع الاستفادة من أبنائه في أماكن غير الحجاز وتسليم الحجاز لابن سعود!..

كان هذا هو رأي السير كوكس في ابن سعود، إلا أن الأغلبية من رجال المخابرات البريطانية الذين حضروا هذا المؤتمر رأوا تأجيل موضوع إرسال ابن سعود لتأديب الحسين إلىٰ بضعة أشهر، حتّىٰ يعاودوا الاتصال مع الحسين، لعلَّه يوافق علىٰ موضوع حق اليهود في فلسطين، ولكنهم عادوا من جديد ونفذوا رأي كوكس، و«كوكس» يهودي صهيوني، فأخذوا يَعُدُّون العُدَّة، وعرف الحسين بن علي بالأمر، فأخذ يعدُّ هو الآخر عُدَّته لِصَدِّ العدوان السعودي، فأعد جيشاً قوامه (٤٠) ألفا بقيادة ابنه عبد الله، وهكذا رأت بريطانيا التي كانت تمشي علىٰ قدمين في الجزيرة العربية، أن تركل الهاشميين من الحجاز بقدمها الثانية ابن سعود فأمرته بالزَّحف علىٰ الحجاز، وكان جيش الحسين بن علي قد زحف هو الآخر وعسكر في «تربة والخرمة» وهي واحة تقع بين الحجاز ونجد...

وفي ليلة (٢٥) شعبان سنة (١٣٣٧ هـ / ١٩١٩) م كانت مجزرة تربة الشهيرة، وكانت غدراً أكثر منها شجاعة، فقد وضع الانكليز خطة من أسهل الخطط للقضاء علىٰ الـ (٤٠) ألف جندي من جنود الشريف ونجحت الخطة...

والمعروف أن قبيلة عتيبة تنقسم إلىٰ قسمين: قسم يعيش في الحجاز ويؤيد بعضُه الأشراف، والقسم الاخر يعيش في نجد ويؤيد بعضُه آلَ سعود، وقائد هذا القسم كان فيصل الدويش، فخطط جون فيلبي لذلك الهجوم، وأرسل جنديين من جنود عتيبة نجد ليندسَّا بين صفوف أبناء عمهم من جنود الشريف حسين من عتيبة الحجاز، وأمر أحد الجنديين أن يقف في ميمنة الجيش الهاشمي، وان يقف الآخر في الميسرة، ويطلق كل واحد منهما النار صوب الآخر، في ظلام الليل، تم يصرخ الأيمن في الجند الهاشمي النائم ليلاً قائلا بأعلىٰ صوته «ارموا... ارموا... جند ابن سعود هجم من اليسار»، ويصرح الأيسر بالقول نفسه: «ارموا... جند ابن سعود هجم من اليمن»، فيباغَت الجيشُ الهاشمي ويذبح بعضُه بعضا، كما أرسل الانكليز والسعوديون عدداً من الجواسيس السعوديين للتسلل إلىٰ داخل صفوف جيش عبد الله بن الحسين، ليبثوا فيه الرعب والتخاذل، بل واستطاعوا أن يرسلوا بعض الجواسيس للتسلل إلىٰ المدافع والرشاشات وإفسادها، وجعلها غير صالحة للإطلاق...

أضف إلىٰ ذلك أن عبد الله بن الحسين لَم يكن هو نفسه صالحاً لقيادة الجيوش، حيث لَم يعدَّ للأمر عُدَّته من التدبير والحنكة، فأغضب كثيراً من القبائل الموالية لأبيه، وفي مقدمتها عتيبة في الحجاز.. كما أغضب بعض الأشراف من أبناء عمومته وفي مقدمتهم الشريف خالد بن لؤي، واستطاع الانكليز المؤيدون لابن سعود أن يستغلُّوا هذا الخلاف، ويستميلوا الأشراف الغاضبين إلىٰ صف آل سعود، كما استمالوا القبائل الغاضبة من الشريف للصف السعودي..

أما عبد الله بن الحسين فقد جعل كل اعتماده علىٰ الجيش النظامي، المزوَّد بكل المدافع والأسلحة التي اكتسبها أبوه من تركيا، بالإضافة إلىٰ ما كان لديه من بقايا الأسلحة الإنكليزية، التي كان قد تزوَّد بها عند ثورته علىٰ الأتراك، فكبسته ثلة من البدو الذين سعدنهم الإنكليز، «أي صاروا موالين لآل سعود» وخططوا لهم وعلىٰ رأسهم الشريف خالد بن لؤي، وسلطان بن بجاد، فهبَّ الجيش من نومه مذعورا،

وأخذ يصوب أسلحته إلى نفسه بدون وعي في ظلمة الليل، فكان رصاص البنادق وطعنات الخناجر تصيبه نفسه بنفسه وتحصده...

وكان جيش ابن سعود بقيادة جون فيلبي يكمن له من خلف التلال، والجبال المحيطة بالوادي الفسيح، وما أن أسفر الفجر حتّىٰ رأىٰ الجيش الهاشمي نفسه يضرب بعضُه بعضا، وقبل أن يفيق من هول الصدمة، فاجأه الجيش السعودي بالضربة القاضية، ولَم ينجُ عبد الله بن الحسين من المعركة المهولة الا بالهرب هو وحرسه الخاص، واستولىٰ الجيش الإنجليزي السعودي علىٰ كل ما تركه الجيش الهاشمي من سلاح وخيام وأموال وغير ذلك .

ولكن الغدر الانكليزي السعودي لَم يقف عند حد الانتصار علىٰ عبد الله وجيشه، بل أبىٰ إلا أن يهجم علىٰ القريتين الكبيرتين ـ الخرمة وتربة ـ ويقتل السكان المدنيين العزَّل: نساء وشيوخاً وأطفالا، ولَم يكتف بذلك بل نهب الماشية، وأحرق النخيل والمزارع، واعتدىٰ علىٰ الأعراض .

لقد كانت «تربة» واحة خصبة، وكان فيها أكثر من مليون نخلة، فأصبحت بعد هذه الواقعة مشوَّهة من كل جانب، لقد أحصوا أنفس من قتلوهم من الاطفال والنساء والرجال والشيوخ في «تربة» من السكان المدنيين فقط بما يزيد علىٰ ثلاثة آلاف نفس، أزهقوا أرواحهم، وذلك خلاف جيش الشريف عبد الله بن الحسين البالغ (٤٠ ألفا)، قُتلوا جميعا، ولَم ينج منهم الا ما يقارب الخمسمائة، الذين هربوا مع عبد الله [(٤٧)] . انتهىٰ كلام ناصر سعيد

---

(٤٧) [ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، (ص:١٦٤) من النسخة الورقية التي بحوزتي .

قَتْلُهُمُ المسْلِمِينَ خَارِجَ الجَزِيرَةِ

امتدت فتنة الوهابية حتىٰ وصلت البلدان المجاورة للجزيرة من جميع جهاتها، وقد أرَّخ عددٌ لا بـأس به من المؤرخين لهذه الحركة، وما ارتكبته من سفكٍ للدماء البريئة من المسلمين، وهذا عرض سريـع لمـا فعلوه :

غَزْوُ العِرَاق :

يقول المؤرخون: إن الهجمات المستمرة التي شنها الوهـابيون عـلىٰ العـراق وعشـائره، والقسـوة التـي مـارسوها باسم نـشر نور الله وهديه زوراً وبهتانا، قد جعلت عشائر العراق تقاتل الوهـابيين كـما تقاتـل اللصوص، لذلك صبَّ الوهابيون جام غضبهم علىٰ العراق، علىٰ اختلاف مـذاهبهم، فسـاءت أحـوال العراق خلال السنوات (١٧٩٢-١٧٩٧)م، لأن الوهابيين كانوا يهاجمون العشائر العراقية التـي كانـت تبحث عن الكلأ في جنوب غرب العراق، وكانت تلك الغزوات سريعة وقاسية، ولَم تكد تمر سنة واحدة دون أن يسجل الوهابيون حادثة من حوادث فتكهم بالأموال والأعراض في العـراق، ولَم يكـن الباشـا المملوك الذي يسيطر علىٰ ولاية بغداد قادراً علىٰ المقاومة، فقد بلـغ مـن الكـبر عِتــيًّا، وأصـبحت أكثـر شؤونه بأيدي موظفيه، فتصدىٰ لمقاومة الوهابيين الشيخ «ثويني» شيخ المنتفك، وهـو أول عراقـي قـاد عملية التصدي لهم، فتجمع الناس حوله من عرب عقيل من بغداد، وجاءته النجدات من مدن العـراق الأخرىٰ وبخاصة الكويت والزبير، وحاول التوغل في الاحساء لقتال الوهابيين، لكنـه اغتيـل عـلىٰ يـد زنجي سخَّره الوهابيون بوسائلهم المعروفة، واستمرَّت الغزوات الوهابية الوحشية عـلىٰ عشـائر غـربي العراق، فتقرر إرسال حملة عراقية جديدة، وكان ذلك في صيف عام (١٧٩٨) م وتجمعت العشائر مـن

عقيل والعبيد وشمَّر وغيرهم بقيادة محمد بك الشناوي، وتقدمت الى البصرة، فانضمت إليها قبائل الظفير والمنتفك وبني خالد، فخشي ابن سعود قائد جيش الوهابيين من مقابلتهم، وقبل بالشروط التي عرضها عليه وهي، عدم غزو العراق، ومعاملة الحجاج العراقيين بالحسنىٰ، وإرجاع المدافع التي استولىٰ عليها، ودفع الغرامة، فوافق ابن سعود، ووقع الاتفاق في سنة (١٧٩٩) م لكن الوهابيين خرقوا الاتفاق، وبدأوا يهاجمون الحجاج بعد عام واحد، ففي بداية القرن التاسع عشر هاجم الوهابيون حجاج الخزاعل من العراق، وهم بالقرب من نجد، ثم أغاروا علىٰ مدينة «عانة» سنة (١٨٠٠)م وقتلوا مَن ظفروا به، ونهبوا ما استطاعوا إليه سبيلا، وأغاروا علىٰ قرية «كبيسة» فقاومهم أهلها بقوة .

وفي عام (١٨٠١) م هاجم الوهابيون «كربلاء»، وكانت هذه الهجمة كما وصفها المؤرخون أشدَّ الحملات شناعة ووحشية، فقد استباحوا أهلها، وتتبعوا الفارِّين من أهلها، ولَمْ ينجُ منهم إلا النادر، وتتبَّعوا الذين التجأوا الى ضريح الحسين وقتلوهم عن آخرهم، فكان عدد القتلىٰ في الضريح خمسين، وفي صحن المسجد خمسمائة، وغصَّت المدينة بأشلاء القتلىٰ المسلمين، ونُهبت جميعُ دور المدينة وحوانيتها، كما نهبوا ضريح الحسين وما فيه من النفائس [٤٨]

أَخْذُ الثَّأْرِ:

لَمْ يُمهل العراقيون عبد العزيز بن سعود كثيراً، فما مضىٰ عام واحد إلا وقد لقي الوهابي حتفه علىٰ يد أحد العراقيين، الذين ذُبحت زوجته وأبناؤه أمام عينيه، فذهب العراقي إلىٰ الدِّرعيَّة، وتسلل لبيت عبد العزيز بن سعود، وذبحه بسكينه انتقاماً لشعبه.

---

(٤٨) [كشف الارتياب، محسن الأمين، (ص:١٥)] .

غَزْوُ البُصْرَةِ:

قال مؤرخ الوهابية عثمان بن بِشـر: وفي هذه السنة (أي سنة ١٢١٨)هـ كانت غزوة البصرة، وهدّ قصر الدريهمية، مشرب أهل الزبير، وقتل من كان فيه، وذلك أن سعود سار من الدِّرعيَّة، واستلحق جميع رعاياه من البادي والحاضر، فنهض بجيوشه المنصورة، والخيل العتاق المشهورة، وقصد ناحية الشمال، حتى نزل على القرية المعروفة بالتنومة عند القصيم، فعيَّد فيها عيد الأضحى، ونحر بها ضحاياه، ثم أرخص لغزوان عربان الشمال من الظفير، وذكر لهم أنه يريد الرجوع والقفول إلى وطنه .

وكان قصده بذلك أن يخبروا بذلك أهل البصرة والزبير، ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم أنه قفل، حتى يبغتهم مِن حيث لا يعلمون، ثم إن سعود رجع عادياً إلى البصرة، فلما أتى قربها وافق كتيبة خيل للمنتفق، رئيسهم منصور بن ثامر، ظاهرين من البصرة، فأغارت عليهم خيل المسلمين، وقتلوا من قتلوا، وأخذوا منصورا أسيراً ، ثم نزل سعود قرب الزبير، فنهضت جموع المسلمين إلى البصرة، فداهموا جَنوبها، ونهبوها وقتلوا من أهلها قتلى كثيرة، ثم إن سعود أمر المسلمين أن يحشدوا على القصر، فحشدوا على قصر الدريهمية، فهدموه وقتلوا أهله، فلما كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه ينادي أن يثور كل رجل من المسلمين بندقه، فثوروها دفعة واحدة .

قال لي رجل من أهل الزبير: لما ثارت البنادق شبت النار في الأرض والجو، وأظلمت السماء، ورجفت الأرض بأهلها، وانزعج أهل الزبير انزعاجاً عظيما، وصعد النساء في رؤوس السطوح، ووقع فيهم الضجيج، وألقت بعض الحوامل، فأقام محاصرهم اثنا عشر يوما، وحصد جميع زروعهم، ورحل قافلا إلى وطنه [٤٨].

---

(٤٨) [عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٢٨٠) حوادث سنة ١٢١٨هـ].

حَرْبُهُمْ فِي حَضَرَمَوْتَ :

ذكر علي بن حسين بن محمد بن جعفر العطاس في الجزء الأول من كتابه: «تاج الأعراس بمناقب الحبيب صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس» شرحاً تفصيليّاً لموقعة بحران، وهي أرض منبسطة قريبة من مدينة «حريضة» بحضرموت، التي حدثت عام (١٢٢٤) من الهجرة، بين ناجي بن قملا وجيشه من جهة، وبين آل عطاس وقبائل وادي عمد من جهة ثانية، بقيادة السيد علي بن جعفر بن محمد العطاس فقال:

أخبرني المقدم الثقة عِلي «بكسر العين» بن سالم بن سليمان بن حمد الجعيدي، ساكن قرن بن عدوان من وادي عمد، من رواية والده، لأنه كان أحد قواد جيش المنطقة في تلك الحرب: أن الحبيب علي بن جعفر العطاس هو الذي تولى القيادة العامة للجيش المكوَّن من قبائل الجعدة والسادة آل عطاس، حينما هاجم ناجي بن قملا وجيشه حريضة ووادي عمد، بعد أن استولوا على أسفل حضرموت، وحبسوا علماءها وعظماءها في مصنعة حورة، ولما كانت «حريضة» هي العاصمة اجتمعت فيها قبائل الجعده، والسادة آل عطاس، وكان عادة أهل حضرموت كغيرهم من العرب؛ أن الجيش يهاجم العدو دفعة واحدة، ويدافع كذلك، فلهذا يسري فيهم الضعف إذا طال عليهم أمد القتال، فقال لهم الحبيب علي بن جعفر العطاس: هل تريدون أن يكون الدفاع على قواعدكم، أو تحبون أني أتولى القيادة؟ فقالوا له بصوت وأحد: رضينا أن تكون أنت القائد العام، فعند ذلك أمر أولا بإرسال النساء والصبيان إلى وادي عمد، ثم مشى بنفسه على جميع البيوت التي في «حريضة»، وضبط ما فيها من الأطعمة لأجل تموين الجيش، ثم جعل الجيش ثلاث فرق:

الأولى: قلب الجيش .

والثانية: جناحه الأيمن .

والثالثة: جناحه الأيسر، وعرَّفهم كيف تكون مواصلة الفِرق لبعضها، وجعل خط الدفاع من غمدان إلى الطويل، أي من الجبل الشرقي إلى الجبل الغربي وتقلَّد هو بندقه المعروف بالمظفري المشهور بالإصابة، وجعل مركزه الفرقة الأولى، المكونة من السادة آل عطاس وقبيلة آل سِلِمه «بكسر السين واللام والميم مع سكون الهاء» من الجعدة، وهم سكان أواسط وادي عمد، كما أنه جعل قائد الفرقة الثانية المكونة من آل محمد بن حمد الجعده، سكان أعلى الوادي الحبيب عيدروس بن الحبيب القطب صالح بن عبد الله بن سالم بن عمر الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وليد عمد ودفينها، وجعل الحبيب عبد الله بن طالب بن الحسين بن عمر العطاس، وليد حريضة ودفينها قائداً على الفرقة الثالثة المكونة من آل عِلّ، بكسر العين وسكون اللام بعد حذف الياء، بن عبد الله الجعده وهم سكان تبرعه من أسفل وادي عمد، فجعل الحبيب علي بن جعفر العطاس على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره، وهناك ابتدأ جيش بن قملا يهاجمون الثكنة الأولى من خط الدفاع بأجمعهم، وحمي الوطيس بين الفريقين، فلما كادوا يخترقونها بعد التعب الشديد، جاء المدد بالجنود النشيطة، وهكذا استمر القتال على تلك الحال ستة أشهر، حتى انهزم بن قملا شر هزيمة .

ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدَّم عمر بن علي با صليب المشجري، لما بلغه الخبر بهجوم بن قملا على بلد حريضة، جاء إليها في ثلاثمائة رامي، من قومه آل با صليب، سكان حالة با صليب والمعقل، بوادي عمد منجدا للسادة آل عطاس وقبائل الجعدة، ففرحوا بهم ومنهم، وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم با صليب وقومه على غيرتهم، ثم قال لهم إن الزاد الموجود الآن عندنا في حريضة غير كاف لنا ولكم، وطلب منهم العودة إلى منازلهم، وقال لهم: نحن نكفي العدو للدفاع إن شاء الله، وإن دعت الحاجة عندنا سنرسل لكم، فلما رجعوا إلى وطنهم أمر المقدم المذكور أصحابه أن يأتي كل واحد منهم بجراب أي عرَق «بالتحريك» من التمر فجمعوا ثلاثمائة جراب على عددهم وأرسلوها إلى حريضة مساعدة منهم في تموين الجيش، ثم كتب الحبيب على بن جعفر كتاباً إلى «ريدة الصَّيعر» يستنجدهم لإطلاق

الأسرىٰ الذي حبسهم بن قملا في مصنعة «حوره»، فلبَّىٰ دعوته المقدم بن رميدان، والحكم سليمان بن جربوع في خمسمائة رامي من قومهما: «آل عَلّ»، بفتح العين وسكون اللام بالليث، يقود آل عل بلّيث بن رميدان وآل حاتم بن جربوع، وفعلاً هاجموا مصنعة حورة، وقد بدأ أثر الضعف يدب في جيش بن قملا، وذلك حينما ابتدأ محمد علي باشا صراعه مع قيادتهم، واحتلَّ الجيشُ الصَّيعَريّ حوره، وأطلق الأسرىٰ منها بأجمعهم، وأهل حضرموت يُسمُّون جيش بن قملا، في هذه الحروب «قوم بن قمله» باسم قائدهم العام ناجي بن قمّلا، ويقلبون الألف هاء . اهـ

تَخريبُهُم في تَريمٍ :

وذكر باحنان الكندي في تاريخه المسمىٰ: «جواهر تاريخ الأحقاف» فقال مانصه: في سنة (١٢٢٤)هـ وصل إلىٰ حضرموت ناجي بن قملا النَّجْديّ بجيش عرمرم من قبائل الدِّرعيَّة، فاكتسحوا القُطر الحضرمي، واضطر القبائل من نهد ويافع والشَّنافر إلىٰ محالفتهم، ودخلوا تريم وكسروا قبابها، وحرقوا بعض كتبها كما قيل وتوابيتها، وكسروا ألواح قبورها، وحبسوا بعض مناصب الجهة، ومنعوا الأذكار والتذكير والحضرات والطرائق .

ولما أرادوا دخول عينات، وبلغهم أن السادة آل الشيخ أبو بكر بن سالمٍ مستعدون لحربهم وخلافهم، في جند عظيم من الصيعر والعوامر والمناهيل والحموم ويافع وآل تميم، وأنهم لا يسمحون لهم بالدخول إليها، وصدُّوهم عن دخولها، طلبوا وصول السيدين المنصَّبين: أحمد بن سالمٍ بن أحمد منصَّب الشيخ الحسين، وسالمٍ بن أحمد بن الشيخ عمر بن الحامد منصَّب آل حامد، وطلب المُكرَّمي وصولهما إلىٰ تريم بواسطة غرامة، وبقية يافع بتريم علىٰ أنهما آمنين علىٰ أنفسهما وأموالهما حتىٰ يرجعا إلىٰ عينات، فأطمأن المنصَّبان من جانب المُكرَّمي لتوسط اليافعي، فتوجها إلىٰ تريم لملاقاة المُكرَّمي، فتفاوض معهما في أن يخلياه من الدخول إلىٰ عينات فأبيا عليه، فكتب المُكرَّمي إلىٰ عينات يتهدد أهلها فيه بقتل المنصَّبين أولاً، ثم الهجوم علىٰ عينات إن لَمَ يخلوا بينه وبينها، فعقدت المؤامرة في ذلك، واتفقوا علىٰ ردِّهم ومحاربتهم ثم

ثابوا فارتضوا بدخوله خوفاً على المنصَّبين، فكتبوا له برضاهم بذلك، بشرط أنَّ من دخل ثلاثاً من ديارها وهي: دار الشيخ الحسين، ودار منصَّبه، ودار منصَّب الشيخ الحامد فهو آمن، لأن أهل البلد سيتحوَّلون إليها حالة الهجوم، وسيُخَلُّون بينهم وبين باقي البلد، فرضي المُكرَّمي بذلك وقبل دخوله أزيلت التوابيت، وجعلت في بعض بيوت السادة لتسلم من الإحراق، ثم دخل البلاد وخرب وكسر وغير اهـ.

قَتْلُهُمُ النَّاسَ عِنْدَ قَبْرِ نَبيِّ اللهِ هُودٍ:

ذكر سالم بن محمد بن سالم بن حميد في كتابه: «العدة المفيدة في تاريخ حضرموت» ما نصه: وفي سنة (١٢٢٤) هـ كان وصول بن قملا وجيوشه من قبائل الدِّرعيَّة إلى الجهة الحضرمية، واستولى على الكسور مثل: هينن وحوره وحواليها، معه قاضيه سُبيت، وفي ذلك الوقت كان المعلم عبد الله بن سعد بن سمير قاضياً «بهينن» من زمن السلطان جعفر بن علي الكثيري، فبقي هناك فقرَّبه بن قملا، وصالح بن قملا القبائل أي حملة السلاح، من يافعي ونهدي وشنفري، وحبسوا له أي أخذ منهم الرهائن، وهدم غالب رؤوس القبب المبنية على القبور، حتى بلغ إلى قبة نبي الله هود عليه السَّلام ووقع من أقوامه السفك لدماء المسلمين، وانزعج بسببه البلاد والعباد إلى غاية أن أهل السَّواد والخلاء ـ يعني الفلاحين ـ انتقلوا إلى البلدان والحصون، خوفاً من جيوشه وتعدِّيهم الحدود. اهـ

قلت: فجيوش الوهابية استحلت دم هؤلاء الأبرياء رغم أنهم من العامة، ومن الفلاحين ولَم تفرق بين الجميع في القتل وإهلاك الحرث والنسل، كما أنها لم تأخذ لمقام نبيٍّ مرسَلٍ أيَّ اعتبار، أو حرمة أو جوار.

غَزْوُهُمُ اليَمَنَ :

قال العلامة محمد الشاطري في كتابه: «أدوار التاريخ الحضـرمي» مؤرخاً لهذا الحادث الأليم : ومع الأسف أن المكتبتين العيدروسية، والهندوانية أتلفها فيما بعد النَّجْديّون الذين غزوا حضرموت، ويعرفون بآل قملة اهـ.

وفي الختام أشار الشاطري الى بن قملة قائلا في الهامش: قوم من بادية نجد، هاجموا حضرموت هجمات خاطفة ثلاث أو أربع مرات، في أوائل القرن الثالث عشـر، وأعظمها سنة: (١٢٢٤)هـ، وهي الهجمة الثانية، وعمَّت معظم حضرموت، وفيها وقع التخريب والتحريق والتغريم، ولِمَ تدم أكثر من شهر ونصف .

وجاء في: «السجل التاريخي للخليج وعُمان وأواسط الجزيرة العربية» تاريخ: (٤/ ٢٥١)، تحت عنوان: استيلاء الوهابيين على المدينة (١٨٠٤) هـ، ذكر فيه : وفي العام نفسه، قام أبو نقطة الشيخ الأول لعسير باسم الوهابيين، باجتياح ساحل اليمن، من القنفذة الى بيت الفقيه، ونهب موانئ لاهية والحديدة وخلال السنوات الثلاث أو الأربع التي تلت، قام بتكرار تلك الغزوات عدة مرات على البقعة نفسها

قال عثمان النَّجْديّ مؤرخ الوهابية: وفيها (أي سنة ١٢٢٠ هـ) أمر سعود على عبد الوهاب ورعاياه من عسير وألمع وغيرهم، وفهَّاد بن شكبان ورعاياه من بيشة وغيرها، وعبيدة وأهل سنجان ووادعة وقراها، وأهل وادي الدواسر ومن تبعهم، قيمة ثلاثين ألف مقاتل، وذكر لهم يصدون نجران لقتال أهله، فسار هؤلاء الجموع ونازلوا أهل بدر «من قرى نجران» مدة أيام، وجرى بينهم وقائع وقتلى بين الفريقين، وأكثر القتل فيهم [٤٩].

---

(٤٩) انظر: [عنوان المجد (١ / ١٤٦)] .

ويُضيف مؤرِّخهم ابن بشر: ثم إن إمام صنعاء «أي المستعمر الوهابي» سَيَّر عساكر عظيمة، وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه، فتجهز صالح المذكور إلى زَبيد وجنوده وقومه، فسار إليه بجيش عديد، من قبائل عديدة حاضرة وبادية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، فنازل أهل زَبيد وأخذوه عنوة، ونهبوا منها من الأموال والأمتاع شيئاً كثيرا، ولم يمتنع إلا القلعة الأمامية وما تحميه، ثم خر جوا عنها، وعزل صالح الأخماس وبعثها إلى الدِّرعيَّة .

قَتْلُهُمْ قَافِلَة حُجَّاجٍ يَمنيِّين :

عمد الوهابيون لقتل الحجاج اليمنيين، ففي عام (١٣٤١هـ/ ١٩٢١م) التقت سرية من الوهابيين، بقيادة الأمير خالد بن محمد، بقوافل الحجاج القادمين من اليمن، فسايروهم في الطريق، وأعطوهم الأمان، فلما وصلوا إلى وادي «تنومة» في عسير، غدروا بهم، وأطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم، ولم ينج منهم إلا اثنان، جُرحوا فظنُّوهم أمواتا، وكانوا (١٠٠٠) شخص [٥٠] .

غَزْوُهُمُ الأُرْدُنَّ :

في عام (١٩٢٣م/ ١٣٤٣هـ) هاجم جماعة من الوهابيين فجأة أعراب شرق الأردن، فهجموا على أم العَمَد، وهي بلدة قريبة من عَمان العاصمة، فقتلوا من ظفروا به، ونهبوا ما استطاعوا، فتصدَّت لهم الطائرات البريطانية التي كانت محتلةً للأردن في تلك الفترة فقصفتهم بالقنابل، وانجلت المعركة عن قتل (٣٠٠) من الوهابيين و (٢٥٠) من أهل شرق الأردن . وفي عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م) جهز الوهابيون حملة أخرى قوامها (٣٠) ألفا ووصلوا معان، لكن المرحوم الشيخ عودة أبو تايه، شيخ عشيرة الحويطات تصدَّى لهم بقوة، بعدد كبير من أبناء عشيرته، والبدو في تلك المنطقة، وأوقعوا بهم خسائر

---

(٥٠) انظر: [صفحات من تاريخ جزيرة العرب، محمد عوض الخطيب، (ص:١٩٩)] .

جسيمة، أجبرتهم على الفرار، وقد أخبرني أحد أبناء تلك المنطقة، بسبب نصر الشيخ عودة عليهم، ووصف المعركة التي حصلت، وهو أن المعركة حصلت بين عشائر بدوية من كلا الطرفين، وهم يعرفون أساليب بعضهم في القتال، فكانت خطة الوهابية مكشوفة لهم، وأما الشيخ عودة فكان خبيراً بطبيعة التضاريس لتلك المنطقة، فألجأهم لمنطقة ضيقة حصرهم بها، وأوقع بهم القتل، يقول الراوي: بقينا نرى شعورهم وأظفارهم تتطاير في الأرض، تعصف بها الريح الشرقية عدة سنوات، والهياكل العظمية بقيت حتى بليت بعد عشرات السنين .

غَزْوُهُمْ سَوريا :

هاجم الوهابية حوران سنة: (1225هـ/ ١٨١٠)م فأحرقوا ونهبوا وسبوا، بعد أن قتلوا الناس، حتى الأطفال، ناهيك عن الكبار، وهدموا البيوت، وعاثوا فيها فسادا، وقُدِّرت قيمة الخسائر غير البشرية بتلك المنطقة بثلاثة ملايين درهم حينذاك[٥١] .

ثمَّ توسعت الغزوات الوهابية حتى بلغت مدينة حلب، وقطعوا الطريق بين الشام والعراق، وكانت سراياهم تصل إلى القادسية، وقد قتلوا خلقاً كثيراً خلال غاراتهم تلك.

غَزْوُهُمْ عُمان :

جاء في [السجل التاريخي للخليج وعُمان وأواسط الجزيرة العربية (١ - تاريخ، ٤ / ٢٥٩)] تحت عنوان: «عمل الوهابيين في مسقط » وذكر فيه : وفي عام (١٨١٢) م استعاد السيد حصن سمائل بمساعدة فرقة فارسية، وقد تلا هذا النجاح اشتباك عنيف في جوارازكي، حيث تلقى العثمانيون وحلفاؤهم هزيمة قاسية، وفي السنة نفسها، أو ربما سنة: (١٨١٣)م، انتقم الوهابيون من السيد سعيد انتقاماً رهيباً، اذ

---

(٥١) انظر: [صفحات من تاريخ الجزيرة العربية (ص: ١٧٥)] .

قامت قواتهم برفقة تركي وفيصل ابني الأمير الوهابي، بتدمير مناطق مسقط والحجْر الشرقي، وخيموا فترة من الزمن في جعلان، التي جعلوا منها قاعدة لغاراتهم المدمرة . اهـ

أقتبس نصاً من تاريخ آل سعود تحت عنوان:

بَعْضُ الأَسْمَاءِ مِنْ آلافِ الشُّهَدَاء

وها هي الآن أسماء بعض الآلاف الذين استشهدوا في مجازر النيصيّة والجُثامية والصفيح والوقيد وضواحي حائل وسهولها، وراحوا ضحية الواجب الوطني والغدر الانكليزي السعودي الآثم، ومنهم: الشهيد فهد سليمان العيسى، والشهيد فهد العَبِدَه، والشهيد صالح العيد، والشهيد عبد الله العيسى السعيد، وعيسى العيسى السعيد «رصاصة حطمت فخذه وتوفي منها فيما بعد بالعراق» والشهيد حمد العلي السعيد، وسليمان السيعد، وعنبر العنبر، وسليمان النودلي، ومجول العيد الزويمل، وشائع الملق، وعبده الفائز، ودعسان الهمزاني، وسعود المطيلق، ومرجان بلال المرجان «أشعلوا فيه النار هو وسبعين شخصاً معه»، وصالح الضبعان «ورفاقه ثلاثون شخصا مثّلوا بهم حتّى ثيابهم»، ومهدي البلال، والعودي وأولاده وجماعته وعددهم (٤٧) شهيدا، جمعوهم وأحرقوهم بالنار .

والشهداء: دعيع وطاهر، ومهدي أبو شرين، وسلامة وشقيقه ناصر العنبر، وجابر الشَّعلان، وحماد الشَّعلان، وعثمان المشاري، ومسفر المتعب، ومنديل المهوس، وفهيد المنيع، وفالح الحيص، وعامر وغانم الكوش، ومرشد المسلط، وعبد المحسن الشومر، وجماعته مائة وستون أحرقوهم بالنار أحياء، وابراهيم العريفي، ومائتان وثلاثة وأربعون معه قتلوهم وسرقوا ثيابهم وأحرقوهم .

هؤلاء ممن استشهدوا في مجزرة النيصية، أما الذين استشهدوا في مجزرة الجثامية فمنهم الشهداء: رعاف الغلث، وفرج السعود، وساطي المسيعيد، وثاري البجيدي، وعلي العايد، وفهد السَّعيد، وسالم الطَّالب، وفهد الهشَّال، وجروان الأحمد، وسليمان المهدوس، وفرج الجيش، وابراهيم السهيل، وعلي

الجميعة، وابراهيم الصَّلحاني، وخلف النَّعيم، وعبد الله البريك، وغيرهم من الآلاف الذين سيكتب الشعب أسماءهم العربية في سجل الصِّدِّيقين والخلود مع «٤٠٠ ألف شهيد» من أبنائه في كافة أنحاء الجزيرة العربية، قتلهم الآثمون السعوديون والانكليز في معارك تربة والطائف والجوف والحفر والحجاز ونجد ومن معظم القبائل.. كما شرَّدوا من شعب الجزيرة العربية ما يزيد عن (١.٥) مليون مواطن إلىٰ أنحاء آسيا وافريقيا وكافة البلاد العربية..

وهناك بطولة استشهاد لا ينساها شعبنا.. تلك هي بطولة استشهاد القائد البطل ضاري بن طواله رئيس عشيرة الأسلم من قبيل شمَّر، لقد نزح ضاري بن طواله مع من نزحوا من عشائر شمَّر عن حائل، لخلاف بينه وبين سعود آل رشيد، ولكن ضاري بن طواله ما أن علم بحصار حائل من قبل السعوديين حتّىٰ توجه من الكويت إلىٰ حائل، رغم ما بينه وبين آل رشيد من خلاف، جعل ابن الرشيد يهدد ضاري بن طواله بالقتل، توجه البطل ضاري بن طواله ليدافع عن حائل، وأخذ وإخوته يحارب كل من في طريقه من السعوديين وأتباعهم، حتّىٰ وصل إلىٰ ياطب «٣٠ كم تقريباً شرقي حائل» وهو يقاتل الخونة بشدة [٥٣] .

قلت: لقد سنَّ ابن عبد الوهاب سُنَّة القتل لأتباعه، تحت ذريعة الشرك والكفر لمن لم يتبعْه من الموحدين، وأباح لنفسه الخروج علىٰ إمام المسلمين المبايع له شرعاً، فنصَّب من نفسه وصيّاً علىٰ الإسلام، وخليفةً علىٰ المسلمين، وأرغمهم علىٰ الدخول في دعوته قهراً تحت تهديد الموت، وعاملهم معاملة المشركين بالقتل والسَّبي، وانتهاب الأموال، واصطفىٰ لنفسه الخمس منها، وسبي النساء جواري يتمتع

(٥٣) انظر للفائدة : خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام للسيد احمد زيني دحلان، كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب للسيد محسن الأمين، تاريخ آل سعود ناصر سعيد، تاريخ الجزيرة العربية للمؤلف الروسي فاسيليف، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، تاريخ الجزيرة العربية في القرن العشرين لحافظ وهبه، تاريخ نجد لحسين غنام .

بهن هو وأتباعه، زيادة على ما قتله من الأطفال الرُّضَّع، والشُّيوخ الرُّكَّع، والتمثيل بالجثث وإحراقها، وهدم البنية التحتية للمدن والقرى التي استباحها .

أضف إلى ذلك استباحته مكة والمدينة، ولم يراع لهما حرمةً أبدا، واستعانته بالإنجليز لقتل الموحدين، كما نراه اليوم ممن يسمون أنفسهم: «تنظيم الدولة»، أو كما نسميهم «داعش»، فهم نسخة مصغرة عن دولة التوحيد المزعومة التي أنشأها قرن الشَّيطان على أشلاء الموحدين .

إن ما نراه اليوم من تنظيم الدولة، التي يرأسها الحاخام الأكبر في لندن، وينوب عنه عملاء غرسوهم في جسم الأمة، غطَّوا ماسونيتهم بعمائم سوداء، ولحى سوداء مثل قلوبهم، حتى أن راياتهم كذلك، لهم سيئة من سيئات ابن عبد الوهاب، ذلك القرن الشَّيطاني الذي أخبر عنه سيِّدنا رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، حتى يبين الصبح لذي عينين، ومن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد: أن دولة التوحيد المزعومة التي أرسى قواعدها قرن الشَّيطان، وأعانه عليها قرون الضلالة من كل مِلَّة، لهي سيفٌ على رقاب المسلمين، وخنجرٌ في كبد الإسلام، سلَّه أعداء الله لينتقموا لأسلافهم الذين دفعوا الجزية لأجدادنا، والتاريخ سجال، يوم لنا، ويوم علينا، ولكن العاقبة للمتقين .

إن أتباع هذه الحركة أعداءٌ للإسلام في ثوب إسلامي، فقتْلُهم المسلمين، وموادعتهم الكافرين دليل على ذلك، فمن تتبَّع تاريخ هذه الحركة يرى أنها لم تُشهر سيفها في وجه عدوٍّ للمسلمين، ولو كان مغتصباً للأرض، ومستبيحاً للعرض، بل يُسمُّون المسلم العربي الذي يزور بيت الله الحرام أجنبيًّا، ويسمُّون الأجنبي المخالف للإسلام صديقا .

إن الوهابية هي صنيعة الأيدي الخفية، أنشأها المستعمر ليكون معول هدم لصرح الإسلام الشامخ، معتمدين على المثل القائل: لا يقطع الشجرة إلا فرع منها، وكذلك فعلوا، عملوا وخططوا عقوداً طويلة من الزمن حتى يروا الإسلام صريعا، وبأقلَّ الجهد والتكاليف .

الفَصْلُ الخَامِسُ
تَعْيِينُ قَرْنِ الشَّيْطَانِ

محمد عبد الوهاب هو قرن الشَّيطان

الأدلة على أن هذا النَّجْديّ هو قرن الشَّيطان

الدَّليلُ الأول: أنه من جهة الشرق .

الدليل الثاني: إنه من منطقة نجد تحديداً .

الدليل الثالث: إنه من بن تميم .

الدليل الرابع: قتله أهل الإسلام وتركه أهل الأوثان .

الدليل الخامس: سيماه التحليق .

الدليل السادس : أتباعه سفهاء الأحلام .

الدليل السابع : يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم .

الدليل الثامن: يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة .

الدليل التاسع: لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال .

الفَصْلُ الخَامِسُ

تَعْيِينُ قَرْنِ الشَّيْطَانِ

هذا الباب هو أهمُّ فصول هذا الكتاب وأبوابه، لأن مداره على تعيين قرن الشَّيطان الوارد في الأحاديث النبوية الشريفة، ويُجمع علماء الأمة المعتبرون منذ ثلاثة قرون تقريباً: على أن قرن الشَّيطان هو محمد عبد الوهاب، وذلك تحقيقاً لنبوة سيِّدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم الذي أخبر عنها قبل مجي الوهابي باثني عشر قرنا من الزمان، وقد جاءت البلاغة النبوية بهذا الوصف اسماً على مسمَّىٰ، فالقرن آلة القتال عند الحيوانات القرناء: كالبقر والغنم والوعول، وغيرها من الحيوانات البرية، فالقرن عند هذه العجماوات القرناء؛ هو سلاحها الذي تصرع به خصمها، وتدافع به عن نفسها، دونما تفكير بشيء غير صرع الخصم، كذلك جاء التعبير النبوي، بأن صاحب هذا القرن هو من النوع الذي لا يستعمل تفكيره في سوىٰ ما أراده من صرع خصمه، بغضِّ النظر عن هذا الخصم، مهما كانت رتبته العلمية، أو الدِّينية، وما له من الفضائل التي حباه الله تعالىٰ إياها، وأُضيف هذا القرن إلى الشَّيطان دلالة على أن الشَّيطان متمرِّس على الكفر، وعداوة المسلمين، بل تزيد عداوته للإنسان كلما ارتقىٰ في الإيمان، وأشدُّ الناس عداوة للشيطان هم: الأنبياء، ثم الأولياء والعلماء العاملون، فهذا القرن الشَّيطاني الإنسي هو موصوف بهذا الوصف، فهو شديد العداوة للمسلمين، وأكثر من يعاديه منهم، من كان منهم أقرب إلى الله تعالىٰ، وإلى رسوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ولَمْ نجد في مذاهب المسلمين أكثر قرباً إلى الله ورسوله من منتسبي مذهب التصوف، لذلك كانت الهجمة الشرسة من هذا القرن على منتسبي هذا المذهب، فكان من أولويات برنامجه هو: معاداة أهل الله، والقضاء عليهم وعلى مذهبهم، وطمْس تراثهم العلمي،

والناظر في بلاد الحرمين بعد ظهور هذا النَّجْديّ، لا يجد أثراً للتصوف ظاهرا، إلا ما كان سراً كدعوة النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في بدايتها .

فالتعبير النبوي «قرن الشَّيطان» كناية عن السلاح الذي يستعمله الشَّيطان لإغواء الناس وإضلالهم، سواء كان بالوسوسة، أو استعمال العملاء الذين يقومون مقام الشَّيطان في الإضلال، بل إن الشَّيطان إذا عجز عن إغواء مؤمن سلَّط عليه جنوده من شياطين الإنس، فيفعلون ما يعجز عنه المردة من شياطين الجن .

ثم جاءت نسبة قرن الشَّيطان لبقعة معينة من الأرض، وهي نجد، ووصفها بأوصاف وردت في الأحاديث، تقدمت في بداية هذا الكتاب، حتىٰ صارت نجد صبغةً ينصبغ بها أهل الضلال والإفساد، وكانت صبغة الشَّيطان إذا ظهر لشياطينه من بني آدم أن يتزيَّا بزِيِّ أهل هذه المنطقة، وقد سجلت لنا كتب الأحاديث والسيرة النبوية، والتأريخ، أن الشَّيطان الذي عصىٰ أمر ربنا ـ جلَّ شأنه ـ وتمرَّد دون خجل واستكبر عن السجود لمن أسجد له ملائكته، وكان سبباً في إخراجه من الجنة، كان يتزيَّا بزِي أهل نجد، عند حضوره المؤتمرات الرسمية لرؤوس الكفر، لعلمه أن تلك المنطقة هي مأوىٰ جنده من البشر، وأنها ستكون قاعدةً ينطلق منها جنوده لقتل الموحدين، وإفسادهم وإضلالهم، في مستقبل الأيام:

نجد صبغة قرون أهل الضلال :

(أولاً): إن عمرو بن لحىٰ هو من غيَّر تلبية إبراهيم خليل الرحمن عليه السَّلام، فبينما هو يسير علىٰ راحلته في بعض مواسم الحج وهو يلبِّي، إذ تمثَّل له إبليس في «صورة شيخ نجدي» علىٰ بعير أصهب، فسايره ساعة، ثم لبىٰ إبليس، فقال: لبيك اللهم لبيك، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك، فقال إبليس: لبيك لا شريك لك، فقال عمرو مثل ذلك، فقال إبليس: إلا شريكاً هو لك، فقال عمرو: وما هذا؟ قال إبليس لعنه الله: إن بعد هذا ما يُصلحه: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فقال عمرو بن لحىٰ: ما أرىٰ

بهذا بأسا، فلبَّاها، فلبَّىٰ الناس علىٰ ذلك، وكانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

فلم تزل تلك تلبيتهم حتىٰ جاء الله بالإسلام، ولبَّىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلبية إبراهيم الصحيحة: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، فلباها المسلمون [٥٥].

(ثانياً): إن الشَّيطان جاء قريشاً عندما هدموا الكعبة علىٰ أثر تصدُّعها، وبنوها من خالص أموالهم الحلال، واختصموا في من يضع الحجر الأسود مكانه، حتىٰ كاد أن يحصل بينهم شر، فاصطلحوا علىٰ أن يُحكّموا أول داخلٍ عليهم من باب الصَّفا، فكان أوَّلَ داخلٍ هو سيِّدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ولَّما ينزل عليه الوحي بعد، وكان سِنُّه حينذاك (٣٥) سنة، فقالوا : هذا الصادق الأمين، رضينا به حَكَماً، فأمر صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن يُبسط رداء ويوضع فيه الحجر، ثم يأخذ كلُّ زعيمِ قبيلةٍ بناحيةٍ من طرف الرِّداء ويرفعوه سوية، حتىٰ يتساوىٰ الجميع في هذا الشرف، ثم تناول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم الحجر بيديه الكريمتين ووضعه مكانه، وكان معهم إبليس بصورة «شيخ نجدي» فبادر الشيخ النَّجْديّ «إبليس» ليناول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم حجراً صغيرا ليثبِّت به الحجر الأسود، فرفض النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن يأخذ الحجر من هذا الشيخ النَّجْديّ «إبليس» فصاح النَّجْديّ بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش، أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذَوِي أسنانكم؟ فكاد يثير شرا فيما بينهم، حتىٰ ألهمهم الله السكوت [٥٦].

---

(٥٥) [أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٩٤)].

(٥٦) [الروض الأنف ت السلامي (٢/ ١٨٢)].

(ثالثاً): وأهمُّ اجتماع حضره إبليس بصورة شيخ نجدي هو المؤتمر الذي عقده قرون الكفر في دار الندوة، لقتل النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، قال أصحاب السير:

ولما رأت قريش ما لقي أصحاب رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من طيب الحال، وحسن الجوار من الأنصار، رهِبوا ذلك، وحذِروا خروجَ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في أمره ، فتصوَّر لهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ نجدي مشاركاً لهم في الرأي، فتحدثوا أن يربطوه في الحديد، ويُغلقوا دونه الأبواب حتىٰ يموت، أو أن يُخرجوه من بين أظهرهم فيستريحوا منه، أو أن يجمعوا من كل قبيلة رجلاً فيقتلونه دفعةً واحدةً فيفترق دمه بين القبائل، حتىٰ يعجز قومه عن طلب الثأر، وهو رأىٰ أبي جهل، فحسَّنه لهم الشيخ النَّجْديّ وتفرقوا علىٰ ذلك (٥٧) .

قال السهيلي معلقاً: فَإِنْ صَحّ هَذَا الْخَبَرُ فَلِمَعْنىً آخَرَ تَمَثّلَ نَجْدِيّا، وَذَلِكَ أَنّ نَجْداً مِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطَانِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قِيلَ لَهُ: وَفِي نَجْدِنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: هُنَالِكَ الزّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَمِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطَان، فَلَمْ يُبَارِكْ عَلَيْهَا، كَمَا بَارَكَ عَلَىٰ الْيَمَنِ وَالشّامِ وَغَيْرِهَا، وَحَدِيثُهُ الْآخَرُ أَنهُ نَظَرَ إلَىٰ الْمَشْرِقِ، فَقَالَ: إنّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطَانِ (٥٨) .

وبعد دراستي لنفسية أصحاب هذه المنطقة وجدت فيهم خصالاً كثيرة جاء ذكرها في الحديث النبوي الشريف منها، قوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : وبها الداء العضال، والداء العضال، هو اسم لجملة من الخبائث، جُبلت عليها النفس الأمارة، التي وصفها الله عز وجل بقوله علىٰ لسان امرأة العزيز: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾[يوسف:٥٣] منها: الحسد والرياء والعجب، والكبر والجفاء، وحب السيطرة علىٰ الآخرين المعبر عنها بحب الرياسة، وحب التعالي علىٰ الناس، وغير ذلك مما يصعب

---

(٥٧) [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٤٨٠)، بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ١٤٧)] .

(٥٨) [الروض الأنف ت الوكيل (٤/ ٢٠٠)] .

حصـره، وهذه الأمراض إذا استعصت في الإنسان، ولَمْ يجتهد في تخليصها منها، كان حطباً لجهنم، وكـما جاء في سورة الشعراء: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ، أي سليماً من هذه الآفات وأمثالها .

وأما الداء العضال الذي يكون في نجد فهو: أن تخرج منها البدع والضلالات التي يصعب إزالتهـا، فشبَّه النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نجداً بجسم استحكم في المرض المزمن، الذي عجز الطب عن علاجـه، وهذا الداء الذي استحكم في نجد، وتطاير شرره حتى عم بقاع الدنيا، فضلا عن البيوتات العربية، هـو فتنة الوهابية، وسبب استحكام هذا الداء هو: أن الشَّيطان دخـل بالوسوسـة عـلى هـؤلاء، وزيـن لهـم أعمالهم وقال لهم: إنكم أنتم العلماء ، وغيركم يتخبط بجهله، وأنتم أصحاب التوحيد الخالص وغـيركم مشـركون، وأنتم القائمون على خدمة دين الله وغيركم مفرِّطون، وأنـتم تحكمـون بشرع الله وغـيركم يحكمون بالقوانين الوضعية، وأنتم سدنة بيت الله وجيران حرمه ...الخ والوسوسـة إذا اسـتحكمت في الإنسان صعب على العقلاء علاجها وهكذا، هذا هو الداء العضال الذي استحكم في أهل هذه الـبلاد، وأخبر عنه النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم زيادة على ما ذكرناه سابقا من طبيعة نفسية النَّجْديّ .

أجمع علماء السنة، الذين عاصروا الشيخ النَّجْديّ، ورأوا أفعاله بحق الإسلام والمسلمين، ومـن جـاء من بعدهم إلى يومنا هذا، على أن هذا النَّجْديّ هو قرن الشَّيطان المقصود في الحديث النبوي الشـريف، فقد قتل وسبى، وأحرق ودمر، وأهلك العباد، وأفسد في البلاد، وألحـد في ديـن الله، وكفّـر المسـلمين، العالِـم منهم والمقلِّد، حتى أشياخه الذين علّموه، وطمس معـالَمَ النبـوة، والمعـالِم الدِّينيـة والتاريخيـة في أرض الحرمين، وطمس التراث العلمي لعلماء المسلمين، ولَمْ تزل فتنته إلى اليوم قائمة على شبح الرعـب الدموي، والرعب الفكري، فكتبهم ملأت الأرض، وفيها ما فيها من سـب وتكفـير وتبـديع وتضـليل لعموم المسلمين، وخطباؤهم ومدرِّسوهم ملأوا المساجد بالبدع، واشتروا المؤسسـات والمنـابر العلميـة المهمة في كل أرجاء الدنيا، ومن أبى عليهم من العلماء استعملوا ضـغطهم السـياسي، والترغيـب المـالي

للحكام حتى يعطوهم ما يريدون، وآخر صرح علمي استولوا عليه هو جـامع الزيتونـة بتـونس، فقـد حاول الوهابية إلقاء محاضرات في منبره فمنعهم علماء تونس الأشاعرة، وحذَّروا الناس من هـذه الفئـة الضالة، فلما لَم يستطيعوا الوصول إليه، اشتروا السلطة السياسية بالمال، فأعطوهم إدارة الجامع، فعزلـوا كل عالِم أشعري في الجامع، ووضعوا مكانه خطباء يدينون بدينهم .

الأَدِلَّةُ عَلَى تَعْيينِ قَرْنِ الشَّيْطَانِ

أشارت الأحاديث النبوية إلى وصف هذا القرن كشخصية منفردة أحيانا، وذلـك كونه رئيس الجماعة، وبعض هذه الصفات أشارت إليها بلفظ الجمع، فهي وصف لأتباعه، وحتى تكون الدراسة موضوعية، سنطبق ما جاء من هذه الصفات ونطبقها على الواقع، فنخرج بيقين أن هذه الصفات تنطبق جميعا عليـه وعلى أتباعه من هذه الأدلة :

(الأَوَّلُ) أَنـَّه مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ :

ففي الحديث عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه صلى الفجر ثم استقبل المشـرق فقال : «ألا إنَّ الفتنة هاهنـا حيث يطلعُ قَرْنُ الشَّيطان»، وابن عبد الوهاب من بلدة «العُيَيْنة» مولداً ونشأة، وهي إحدى مدن نجـد، وهي شرق المدينة كما أثبتنا من قبل، وهذا دليل أول .

(الثَّاني) إنهُ مِنْ نَجْدٍ تحْدِيداً :

جاء في صحيح البخاري «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يمننا» قَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللهَّ وَفِي نَجْدِنَا قَال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يمننا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَفِي نَجْدِنَا فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَة: «هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان» .

ومحمد عبدالوهاب ولد وعاش في مدينة «العُيَيْنة» بجوار مدينة الرياض، وهي قصبة نجد وهذا دليل ثاني .

(الثَّالثُ) إنهُ مِنْ بَني تَميمٍ :

وذلك استنادا لقوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عن ذي الخـويصرة التميمي: «سيخرج مـن ضئضـئ هـذا قوم يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يـمرق السَّهم من الرَّميَّة لـئن أدركـتهم لأقتلنهم قتل ثمود»، وهؤلاء القوم يُنسبون لابن عبد الوهاب، لأنه رئيسهم، ومؤسس مذهبهم، لذلك قيل لهم الوهابية .

وشجرة النسب التي صممها محمد التميمي لمحمد بن عبد الوهاب تقول: إنه ينحدر من هذه القبيلة، وضئضئ الرجل إما أن يكون من صلبه ونسله أو من عائلته التي هي العشيرة، فلما ثبت هذا قلنا: وهذا دليل آخر .

(الرَّابعُ) يَقْتُلُ أَهْلَ الإِسْلامِ :

وهذه الصفة وردت في صحيح البخاري (٤ / ١٦٧) : «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَان» .

وسيرة هذا الرجل تقول: أنه لمَ يُشهر سيفه في وجه كافر قط، وإنما قتـل المسـلمين في المسـاجد وهـم يصلُّون لله تعالىٰ، بل تشير المصادر أنه كان صديقاً حميماً لأهل الكتاب: من يهود ونصارىٰ، بل ويذكر غير واحد أنه ربيب «همفر» وكيل وزارة المستعمرات البريطانيـة في الشرـق الأوسـط، والـذي كـان مركـزه البصرة، وقد رأينا في الفصل السابق كيف حارب أهل الإسلام داخل الجزيرة وقتل منها : مئات الآلاف من المسلمين، وحارب المسلمين في العراق والأردن وسوريا واليمن وحضرموت وعُـمان والخلـيج، ولمَ

يراع في مسلم إلًّا ولا ذمة، بل وتجاوز القتل الى النساء والأطفال والشيوخ، بل أنه بقر بطون النساء، وأخرج الأجنة من بطون أمهاتها، وقتلهم ومثّل بهم بقطع اليدي والأرجل .

وفي المقابل حرَّموا قتال الكفار، وأصدروا بذلك الفتاوىٰ، فشهروا أسلحتهم ضد جيرانهم المسلمين، وأخفوها ضد اليهود، ووادعوا الصليبيين وأدخلوهم بلاد الحرمين، وقد بوركت هذه الحرب بفتوىٰ من سماحة المفتي العام الوهابي، وقد نُشرت الفتوىٰ بجميع وسائل الإعلام الحديث، وسمعها القاصي والداني، وكم سمعنا من خطبائهم يدعون في صلواتهم في المسجد الحرام والمسجد النبوي علىٰ المسلمين في العراق، كما سمعنا دعاءهم لكبيرهم الذي علمهم الكفر، الرئيس الأمريكي علىٰ منابر مساجد المسلمين .

وها هي فتاوىٰ علمائهم بتحريم الجهاد ضد اليهود، فقد أصدر الألباني الذي يعتبرونه المحدث الكبير فتوىٰ بتحريم جهاد الفلسطينيين ضد اليهود، وقد نُشرت هذه الفتوىٰ سنة (١٤٠٣) هـ علىٰ شريط مسجل بصوته فقال: ويحرم علىٰ أهل فلسطين الجهاد ضد اليهود، ويجب عليهم مغادرة فلسطين، ثم يجمعوا صفوفهم ليعودوا إليها فاتحين .

واستشهد لذلك بفعل النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بترك مكة للكفار، وهاجر الىٰ المدينة ثم عاد إليها فاتحا، وعند قيام الانتفاضة الفلسطينية علىٰ إثر دخول شارون رئيس وزراء اليهود الىٰ المسجد الأقصىٰ، أصدر فتوىٰ أخرىٰ بتحريم عمليات الاستشهاد، وأفتىٰ بأنها عمليات انتحار، ومن قام بها يعتبر قاتلا لنفسه، ومخلد في نار جهنم .

والجناح التكفيري لهذه الحركة بدأ بقتل المسلمين في اليمن، وتسلطوا علىٰ منتسبي مذهب التصوف بالقتل، والتصفيات الجسدية، ثم امتدت إلىٰ الجزائر، وبدؤوا بقتل أهل السنة بأبشع الطرق، وقطع رؤوسهم بالفؤوس وغيرها، ثم انتقلت إلىٰ العراق والشام، وأعلنوا عن تشكيل دولتهم في العراق

والشام، وما يعانيه منهم أهل السنة ظاهر للعيان، لا يحتاج إلى برهان، فصدقت فيهم نبوة خاتم المرسلين صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنهم يقتلون المسلمين، ويوالون الكافرين، ويحرّمون قتالهم .

(الخَامِسُ) سِيماهُمُ التَّحْلِيقُ :

وهي كما جاءت في غير ما رواية: «سيماهم التحليق» أي حلق رأسه بالموسى، وكذلك رؤوس أصحابه ومن أمرهم باتباعه، بحيث أصبحت هذه السيما تُميِّزهم عن غيرهم من الفرق .

قال أحمد زيني دحلان: إنه كان يأمر كل من اتبعه أن يحلق رأسه، ولَم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء، وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية، بل يكفي في الرد عليهم قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : «سيماهم التحليق» فإنه لَم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم، واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن عبد الوهاب، لَمّا أكرهوها على اتباعهم، حيث أمرها ابن عبد الوهاب أن تحلق رأسها فقالت له: حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها، ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته، لأن شعر رأس المرأة زينتها، ولحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابا (٥٩) .

ويكفي في هذه العلامة اعتراف سبط محمد بن عبدالوهاب، فقد قال عبد العزيز بن حمد سبط محمد بن عبدالوهاب في جوابٍ له، بعضاً من أحكام حلق شعر الرأس في أولاد نجد فقال : فالذي تدل عليه الأحاديث النهي عن حلق بعض وترك بعض، فإما تركه كله فلا بأس به، إذا أكرمه الإنسان كما دلت عليه السنة النبوية، وأما حديث كليب فهو يدل على الأمر بالحلق عند دخوله في الإسلام إن صح الحديث، ولا يدل على أن استمرار حلقه سنة، وأما تعزير من لَم يحلق، وأخذ ماله فلا يجوز، ويُنهى فاعله عن ذلك، لأن ترك الحلق ليس منهياً عنه، وإنما نهى عنه ولي الأمر، لأن الحلق هو العادة عندنا، ولا يتركه

---

(٥٩) [خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام (١/ ٢٣٨)].

إلا السفهاء عندنا، فالنهي عن ذلك نهي تنزيه لا نهي تحريم سداً للذريعة، ولأن كفار زماننا لا يحلقون، فصار في عدم الحلق تشبهاً بهم [٦٠] .

ففي قول السبط إثبات أن سيماهم التحليق، وإن نفى وجوبها أولاً، ثم ذكر في نهاية كلامه: ولأن كفار زماننا لا يحلقون فصار في عدم الحلق تشبهاً بهم، ومقصوده بـ: كفار زماننا هم المسلمون من أتباع المذاهب الفقهية الأربعة الذين قتلهم جده، ومعلوم أن التشبه بالكفار عند الوهابية يصل الى الحكم على فاعلة بالكفر .

(السَّادِسُ) سُفَهَاءُ الأَحْلامِ :

وهذا الوصف ورد في الحديث عن صفة أتباع قرن الشَّيطان وهي كما عند البزار : «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم» . وقد سبق تخريجه .

قوله: «أحداث الأسنان» والأحداث جمع حدث، والحدث قسمان:

حدث السن: وهو من كان في بداية الشباب .

وحدث العقل: وهو أن يفعل أفعال الصبيان وإن كان كبيراً في السن .

والأحلام هي العقول، والسَّفَه صفة مذمومة في الإنسان، لأنها صفة تبعث على كل ما من شأنه الإخلال بشخصية المرء، وهي صفة نقص، لذا، فإن هؤلاء الأتباع عندهم نقص في عقولهم، ومن النقص عدم التفكير بمعنى النص الوارد عن الشارع، فلا يأخذون من النص إلا ظاهره، سواء كان محتملا أم لا، وهذا منهج السفهاء، ولا تزال هذه الصفة ملازمة للواحد منهم حتى الكبر، فيموت وهو على ذلك .

---

(٦٠) انظر: [مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٥٧٨)، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ١٨٤)].

والناظر في سيرة هؤلاء القوم، يجد أن شبابهم يتصدَّرون لتعليم الناس وهم جهال، يسارعون الى تكفير المسلمين بدون أدنى شبهة، لا يراعون حقاً لمسلم، ولا يعيرونه أدنى احترام، لا يحترمون علماء المسلمين السابقين منهم واللاحقين، يكفِّرون الأولياء ويلمزونهم بأقذع الألقاب، وهكذا ما من عيب في شخصية المرء إلا وتجده فيهم، وهذه صفة بارزة عندهم لا تحتاج الى دليل .

(السَّابع) يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ :

وفي لفظ كما في صحيح البخاري (٩ / ١٥٥): «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» ، وهذه أيضاً صفة ظاهرة على أهل هذه الطائفة، فلهم عناية زائدة بالقرآن الكريم، فأنشأوا مطابع خاصة لطباعة المصحف الشريف بالقراءات المشهورة، وباللغات المتعددة، كما أنشأوا مدارس لتحفيظ كتاب الله تعالى، وأنشأوا أيضا محطات الإذاعة والتلفزة التي تبث قراءة القرآن على مدار الساعة، وسجلوا الأشرطة المسجلة، والأقراص الصلبة ووضعوها في شبكة العنكبوت الدولية، ومراكز تحفيظ القرآن، وغير ذلك، فصدق فيهم قول النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنهم يعتنون بالقرآن، لكن جاء في الشطر الثاني من هذه العلامة:«لا يجاوز حناجرهم» .

فالأصل في قراءة القرآن زيادة إيمان المؤمن بسماعه أو قراءته: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ [الأنفال: ٢]، وهؤلاء على عكس ذلك، فهم يقرءون القرآن، لكنهم لا ينتفعون به، لأنهم أخذوا منه التلاوة وأهملوا المعنى الموجود في الآية، والمعنى هو التطبيق العملي للآية، فالقرآن ينهى عن تكفير المسلمين وهم يكفِّرونهم، وينهى عن قتلهم ويقتلونهم، وينهى عن التعرض للعلماء والأولياء وهم ينالون منهم، وينهى عن سب إخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهو يسبونهم....الخ

وهذا معنى قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : «لا يجاوز حناجرهم» فشبَّه قارئ القرآن كالمتمضمض بالعسل لا يدخل الى جوفه شيء من حلاوته، فلا يجاوز الفم الى الجوف، فلا ينتفع به، وكذلك هؤلاء لا ينتفعون بقراءتهم لكتاب الله .

(الثامن) يَمرقُونَ مِنَ الدِّين كالسَّهْم :

وهذه الصفة كما جاءت في رواية البخاري (٩ / ١٥٥): «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهم مِنَ الرَّميَّة، لاَ يَعُودُونَ إِلَيْه» .

وهذا كناية عن سرعة الكفر عندهم وخروجهم من الملة، شأنهم في ذلك شأن السَّهم إذا دخل جسماً من جهة، لم يلبث لحظة حتى يخرج من الجانب الآخر .

وهذا تشبيه نبوي بليغ يصف فيع سرعة الردة عند هؤلاء، ومن طرق الردة عندهم تكفيرهم للمسلمين، وهذه الصفة انصبغوا بها دون غيرهم من طوائف المسلمين، فيسارعون بتكفير المسلمين بشبهة وبدون شبهة، يطلقون الكفر على كل من لم يدخل مذهبهم، وما أسهل التكفير عندهم، وقرن الضلالة سن لهم هذه السنة القبيحة، وتلك كتبه يُدرِّسونها في مدارسهم، ولهم فيها مزيد اعتناء، ومعلوم أن من كفَّر مسلماً فقد باء بإثمه، فإن كان كما قال وإلا رجعت على قائلها حتى تخرجه من ملة الإسلام، وهذا هو أحد مقاصد هذا الحديث الشريف .

والصفة الثانية من هذه العلامة: ثم لا يعودون إليه، أي إذا خرج أحدهم من الإسلام لا يعود إليه أبدا، وذلك أنهم ما داموا معتنقين هذا المذهب يرون تكفير المسلمين، ومن طرق الردة تكفير مسلم، فما داموا على وهابيتهم لا يزالون على تكفيرهم لهم، لذلك لا يعود الإسلام إليهم وهم على هذه العقيدة .

(التَّاسِعُ) يَخْرُجُونَ في آخِرِ الزَّمَانِ :

وهذه الصفة كما في رواية صحيح البخاري (٤ / ٢٤٤): «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهم مِنَ الرَّميَّة... » .

فقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: يأتي في آخر الزمان...إشارة الى هذه الفئة، لأنهم ظهروا بعد النبوة بقرون كثيرة، وليس المقصود منهم الخوارج الذين خرجوا على سيِّدنا علي، لأن سيِّدنا عليا لم يكن ظهوره قرب قيام الساعة، وقد أخبرنا النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أشراط قرب الساعة في أحاديث

كثيرة، وهذه تشير الى قرب قيامها، وهذه الطائفة ظهروا مع ظهور هذه العلامات، فيصدق فيهم الحديث النبوي : يأتي في آخر الزمان...

ومعنى الخروج هنا شدة الانتشار، وإلا فهم خرجوا قبل قرنين ونصف من الزمان، لكن انتشارهم كان في بلدهم فقط، ونحن الآن نعايش أشراط الساعة، ولَم يبق من أشراطها إلا العلامات العشر الكبرى، وواكب ظهورَ هذه الأشراط ظهورُ الوهابية بهذا الكم الهائل من البشر، وانتشار الفتنة حتى عمَّت جميع شعوب العرب والمسلمين، بل وتجاوزت حتى تفشَّت في بلاد الكفر، ودليل على ذلك انتشار مراكزهم في أمريكا وأوروبا وشرق آسيا وكافة بلدان العالَم، وتشهد هذه الطائفة تبشيراً نشِطاً، ونشاطاً مكثفاً لدعوتهم، عبر وسائل التقنيات الحديثة بجميع أشكالها، حتى بان الصبح لذي عينين، أنهم هم المقصودون بهذه الأحاديث الشريفة التي تشير الى هذه الفتنة .

(العَاشِرُ) سيَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الدَّجَّال:

وهذه رواية النسائي (٧ / ١١٩) وغيره : «لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليقة» .

وهذه الطائفة ظهرت أيام محمد عبد الوهاب عام (١١٤٣)هـ حتى انتشرت في الجزيرة، فقضى عليها محمد علي باشا والي العثمانيين على مصر، فتلاشت، ثم بعد ذلك بسنوات قامت من جديد، وهي الدولة الثانية لهم، ثم تلاشت وخبت نارها، ثم شبَّت من جديد في مطلع القرن العشرين، وهي الدولة الثالثة، ولَم يزل سعيرها بازدياد .

وقوله : «حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال» يدل على:

- أن الدجال يهودي الجنسية والعقيدة، وهؤلاء يدعون لعقيدة اليهود التجسيمية، بدليل ما يأخذونه من التوراة من أدلة على عقيدتهم .

- اليهود ينظرون إلى غيرهم نظرة استعلاء، فيقولون: إنهم شعب الله المختار، وكذلك هؤلاء، يرون أنفسهم سادة غيرهم من العرب والمسلمين، حتى أنهم يسمون العرب المسلمين القادمين إلى بلاد الحرمين بالأجانب، ويقولون عن الكفار القادمين إلى بلادهم بالأصدقاء .
- إن اليهود لا يؤمنون بالروحانيات، بل إن مذهبهم مادي تجسيمي بحت، وهؤلاء كذلك، فلا يؤمنوا إلا بالمحسوسات، حتى أنهم عدّوا كرامات الأولياء سحرا.
- واليهود لا يؤمنون بعصمة الأنبياء، فقد سجلت توراتهم نسبة الكبائر لبعض رسلهم، وهؤلاء لا يؤمنون بعصمة الأنبياء أيضا، وقد قرر شيخهم ابن تيمية ذلك في كثير من كتبه .
- واليهود لا يقيمون وزناً لغيرهم، بل يعتبرونهم خُلقوا لخدمة الشعب اليهودي، وهؤلاء كذلك، فيعتبرون أنفسهم أعلى رتبة من غيرهم بكثير، فلا يجدون حرجاً في تكفيرهم، وسبهم، والنيل منهم .
- واليهود قتلوا من عارضهم من الأنبياء والعلماء، وهؤلاء كذلك يقتلون أي عالم يخالفهم، وإن عجزوا عنه كفَّروه ونبزوه بأبشع الألقاب، حتى تسلَّطوا على الأموات بتفجير قبورهم والمساجد التي بنيت عليهم، ثم نبش القبر وإخراج رفاتهم ... الخ .

وأوجه الشبه بين يهود وهؤلاء كثيرة، قد استقصيتها في كتابي: «الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة» فليراجعه من شاء .

لذلك قلنا: بأن هؤلاء سيكونون من أتباع الدجال عندما يأتي، فهم من يبشِّرون به بأفعالهم وسلوكهم وعقائدهم، دليل ذلك: عندما أعلن «ترامب» الرئيس الأمريكي نقل السفارة إلى القدس، وإعلانها عاصمة لإسرائيل، انتفض العالم الإسلامي، واستنكر ذلك، وخطب الخطباء على المنابر، إلا أن هؤلاء لم يحرِّكوا ساكنا، ولم يتعرضوا لهذا الخبر بشيء، وكأنهم لم يسمعوا به أبدا، ولو لم يكونوا موافقين على ذلك لتكلموا، واستنكروا، فهم موافقون ضمنا، وإن لم يكن تصريحا، لكونهم من أتباع الدجال .

الوَهَّابِيَّةُ هُمْ خوَارِجُ العَصْرِ

الخوارج: أُطلق هذا اللقب في الأصل على مَن خرج على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد التحكيم في حربه مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ونزعوا بيعته من أعناقهم، بل وحاربوه، وانتهى بهم الأمر إلى قتله وقتْل عددٍ من الصحابة، فأصدر العلماء تعريف الخوارج على كل فرقة خرجت على إمام المسلمين المبايَع له شرعاً، سواء كان في عهد الصَّحابة أم كان بعدهم».

ولو طبقنا هذا التعريف على الوهابية لانطبق عليهم تماماً، فقد خرج هذا النَّجْديّ على إمام المسلمين المبايع له شرعاً، وهو الخليفة العثماني السلطان سليم الثالث، ابن السلطان مصطفى الثالث، بن أحمد، بعد أن نصَّب محمد بن سعود خليفةً مكانه، وسماه أميراً للمؤمنين وبايعه على ذلك، وكانت الخلافة إسلامية تحكم بالقرآن، ومرَّ عليها ما يقارب قرنين من الزمن، وقد حاربهم إمام المسلمين مرات ليقضي على حركتهم، لكنها ظهرت من جديد معلنة الخروج على الأمة مرة أخرى، وعاثت في البلاد إفساداً وتقتيلاً.

وقد بوَّب الإمام مسلم في صحيحه: (باب) إذا بويع لخليفتين، وأورد أحاديث تحت هذا الباب، فقال: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا»، لذلك انطلاقاً من هذا النص الشرعي، حكم علماء المسلمين على هذه الحركة بالخروج على الأمة، واعتبروهم خوارج العصر.

وقد جاء ذمُّ هؤلاء على لسان النبوَّة وعدد من الصحابة، وما هو حكم الإسلام فيهم.

جاء في [صحيح البخاري (٩/ ١٦)] بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ:

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَقَالَ: «إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ».

وفيه أيضاً: (٩/ ١٧، رقم:٦٩٣٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهم مِنَ الرَّمِيَّة، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَىٰ النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] .

بوَّب الإمام مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٠) بَاباً فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، ثم أورد حديثاً عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ الله فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ الله، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهم مِنَ الرَّمِيَّة» .

ثم بوَّب باباً آخر (٢/ ٧٤٦) سماه: [التحريض على قتل الخوارج]، وأورد حديثاً عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ»، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ

الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهم مِنَ الرَّمِيَّة، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْراً، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

ثم بوَّب بعده باباً آخر (٢/ ٧٥٠) وصف الخوارج بأنهم شرُّ الخلْق والخليقة، وفيه عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّين كَمَا يَخْرُجُ السَّهم مِنَ الرَّمِيَّة، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» .

قلت: إن رئيس هذه الحركة ومؤسسها هو الذي أشار إليه رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في الأحاديث السابقة : «يخرج من ضئضئ هذا «وهو ذو الخويصرة التميمي» قوم سفهاء الأحلام، يقرءون القرآن كما أُنزل، يقولون بهدي خير البرية، ويمرقون من الدِّين كما يمرقُ السَّهم من الرَّميَّة»، وذو الخويصرة هو أول رجل خرج علىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، وزيادة علىٰ أنه نبيُّ الله، فهو يشكل قمة الهرم السياسي والقيادي في دولة الإسلام، ومع ذلك خرج عليه، وأشار صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنه سيخرج من صلبه أو من قبيلته أقوام يخرجون علىٰ أئمة المسلمين، صفتُهم كصفة هذا الرجل، أي أنهم يطالبون بإقامة شعائر الإسلام، إذ أنه قال عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : اعدل فإنك لَم تعدل، ومعروف من هو رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فخرجوا في بداية الدعوة مرة أخرىٰ، وكان من نتيجتها قتل سيِّدنا علي إمام المسلمين المبايَع له شرعاً، وكان شعار هذه الحركة: «لا حكم إلا لله»، وهي كما قال عنها سيِّدنا علي : «كلمة حق أريد بها باطل»، فدعوىٰ ذي الخويصرة وهذه الدعوة واحدة، وحركة محمد عبد الوهاب هي امتداد لهذه الحركة الخارجية، لقوة الربط بين هذه الحركات، من حيث المكان، والمبادئ والغايات والوسائل والنَّسب.

مِيزَانٌ نَبَوِيٌّ :

إن هذا الميزان وُضع لِمن ليست له الأهلية، والكفاءة والمؤهِّلات العِلمية التي يستطيع من خلالها سبر غور النصوص، ومعرفة ما وراء اللفظ الظاهر، واستخراج ما كمن فيها من أحكام شرعية، لذا فهو ميزان بسيط الاستعمال، وهذا الميزان هو:

«إذا أجمع علماء الأمة على شيء كان ما خالفهم هوى وضلالة» .

لأن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا، كما جاء في غير ما رواية :

روى الحاكم عن قدامة بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول: «عليكم باتقاء الله والجماعة، فإن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على الضلالة »[٦٠] ، وروى ابن ماجه في [سننه (١١:٤٤٢)] عن أنس بن مالك قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلالَة، فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلافًا فَعَلَيكُمْ بِالسَّواد الأَعْظَمِ » .

وروى الخطيب البغدادي في [المتفق والمفترق (٣:١١٣)] عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «عليكم بالجماعة واتَّبِعوا السَّواد الأعظم، فإنه من شذَّ، شذ في النار» .

وروى الحاكم في [المستدرك (١:١٦٠)] عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : «لا يجمع الله هذه الأمة على الضَّلالة أبدا وقال: يد الله على الجماعة، فاتبعوا السَّواد الأعظم فإنه من شذ، شذ في النار» .

والمراد بالسَّواد الأعظم هم علماء المذاهب الأربعة في الفقه ومقلِّدُوهم، والأشاعرة والماتُريدية في العقيدة، وأتباع الجنيد في السُّلوك، لأن هؤلاء هم السَّواد الأعظم على مرِّ العصور المتعاقبة، وهم الذين ملأوا الدُّنيا شرقاً وغرباً .

---

(٦٠) المستدرك (٧:٨٩) .

فهذا ميزانٌ نبوي يدلُّنا علىٰ أن هذه الفئة خرجَت علىٰ أمة التوحيد، بـالتكفير لسـوادها الأعظـم، ولَمْ يُفرِّقوا بين عالِمٍ وجاهل، بين قديم وحديث، حتىٰ وصل بهم الأمر لتكفير بعض الصَّحابة الـذين رووا لنا أحاديث التَّوسُّل والاستغاثة، مثل بلال بن الحارث [٦١] وعبد الله بن عمر [٦٢]، وحكموا علىٰ من قدروا عليه بالقتل، فقتلوا الملايين منهم، واستباحوا نساءهم وأموالهم، ولَمْ يـزل القتـل مـنهم للموحـدين إلىٰ اليوم .

وأنها شقت عصا الطاعة لخليفتها المبايع له شرعا، وخرجت عليه وكفَّرته، ونصَّبت خليفة مكانه سماه قرنهم «إمام المسلمين»، فوقعوا تحت طائلة الحديث الشـريف: «سيكون بعـدي هنـات وهنـات، فمـن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرِّق بين أمة محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأمرهم جميع، فـاقتلوه كائنـاً

(٦١) جاء تكفير سيدنا بلال علىٰ لسان عبد العزيز بن باز، الرجل الأول في السلطة الدينية للدولة الوهابية، جاء ذلك في تعليقه علىٰ فتح الباري (٢/ ٤٩٥)، «أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلىٰ قبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا...» .

قال ابن باز معلِّقاً: هذا الأثر ليس بحجة علىٰ جواز الاستسقاء بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم علىٰ خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلىٰ قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلىٰ الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعُلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر، ووسيلة الى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك، وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة «بلال بن الحارث» ففي صحة ذلك نظر، ولم يذكر الشارح سند سيف في ذلك، وعلىٰ تقدير صحته عنه لا حجة فيه، لأن عمل كبار الصحبة يخالفه، وهم أعلم بالرسول صلىٰ الله عليه وسلم .

(٦٢) جاء تكفير سيدنا عبد الله بن عمر علىٰ لسان ابن تيمية، الإمام الأكبر لهذه الحركة، جاء في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٩)، تعليقاً علىٰ تحري عبد الله الصلاة في المواضع التي جلس أو صلىٰ فيها رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، قال: فإن تحرِّي الصلاة فيها ذريعة إلىٰ اتخاذها مساجد، والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه، وذلك ذريعة إلىٰ الشرك بالله، والشارع قد حسم هذه المادة بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وبالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، فإذا كان قد نهىٰ عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان، سدا للذريعة... ثم يترتب علىٰ ذلك اتخاذه مسجدا، فيصير وثناً يُعبَد من دون الله تعالىٰ، شرك مبني علىٰ إفك! والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب، كما يقرن بين الصدق والإخلاص .

من كان، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشَّيطان مع من فارق الجماعة يـرتكض» [٦٣] ومـا رواه أبـو سـعيد الخدري عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر مـنهما» [٦٤] والمسـلمون في مشارق الأرض ومغاربها كانوا علىٰ أمرٍ واحد من دينهم، إمامُهم واحدٌ، وعقيدتُهم واحدةٌ، حتـىٰ جـاء ابن عبد الوهاب، فكفَّرهم جميعا، وقتل من قدر عليه منهم، وهرب من استطاع الإفـلات مـن قبضـته، وغيَّر وبدَّل وابتدع في دين الله ما لـيس منـه، تحـت شـعار الإسـلام، لـذلك حكمنـا عليـه بـما في هـذه الأحاديث، فهو وفئته خوارج، امتداد للخوارج الذين قتلوا سيِّدنا عليا، وعبد الله بن خبـاب وزوجتـه، وهم من خيار الصَّحابة رضوان الله عليهم جميعا .

(تنويه) :

إن الوهابية لا يشكِّلون نسبة (١ـ ١٠٠٠) نسبة لأكثر من مليار مسلم، فهم شرذمة شاذة، ومـن شـذَّ فإنما يشذ في النار، كما جاء في الحديث، وقد ذكرتُ سابقا أن هذه الحركة انتشـرت انتشارا كبيراً وتطـاير شررها، فلا يعني انتشارها كثرة متبعيها، لكنهم يحاولون نشـر مذهبهم بكافة الوسائل، وجندوا لـذلك الأموال الطائلة، وشَروا الناس بالمال، واستعملوا ضغطهم وثقلهم السياسي في سبيل هـذا الأمـر، فهـم يمتلكون مئات المواقع علىٰ الشبكة الدولية، ويطبعون ملايـين الكتـب التـي تبشِّـر بـدعوة شـيخهم، ويشترون أصحاب السلطات في البلدان الإسلامية لنشر مذهبهم، وغير ذلك من الأساليب والوسائل، حتىٰ يُخيَّل لمن لا يعرفهم أنهم أصبحوا الكثرة من المسلمين .

---

(٦٣) [رواه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٣٧، برقم:٤٥٧٧)].

(٦٤) [مستخرج ابن عوانة (٤/ ٤١١، برقم:٧١٣٣)].

أَوْجُهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الخَوَارِجِ وَالوَهَّابيَّةِ

قلنا: إن الخوارج هم الذي خرجوا على سيِّدنا علي رضي الله عنه، وتم لهم الأمر بقتله، واصطلح علماء الأمة على أن سِمة الخروج ليست منطبقة على فرقة بعينها، بل هم الذين يخرجون على إمام الوقت، أي الإمام الشرعي للمسلمين في أي وقت وفي أي مكان، وسأعرض تالياً أهم أفكار الخوارج، ثم أُتبعها بما يوافقها من فكر الحركة الوهابية، وأبين قوة الربط بينهما، حتى يتيقن كل ذي عقل: أن محمد عبد الوهاب هو قائد حركة خوارج العصر التي ابتليت بها الأمة منذ ثلاثة قرون، زيادة على أنه قرن الشيطان، وأن نجداً هي مركز الفتن وبها تسعة أعشار الشر، وبها الداء العضال، وغير ذلك فأقول :

(أولا): إن الخوارج خرجوا على سيِّدنا علي فحاربهم واستأصلهم في النهروان، فهرب منهم تسعة نفر، ثم ظهروا بعد فترة من الزمان، ثم انقرضوا، وهكذا كما قال سيِّدنا علي: كلما قطع منهم قرن نجم قرن .

وكذلك الوهابي النَّجْديّ، خرج على إمام المسلمين السلطان سليم الثالث، فحاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم، وخرَّب بلدهم الدِّرعيَّة، وساق أئمتهم إلى استانبول وأُعدموا، ثم ظهروا بعد فترة وخرجوا على المسلمين من جديد ثم انقطعوا، ثم نجم قرنهم من جديد .

(ثانيا): إن الخوارج قتلوا أهل الإسلام وتركوا أهل الأوثان، فكان أولَ حصادِهم أميرُ المؤمنين رضي الله عنه، وحاولوا قتل عمرو بن العاص ومعاوية ففشلت المحاولة، ثم قتلوا عددا من الصَّحابة منهم عبد الله بن خبَّاب بن الأرتّ، وبقروا بطن زوجته وأخرجوا ما فيه وقتلوه، وحاربوا سيِّدنا علياً في النهروان ومعه أصحاب النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ولَمْ ينقل لنا التاريخ أنهم جاهدوا عدواً للمسلمين قط .

وكذلك الوهابية: حاربوا أهل الإسلام في جزيرة العرب، واليمن، وحضرموت، وعُمان، والعراق، والأردن، وسوريا، والسودان،، ولَمْ يُرو عن واحد منهم أنه رفع سيفه في وجه كافر قط، بل إنهم قاتلوا أهل الإسلام بدل أهل الأوثان، وقتلوا النساء، وبقروا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، وحرَّموا قتال الكفار، بل وتجاوز الحدُّ بهم الىٰ تحريم الجهاد ضد اليهود الغاصبين، وهذا ما أفتىٰ به لإمامهم الألباني مؤخرا، ودافع عنه أتباعه مُقرِّين له بهذه الفتوىٰ، مما يؤكد أن هذا الوصف الذي وصفهم به النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم منطبقٌ عليهم من دون أفراد الأمة وجماعاتها، وأنهم خوارج العصر .

(ثالثا): إن الخوارج سيماهم التحليق، فقد جاء في الحديث أن ذا الخويصرة الخارجي جدَّ محمد عبد الوهاب كان حليق الرأس، وهكذا كان أتباعه من بعده، وهم الذين قاتلوا سيِّدنا عليا، وكذاك أحفادهم من الوهابية كانوا محلِّقين رؤوسهم، فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن محمد عبد الوهاب كان يأمر من اتبعه بحلق رأسه، حتىٰ أصبح التحليق سيما تميزهم عن غيرهم من الحركات الأخرىٰ .

(رابعاً) : وردت أحاديث في الخوارج منها: «يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يَمرقون من الدِّين كما يمرُق السَّهم من الرَّميَّة» .

جاء في [شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال (١٠/ ٤٢١)] : قال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في وصْف الخوارج: «يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين مروق السَّهم من الرَّميَّة» فبيَّن أن من قرأ القرآن ولَمْ يعمل به لَمْ تُرفع قراءته إلىٰ الله، ولا جاوزت حنجرته، فلم يكتب له أجرها وخاب من ثوابها .

قال ابن مسعود لرجل: إنك في زمان كثيرٌ فقهاؤه، قليلٌ قراؤه، تُحفظ فيه حدود القرآن وتُضيَّع فيه حروفه، وسيأتي علىٰ الناس زمان قليلٌ فقهاؤه، كثير قراؤه، تُحفظ فيه حروف القرآن وتُضيَّع حدوده، فذمَّ من حفظ الحروف وضيَّع العمل، ولَمْ يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعاني القرآن وإن لَمْ يحفظ الحروف .

وكذلك الوهابية لهم عناية بالقرآن، فيتعلمونه ويقرءونه غضّاً طرياً كما أُنزل، لكنه لَم يجاوز حناجرهم إلى القلوب، فيثمر لهم خشية الله تعالى، ومراقبته في كل فعل يفعلونه، ولَم يعظِّموا الله تعالى حق تعظيمه، ولَم يعظِّموا مَن أمر الله بتعظيمه، ومما عظَّمه الله تعالى حرمة المؤمنين، وأموالهم وأعراضهم، فكفَّروهم واستباحوا دماءهم وأموالهم ونساءهم، ومما عظَّمه الله تعالى: القرآن، فلم يعظِّموه، ودليل ذلك إلقاؤهم القرآن الكريم على الأرض وهم جلوس في المساجد، وكأنه جريدة أو مجلة، وأفتوا للحائض والنفساء والجنب أن يقرءوا القرآن ويحملوه، مخالفين بذلك قوله تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، وحرَّموا تقبيله والسجود عليه، وحرَّموا قول القائل بعد نهاية التلاوة: صدق الله العظيم، مخالفين بذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ [آل عمران: ٩٥] .

ومما عظَّمه الله تعالى: الصَّلاة، وأمرنا أن نقوم له بين يديه خاشعين، فلو كان الله عندهم عظيماً لوقفوا بين يديه خاشعين، ومن أراد أن يجرِّبهم فلينظر إليهم وهم يصلُّون، كيف تكون صلاتهم، وكم حركة يتحركون فيها، وقد رأى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رجلاً يعبث بلحيته في الصَّلاة فقال: «أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه» (٦٥) .

(خامسا): إن الخوارج عمدوا إلى آيات قرآنية، نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين، جاء في صحيح البخاري: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ (أي الخوارج) شِرَارَ خَلْقِ اللهِ وَقَالَ: إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» .

وكذلك الوهابية عمدوا الى آيات أنزلها الله في المشركين فحملوها على المؤمنين، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴿١٨﴾﴾[الجن]،، وما في معناها، فقالوا: إن من استغاث بنبيٍّ أو وليٍّ فقد دعا

(٦٥) [مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٨٦، رقم:٦٧٨٧)] .

غير الله، والدُّعاء عبادة، وبالتالي فإن المستغيث أو المتوسل بأحد دون الله فهو عابد له، وهذه هـي سِـمة الخوارج.

(سادسا): إن الخوارج ظهروا بمظهر الدِّين والعلم، ومقاومة أئمة الضلال بنظرهم، ورفْع الظُّلم الـذي كان موجودا فقالوا: «لا حكم إلا لله»، حتىٰ قال بمقالتهم جماعة ممن انتسبوا للعلم، اغتراراً بهم، وجهلاً بمذهبهم .

وكذلك الوهابية: ظهروا بمظهر العلم وإخلاص الدِّين لله، وتنقيتـه ممـا دخلـه مـن الشـوائب والبـدع وقالوا: «لا شفاعة إلا لله»، و«لا استعانة إلا بالله»، و«لا استغاثة إلا بالله»، وهـذه كلمـة حـق أريـد بهـا باطل .

(سابعا): إن الخوارجَ كانوا علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الجمودِ والغباوة، فـتراهم يتورَّعـون عـن أكـل تمـرةٍ لا يعلمون مصدرها، ويرون قتل حيوان برِّيٍّ شاردٍ في الصحراء من أنواع الإفساد في الأرض، وتـراهم في الجانب الآخر يرون قتل صحابي عبادةً، يتقرَّبون بها إلىٰ الله تعالىٰ، فقد قتلوا عبد الله بن خباب، وقـالوا: إنا نتقرب بدمك الىٰ الله الذي أمرنا بقتلك، ويرون كل كبيرة كفراً بـالله، ولقـيهم جماعـة مـن المسـلمين فسألوهم من أنتم ؟ وكان فيهم رجلٌ فطِنٌ فقال : دعوا الجواب لي فقـال: إنـا قـوم مـن أهـل الكتـاب، استجرنا بكم حتىٰ نسمع كلام الله ثم تُبلغونا مأمننا، فقالوا : لا نخفر ذمة نبيكم، فأسمعوهم شـيئاً مـن القرآن، وأرسلوا معهم من يُوصِّلُهم الىٰ مأمنهم، وقالوا لعبد الله بـن خبـاب: مـا تقـول في عـلي بـن أبي طالب؟ فأثنىٰ خيرا، فقالوا : إنك ممن يتبع الرجال علىٰ أسمائها، فقتلوه والمصحف معلق في عنقه، وقتلوا زوجته وولده .

كذلـك الحال عند الوهابية، فبينما هم يُحَرِّمون التدخين ويعـاقبون عـلىٰ شُربـه، وقـد توقفـوا مـن قبـل بالتلغراف لعدم وقوفهم فيه علىٰ نص، ويقصِّرون أثوابهم إلىٰ نصف الساق، تراهم في المقابـل يكفِّـرون المسلمين، ويرمونهم بالشِّرْك الأكـبر، ويسـتحلُّون دمـاءهم وأمـوالهم ونسـاءهم ويقتلـونهم بالبنـادق،

ويدمِّرون بيوتهم على من فيها، ويُهلكون الحرث والنسل بدعوى أنهم يطلبون الشفاعة من النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ويستغيثون به، ويتوسَّلون بمن له عند الله الوسيلة، وما في معنى هذه الأمور .

وكما قال بمقولة الخوارج جماعة ممن انتسب للدين والعلم، وقالوا: لا حكم إلا لله، بدعوى رفع الظلم، فقال فيهم سيِّدنا علي: «كلمة حق أُريد بها باطل» كذلك قال بمقولة الوهابية جماعة ممن انتسب للدين والعلم بدعوى رفع البدعة، ونبذ الشِّرْك فقالوا: «لا شفاعة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله»، وهذه كتلك، كلمة حق أريد بها باطل .

ومن غباوتهم أنهم لا يستندون لنصٍّ قطعيِّ الدلالة فيما يذهبون إليه من دعاوي، بل يحمِّلون النصوص ما لا تحتمل، ويجادلون في ذلك أشد المجادلة، وقد مرَّ على هذه الحركة قرون، وهذه مؤلفاتهم ليس فيها شيء مما يحتاجه المسلمون من حلٍّ لمشاكل العصر، بل غاية ما يصل إليه العالم وطالب العلم: افعل، أو لا تفعل، وغاية ما يستندون إليه في التحليل والتحريم هذه العبارات:

* إن هذا الأمر لم يفعله النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .
* إنَّ هذا لم يكن معمولاً به في القرون الثلاثة.
* لا نعلم لذلك أصلاً في الشرع.
* لم يقل به أحدٌ من أهل العلم المعتبرين .
* سداً لذريعة الشِّرْك...الخ

ولقد تتبعت لهم مساجلة علمية، حَصلَت في صُحفهم عنوانها: «لا ذرائع لهدم آثار النبوة»، ابتدأت بمقال للدكتور عمر عبد الله كامل، يحثُّ المسؤولين على إحياء الآثار النبوية في بلاد الحرمين، فردَّ عليه واحد منهم: بأن ذلك عودةٌ للوثنية، فكتب الدكتور عمر ـ وهو من هو في العلم، حيث يحمل ثلاث رسائل دكتوراه ـ بالردِّ على هذا المانع من إحياء الآثار، وقد تميزت كتابتُه بالهدوء والأدب، وكثرة النصوص التي تدل على سعة الاطلاع، واستيعاب الموضوع من جميع جوانبه، فردَّ عليه جماعة، منهم

العالِم، ومنهم طالب العلم، وكانت كتاباتهم محشوَّةً بالسباب، والوسم بالبدعة والوثنية، وما أتوا به من أدلة منه ما هو ضعيف، ومنه ما لا يدل على المطلوب بشيء، وقد اتفقت كلمتهم على هذه الألفاظ التي ذكرت آنفا.

وقد تتبَّعتُ أساليبَهم في الرَّدِّ، فوجدتُها خاليةً من أي دليلٍ شرعيٍّ معتبَرٍ، زيادة على تكفيرهم جميع المسلمين في شتى البلاد، وهذا الأمر يؤيد ما قلته من جمودهم الفكري، وعدم قدرتهم على الغوص في الأدلة الشرعية، واستخراج ما كمن فيها من جواهر العلم، زيادة على ضِيقِ عَطَنِهِم، وقلةِ اطِّلاعهم، وقد طبع الدكتور هذه المطارحة العلمية في كتاب مستقل تحت اسم «لا ذرائع لهدم آثار النبوة» فليطالعه من شاء.

(ثامنا): إن الخوارج لا يُبالون بالإقدام على الموت عند قتالهم المسلمين ومحاربتهم، لأنهم بزعمهم ذاهبون الى الجنة، حتى أن أحدهم طُعِن برمح، فمشى والرمح في جسمه للذي طعنه، فقتله وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴿٨٤﴾﴾ [طه].

كذلك الوهابية يُظهِرون بسالةً وإقداماً في حربهم مع المسلمين، لأنهم بزعمهم ذاهبون للجنة ويرتجزون في قتالهم:

هبَّت هبوبُ الجنة وين انت يا باغيها

ويتواصون خلال القتال: اذبح عدو الله...اذبح عدو الله...

(تاسعا): إن الخوارج متصلِّبون ومتشنِّجون في عبادتهم، مواظبون على الصلوات، وتلاوة القرآن، وأنواع العبادة حتى اسودَّ منهم موضعُ السُّجود، ويقومون الليل يُصلُّون حتى لربما يعجز أحدنا أن يعمل مثل عمله.

كذلك الوهابيون متصلِّبون في عبادتهم لدرجة التشنُّج، يؤدون الصلوات الخمسة في الجماعة، مخمِّرون لنسائهم، ليس بينهم اختلاط، ومنهم من يصوم الاثنين والخميس وغيرها من النوافل.

(عاشرا): إن الخوارج كفَّروا من سواهم من المسلمين، وقالوا : إنَّ مُرتكِبَ الكبيرة كافرٌ خالدٌ في النـار، ويجري عليهم ما يجري على الكافر الأصلي، وقالوا: إن دار الإسلام تصير بظهور الكبـائر فيهـا دارَ كفـرٍ تجب الهجرة منها إليهم .

كذلك الوهابية حكموا بشرك من خالف مُعتقَدَهم من المسلمين واستحَلُّوا ماله ودمـه، ولَم يخـاطبوه إلا بقولهم: يا مشرك، وكانوا يقولون لبعضهم في حروبهم مع المسلمين: اذبح عدو الله اذبـح عـدو الله، وكذلك أفتى ابن عبد الوهاب بوجوب الهجرة إليه في نجد كونها دار إسلام، واعتبر دار غـيره دار كفـر يجب الهجرة منها إليه في نجد، وقد ردَّ عليه شقيقه سليمان بن عبد الوهاب في كتاب الصواعق الإلهيـة في الرَّدّ على الوهابية...

الفَصْلُ السَّادِسُ
ردُّ شُبُهاتِهِم وفيهِ سِتَّةُ أَبْـوابٍ

الباب الأول: رَدُّ شُبهتهم بأن العراق هي نجد المقصودة في الحديث .

الباب الثاني: رَدُّ شُبهتهم بخروج الفتن من العراق وتتمثل في:

- مقتل سيِّدنا علي .
- مقتل الحسين بن علي .
- العراق هو معقل القرامطة .

الباب الثالث: رَدُّ شُبهتهم بتكفير جميع المسلمين .

الباب الرابع : رَدُّ شُبهتهم باستحلال قتل المسلمين .

الباب الخامس: رَدُّ شُبهتهم بطمس آثار النُّبوَّة .

البَابُ الأَوَّلُ
ردُّ شُبْهَتِهِمْ بِأَنَّ العِرَاقَ هُوَ نجدٌ

روىٰ المحدث الفسوي قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي، وفيه حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن توبة العنبري، عن سالمٍ، عن ابن عمر، قال: قال رسول صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي صاعنا، وفي مدنا، وفي يـمننا، وفي شامنا، فقال الرجل: يا رسول الله وفي عراقنا؟ فقال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: بها الزلازل، والفتن، ومنها يطلع قرن الشَّيطان »(٥٧) الحديث.

قلت: هذا الحديث هو مُستَند الوهابية في قولهم: بأن نجداً المقصودةَ في الحديث هو العراق

وهذا الحديث لا تقوم به حجة مع الروايات الصحيحة التي جاءت في الصحيحين وغيرهما، وخاصة ما كان منها في الصحيحين، وعلىٰ فرض أنها جاءت بسند صحيح، تعتبر روايةً شاذة، لأنها عارضت الصحيح المشهور، والشاذُّ من أقسام الضعيف لا تقوم به حجة .

هذه الرواية هي التي استدلَّ بها الصَّارفون لمعنىٰ نجد قرن الشَّيطان من نجد الجزيرة إلىٰ العراق، والناظر في هذه الرواية يجدها رواية منكرة، فقد جاءت بسند ضعيف، مخالفة للروايات الصحيحة التي استفاض ورودُها، متْناً وإسنادا، أما من جهة الإسناد فأقول:

الرجل الأول من رجال السند: هو محمد بن عبد العزيز الرملي المعروف بابن الواسطي :

❋ قال في [الجرح والتعديل (٨ / ٨)] : كان عنده غرائب، ولَم يكن عندهم بالمحمود، هو إلىٰ الضعف ما هو .

❋ قال أبو زُرعة : ليس بالقوىٰ، [الجرح والتعديل (٩ / ١٣)] .

---

(٥٧) [المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٤٦ و ٧٤٧)] .

* محمد بن عبد العزيز الرملي سمعت أبي يقول ذلك وسمعته يقول: هو مجهول .

* وقال ابن الجوزي في [الضعفاء والمتروكين (٣ / ٧٧)] : محمد بن عبد العزيز الرملي قال الرازي: لَمْ يكن عندهم بالمحمود وقال أبو زُرعة: ليس بقوي .

* وقال في [الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢ / ١٩٦)] : قال يعقوب الفسوي حافظ وليَّنه غيره (خ س) أي البخاري ومسلم .

* وقال في [المغني في الضعفاء (٢ / ٦٠٨)]: قال أبو زُرعة : ليس بالقوي، وقال الفسوي: حافظ .

انتهى بنا الأمر إلى أن هذا الرجل وهو الأول من سلسلة رجال الحديث ضعيف، حيث أطبق الحفاظ على ضعفه ما عدا الفسوي وهو الذي روى عنه، وفي هذا الحال يقال : إما أن يُئوَّل لفظ «العراق» الوارد في الحديث بأنه من تَصرُّف الراوي، أو يُعتبَر روايةً منكرة، كما قال علماء المصطلح .

قال في [نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ١١٢)] :

الحديث المنكر: في إطلاق بعض الأئمة المتقدمين هو: الحديث الذي تفرد به الراوي الضعيف، وأما منكر الحديث فمعناها: مردودُهُ، وهو طعنٌ في الراوي، وهو في الأصل ناشئ عن مخالفته للثقات .

قلت: اتفق علماء الحديث على رد الحديث المنكر لسببين:

(١) لأنه خالف الثقات بتفرده في روايته .

(٢) لضعف إسناد الرواية .

وهناك أمر ثالث في هذه الرواية وهو الاضطراب الواقع في المتن، فجاء بعضها يشير إلى المشرق، وبعضها يشير إلى العراق، وما كان من لفظ المشرق مصروفاً إلى العراق، إنما هو من تصرف الرواة، لا ينسب لكلام النبوة منه شيء، كما جاء في كلام الخطابي، حيث قال: إن مشرق المدينة هو العراق، وقد بينت سابقا أن العراق يقع شمال المدينة لا شرقها، وبالتالي فإن ألفاظ «المشرق» الواردة في الروايات جميعها

يجب صرفها لنجد الجزيرة لكونها مشرق المدينة تماماً، وهي مُوافِقة للروايات الصحيحة الواردة عن النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

قالوا : جاء في شرح الموطا أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلىٰ العراق فقال له كعب: لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين، فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن، وبه الداء العضال . انظر: موطأ الإمام مالك باب ما جاء في المشرق .

الجواب: إن هذا الكلام هو من كلام كعب الأحبار، كان يهوديّاً وأسلم في خلافة سيِّدنا عمر، وكان مشهورا برواية الإسرائيليات، وقد نهاه سيِّدنا عمر عن الرواية كما جاء في كتاب [التمييز للإمام مسلم (ص:١٧٥)] قال: وممن روىٰ عن كعب الأحبار الصحابي الجليل أبو هريرة، حتىٰ منعه سيِّدنا عمر من الرواية والحديث فقال له: لتتركن الحديث عن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أو لأُلحقنَّك بأرض دَوْس، وقال لكعب: لتتركن الأحاديث أو لأُلحقنَّك بأرض القِردة.

فهذه الرواية هي من الإسرائيليات التي منعها سيِّدنا عمر، ولا تقوم بها حجة مع كلام النبوة، كما أنها بحاجة للتوقيف من النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

قال ابن عبد البر في [الاستذكار (٨/ ٥٢٠)] : قال أبو عمر: سئل مالك عن الداء العضال فقال: الهلاك في الدِّين، وأما السحر فمنسوب إلىٰ أرض بابل، وهي من العراق، وتنسب أيضا إلىٰ مصر، وأما فسقة الجن فهذا لا يُعرَف إلا بتوقيف ممن يجب التسليم له صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وذلك معدوم في هذه القصة، ولأهل الكوفة والبصرة روايات رواها علماؤهم في فضائلها، ذكر أبو بكر بن أبي شيبة وغيره كثيراً منها، ولَمْ تختط الكوفة ولا البصرة إلا برأي عمر رضي الله عنه، ونزلها جماعة من كبار الصَّحابة، وكان بها العلماء والعُبَّاد والفضلاء، وأهل الأدب والفقهاء، وأهل العلم، وهذا أشهر وأغرب من أن يحتاج إلىٰ استشهاد، لأنه علم ظاهر، وعلم فسقة الجن علم باطن، وكل آية تعرف لناحيتها فضلاً تنشره إذا سئلت عنه، وتطلب العيب لمن عابها، ومن طلب عيباً وجده، والفاضل حيث كان فهو فاضل، والمفضول الساقط حيث كان من البلدان لا تُصلحهُ بلدة، لأن الأرض لا تقدِّس صاحبَها، وإنما يقدِّس

المرءَ عملُه، وإن من مدح بلدة وذم أخرىٰ يحتاج إلىٰ توقيف ممن يجب التسليم له، علىٰ أنه لا مدح ولا ذم لبلدة إلا علىٰ الأغلب من أحوال أهلها . انتهىٰ كلام ابن عبد البر .

إن أتباع قرن الشَّيطان حاولوا الدفاع عن شيخهم، بصرف معنىٰ نجد إلىٰ العراق واستدلُّوا علىٰ ذلك برواية ضعيفة الإسناد، جاءت معارضة للروايات الصحيحة التي استفاضت كثْرةً وشُهرةً، وأغلبها جاء في الصحيحين، واستدلوا أيضاً بكلام كعب الأحبار الذي ذمَّ العراق في كلامه هذا، وقد بان لك أن الرواية المنكرة ليست بحجة يُستدَلُّ بها، كما أن كلام كعب الأحبار هو من الروايات الإسرائيلية التي سرَّبها إلىٰ دائرة الفكر الإسلامي، وهي بحاجة للنقد والتمحيص، وكلام غير المعصوم ليس حجة علىٰ كلام المعصوم .

وذمُّهم العراق انقلب عليهم، فالنَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم دعا للعراق، ولليمن، وللشام، وللمدينة، لكنه أبىٰ أن يدعو لنجد، بل ذمَّها وأَعْلَم أنها حَوَتْ تسعةَ أعشار الشَّرِّ في الأرض، وأن بها الداء العضال، وأن منها قرنا الشَّيطان، فباءوا بحرمانهم من الدُّعاء النبوي، أما العراق فتشرَّف بدعاءِ النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فقد روىٰ غير واحد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم علىٰ المنبر، نظر نحو اليمن فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر إلىٰ الشام وقال مثل ذلك، ونظر نحو العراق فقال مثل ذلك، وقال : «اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض وبارك لنا في مدنا» [(٥٩)] بل ذكر غير واحد من أهل نجد أن نصف علماء الأمة هم من العراق، وعلمهم طبَّق الآفاق، وشاع ذكر علمائه حتىٰ ملأ الدنيا، لكن نجدا لَم يخرج منها إلا عالِم واحد، وليس معروفاً علىٰ مستوىٰ غير نجد، والعراق تشرَّف بعدد من الأنبياء منهم إبراهيم ويونس، وكثير من الصَّحابة أما نجد فعكس هذا تماما.

---

(٥٩) [رواه الطيالسي في المسند (١/ ٤٩٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٢) وغيرهما].

البَابُ الثَّاني
ردُّ شُبْهَتِهِمْ بخُرُوجِ الفِتَنِ مِنَ العِرَاقِ

(أولا) ردُّ شُبْهَتِهِمْ بقتْلِ سيِّدنا عليٍّ رَضيَ اللهُ عنه :

(الجواب) : إن الذي قتل سيِّدنا علياً هو: عبد الرحمن بن ملجم الخارجي المرادي، ومراد بطن من حمير إحدىٰ قبائل اليمن، التي دعا لها رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في هذا الحديث، فقد ذكر ابن الأثير في [أسد الغابة (٢ / ٣٠٤)] : انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وهو من حمير، وعداده في بني مراد، وهو حليف بني جبلة من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، فاجتمعوا بمكة، وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلُنَّ هؤلاء الثلاث: علي بن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ويُريحوا العباد منهم .

فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا كافيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا علىٰ ذلك وتعاقدوا عليه، وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سُمِّي له، ويتوجَّه له حتىٰ يقتلَه أو يموتَ دونه، فاتَّعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجَّه كلُّ رَجلٍ منهم إلىٰ المِصر الذي فيه صاحبه، فقَدِم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفراً من بني تيم الرباب، فرأىٰ امرأة منهم يقال لها: قطام بنت شجنة، وكان علي قتل أباها وأخاها بالنَّهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتىٰ تشتفي لي، فقال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتُك، فقالت: ثلاثة آلاف، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلىٰ هذا المصر إلا قتل علي، وقد أعطيتك ما سألت، ولقي ابُن مُلجِم شبيبَ

بنَ بجرة الأشجعي فأعلمه ما يريد، ودعاه إلىٰ أن يكون معه، فأجابه إلىٰ ذلك، وظلَّ ابنُ مُلْجِم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتىٰ يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابنُ مُلْجِم، وشبيبُ بن بجرة، فأخذا أسيافهما، ثم جاءا حتىٰ جلسا مقابل السِّدة التي يخرج منها علي، قال الحسن بن علي: فأتيته سُحَيراً، فجلست إليه فقال: إني بتُّ الليلة أُوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فقلت: يا رسول الله، ما لقيتُ من أمَّتك من الأود واللدد [الخصومة والبغضاء] فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني، ودخل ابن التَّيَّاح المؤذِّن علىٰ ذلك فقال: الصَّلاة، فقام يمشي ابن التَّيَّاح بين يديه وأنا خلفه، فلما خرج من الباب نادىٰ: أيها الناس، الصَّلاة الصَّلاة، كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه دِرَّته يُوقظ الناس، فاعترضه الرَّجلان، فقال بعضُ مَنْ حضر: ذلك بريقُ السَّيف، وسمعت قائلاً: يقول لله الحكم يا علي لا لك، ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً، فأما سيف ابن مُلْجِم فأصاب جبهته إلىٰ قرنه ووصل إلىٰ دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، فسُمع عليٌّ يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليهما من كل جانب، فأما شبيب فأُفلت، وأُخذ ابن مُلْجِم فأُدخل علىٰ عليٍّ، فقال: أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعِشْ فأنا وليُّ دمي: عفوٌ أو قِصاصٌ، وإن مِتُّ فألحقوه بي، أُخاصِمُه عند ربِّ العالمين، فقالت أمُّ كلثوم بنتُ علي: يا عدوَّ الله، قتلتَ أميرَ المؤمنين! قال: ما قتلتُ إلا أباك قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون علىٰ أمير المؤمنين بأسٌ، قال: فلم تبكين إذاً ؟ ثم قال: والله لقد سممته شهراً – يعني سيفه – فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه .

عرفنا من هذا النص أن الذي قتل علياً هو ابن مُلْجِم أحد الخوارج، من إحدىٰ قبائل اليمن، وهو حليف كندة، إحدىٰ قبائل نجد، والذي عاونه علىٰ ذلك رجل من كندة إحدىٰ قبائل نجد الكبيرة، وأن الذين تعاقدوا معه علىٰ قتل الثلاثة هم من بني تميم إحدىٰ كبرىٰ قبائل نجد اليمامة، المشار إليها بالفتن والزلازل في هذا الحديث، والخوارج المنتسب إليهم ابن مُلْجِم القاتل هم من ضئضئ «ذو الخويصرة»

التميمي، طعن في عدالة سيِّدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فالمعتبَر في هذا هو الشخص وليس الأرض، فالشَّام مثلا خيرُ بقاع الأرض بعد مكة والمدينة، ومع ذلك لا تشفعُ لأحدٍ سكن فيها وقد ألحد في الأرض وأفسد ، وكذلك نجد التي هي معقل الفتن، ليست مذمومةً عند الله، بل المعتبر فيها هم مَن يسكنون فيها، فالذين قتلوا سيِّدنا علياً هم من نجد، والذين حاولوا قتل عمرو بن العاص ومعاوية هم من نجد، فليس الملوم العراق الذي وقع الحادث علىٰ أرضِه، بل الملوم من أوقع الفعل، وأن موطنه هو معقل الشر والفتنة .

(ثانياً) ردُّ شُبْهَتِهِمْ بقتْلْ الحسيْنِ بنِ علي :

وأما قتل الحسين بن علي فأقول : إن الذي قتل الحسين هو سِنان بن أبي أنس الأشجعي، بأمر عبيد الله بن زياد، بأمر من يزيد بن معاوية، وهؤلاء الثلاثة هم من جزيرة العرب لا من العراق، فبنو أشجع هم بطن من غطفان إحدىٰ قبائل نجد التي قاتلت النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في معركة الخندق، وهم عرب من فزارة، وفزارة هي إحدىٰ قبائل نجد، ورئيسُهم عيينةُ بن حصن الفزاري الذي سماه النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : الأحمق المطاع .

وأما عبيدُ الله بن زياد فكان صاحب شرطته: الحصين بن تميم بن أسامة التميمي، وهو من نجد الجزيرة، والذي حرَّضه علىٰ قتله: شَمَّر بن ذي الجوشن الكلابي ثم الضبابي، حيث قال: لا تقبلنَّ منه «أي الحسين» إلا أن يضع يده في يدك، فإنه إنْ لَمْ يفعلْ ذلك كان أولىٰ بالقوَّة والعز، وكنتَ أولىٰ بالضَّعف والعجز، فلا ترضَ إلا بنزوله علىٰ حُكْمك هو وأصحابه، فإن عاقبتَ كان ذلك لك، وإن غفرتَ كنتَ أولىٰ بما تفعله، لقد بلغني أن حُسيناً وعمر يجلسان ناحيةً من العسكر يتناجيان ويتحادثان عامَّة الليل، فقال ابن زياد: نعم ما رأيت، فاخْرُج بهذا الكتاب إلىٰ عمر بن سعد، فليَعرض علىٰ حسينٍ وأصحابهِ

النُّزول علىٰ حُكْمي، فإن فعلوا ابعثْ بهم إليَّ سِلماً، وإن هم أبوا قاتلْهم، فإن فعل فاسمع له وأطعه، وإن أبىٰ أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، وثِبْ عليه فاضْربْ عنقَه وابعث إليَّ برأسه [٦٠] .

وشمَّر هذا من بني كلاب، وبنو كلاب بطن من بني تميم، وسيِّدُهم الأحنف بن قيس التميمي، وهم من قبائل نجد الجزيرة العريقون .

وأما عبيد الله بن زياد فأبوه أبو بكرة: اسمه نُفيع بن مسروح، وقيل: نُفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب وحكيمها في زمنه، وأمُّ أبي بكرة سُميَّة جارية الحارث ابن كَلَدَة، وهي أمُّ زياد بن أبيه، وكان أبو بكرة يقول: أنا مولىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ويأبىٰ أن ينتسب، وكان قد نزل يوم الطائف إلىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من حصن الطائف، فأعتقهم رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وهو معدودٌ في مواليه، رحمه الله ورضي عنه، لذا هو عربي من الطائف لا من العراق، وأما يزيد بن معاوية فهو من بني أمية أحدىٰ قبائل قريش المشهورة .

هؤلاء هم الذين قتلوا الحسين بن علي، عربٌ من الجزيرة وغالبهم من نجد، معقل الشر والفتن، وأخذوا علىٰ قتله ثمناً بخْساً دراهِمَ معدودةً وكانوا فيه من الزاهدين، فلماذا نحمِّل العراق ما لَمْ يفعل ؟

بل إن أهل الكوفة كانوا مع الحسين لا ضِدَّه، فقد ذكر غيرُ واحدٍ من المؤرخين عن محنة الحسين فقال: بعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلىٰ العراق ليكشف له حقيقةَ هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمراً حازما محكماً بعث إليه ليركب في أهل وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه، وكتب معه كتاباً إلىٰ أهل العراق بذلك، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة، فأخذ منها دليلَيْن، فسارا به علىٰ براري مهجورة المسالك، فكان أحد الدليلَين منهما أول هالك، وذلك من شِدَّة العَطَش، وقد أضلُّوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له المضيق، من بطن خبيت، فتطيَّر به مسلم بن عقيل،

---

(٦٠) انظر: [أنساب الأشراف (١ / ٤١٧)] .

فتلَّبث مسلم علىٰ ما هنالك، ومات الدليل الآخر، فكتب إلىٰ الحسين يستشيره في أمره، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرَهم ويستخبرَ خبرهم.

فلما دخل الكوفة نزل علىٰ رجل يقال له: مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي فالله أعلم، فتسامع أهل الكوفة بقدومه، فجاؤوا إليه فبايعوه علىٰ إمرة الحسين، وحلفوا له لينصُرُنَّه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع علىٰ بيعته من أهلها اثنا عشر ألفا، ثم تكاثروا حتىٰ بلغوا ثمانية عشر ألفا، فكتب مسلم إلىٰ الحسين ليقدم عليها فقد تمهَّدتّ له البيعة والأمور، فتجهز الحسين من مكة قاصدا الكوفة .

وانتشر خبرُهم حتىٰ بلغ أميرَ الكوفة النُّعمانَ بنَ بشيرٍ خبره رجل بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة، وأمَرهُم بالائتلاف والسُّنة، وقال: إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب علىٰ من لا يثب علي، ولا آخذكم بالظِّنَّة، ولكن والله الذي لا إله إلا هو، لئن فارقتم إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنَّكم ما دام في يدي من سيفي قائمته.

فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي فقال له: إن هذا الأمر لا يصلُح إلا بالغشمة، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين، فقال له النعمان: لئن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحبُّ إليَّ من أن أكون من الأقوياء الأعزين في معصية الله ثم نزل، فكتب ذلك الرجل إلىٰ يزيد، فعزل النعمان وضمها الىٰ البصرة، وأميرها عبيد الله بن زياد، فدخل الكوفة «أي زياد» وهو متلثم لا يُعرف، والناس يرحبون به يقولون : مرحبا يا ابن بنت رسول الله ظانين أنه الحسين... [61] .

***

(٦١) انظر: [البداية والنهاية (٨/ ١٦٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٥٥)] وغيره .

(ثالثاً) ردُّ شُبْهَتِهِمْ بأنَّ العراقَ معقلُ القرامطة :

قالوا : إن مما يدل على أن المقصود نجد قرن الشَّيطان هو العراق، لأنه شهد أهم الأحداث السياسية على ترابه، ومنها نشأة القرامطة الذين ألحدوا في الحرم .

قال السيوطي في [تاريخ الخلفاء (١ / ٣٢٠)]: وفي سنة ست و ثمانين ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي

ليس الأمر كما ذكر، بل إن التاريخ يذكر أن أول نشأة القرامطة في فارس «إيران»، وقد حدَّد الطبري في تاريخه أن أول نشأتهم كانت في (خوزستان)، وأن الشعوب التي دخلت في الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية كان من بينهم يهود ومشركون يعبدون النار، فلما عجزوا عن مواجهة الإسلام عسكرياً حاولوا كيده من داخله، فأنشأوا هذه الحركة في منطقة الأهواز شرق البصرة من الأراضي الإيرانية، ولما تم تخطيطهم للقيام بالأمر المتفق عليه أرادوا أن ينقلوا مشروعهم لبلاد الإسلام، فاختاروا مكانا بعيدا عن مركز الخلافة (بغداد) وهي البحرين، فأخذوا ينشروا مذهبهم هناك، واتخذوا شعاراً لهم هو مناصرة آل البيت الذين هُضم حقهم في الخلافة، ومن كيدهم وتمرسهم على المكر، أنهم لم يختاروا لحركتهم إلا صنفين من الناس هم: الفقراء والجهال، أما الفقراء؛ فيُسبِغون عليهم ما يحتاجونه من القوت واللباس، وأما الجهال: فلا علم عندهم حتى يعرفوا كيدهم وتضليلهم، ووجدوا ضالتهم هذه في منطقة نجد، فانتقلوا إليها، ولما اشتدت شوكتهم، اتخذوا من اليمامة وهجر مركزاً لهم، وبدأوا حركتهم بالتسلط على الناس بالقتل والسلب دون تفريق بين صغير وكبير، حتى وصل بهم الأمر إلى غزو مكة، وقتل الحجيج ودفنهم في بئر زمزم، وقلع الحجر الأسود والذهاب به إلى هجَر ثم استغلُّوا ضعف الخلافة العباسية، فأرادوا توسيع رقعة دولتهم فأنشأوا مركزاً بالسَّواد في العراق، وأغاروا على البصرة والكوفة، وهزموا جيش الخليفة مرات، ثم أنشأوا مركزا آخر في سوريا تسموا فيما بعد بـ «الإسماعيلية» أو الباطنية، وحاولوا قتل صلاح الدِّين، ودام ملكهم أكثر من قرن من الزمان [٦٢] .

(٦٢) [تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١٠/ ٢٣)] .

فأول ظهور فتنة القرامطة من البحرين ثم اليمامة، واليمامة هي قصبة نجد .

وقويت شوكته ـ و هو أبو أبي طاهر سليمان الذي يأتي أنه قلع الحجر الأسود ـ ووقع القتال بينه و بين عسكر الخليفة، و أغار على البصرة و نواحيها و هزم جيش الخليفة مرات .

وقال فيه أيضاً (١ / ٣٢٨) : وفي هذه السنة سيَّر المقتدرُ ركْب الحاجِّ مع منصور الدَّيلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين، فوافاهم يومَ التروية عدوُّ الله أبو طاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً، و طرح القتلى في بئر زمزم، و ضرب الحجرَ الأسودَ بدبُّوسٍ فكسره ثم اقتلعه، وأقام بها أحد عشر يوما، ثم رحلوا و بقي الحجرُ الأسودُ عندهم في اليمامة أكثر من عشرين سنة، و دُفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا، حتى أُعيد في خلافة المطيع .

لذلك؛ لا شأن للعراق بهذه الفتنة، بل الشَّأْنُ كلُّ الشَّأْنِ لنجدٍ التي احتضنت هذه الطائفة التخريبية، ولولا وجود قبول للفتن في نجد لم يتخذُّوها مأوى لشرورهم .

البَابُ الثَّالِثُ
رَدُّ شُبْهَتِهِمْ بِتَكْفِيرِ المسْلِمينَ
«الإِرْهَابُ الفِكْرِيُّ»

أول ما بدأ به ابنُ عبد الوهاب نشاطه هو : إصدار فتوىٰ بأنَّ من لَم يتبعه من المسلمين فهو مشرك، وقد استند بهذه الفتوىٰ الىٰ أدلةٍ من القرآن الكريم، وهذه الأدلةُ هي آيات أنزلها الله تعالىٰ في حقِّ المشركين فحملها علىٰ المؤمنين، شأنه في ذلك شأن الخوارج الذين تقدَّموه، وهذا من نوع الإرهاب الفكري الذي استعمله ضدَّ مخالفيه، بحيث يُسمِّي كلَّ من خالفه بأنه مشركٌ خالدٌ في النار، ولا سبيل الىٰ الخلاص من عقاب الله تعالىٰ إلا أن يدخل في دعوته، فكتب بذلك رسائل إلىٰ مناطق الجزيرة العربية كافَّة، وإلىٰ البلدان المجاورة، وقد قُيِّد ذلك في كتُبٍ له، وجاء أتباعُه من بعده فجمعوا تراثه وحرصوا عليه، وسأعرض تالياً مقتطفات من كتبه التي صُيِّرت دستوراً ومنهاجاً لأتباعه من بعده، تُدرَّس في كافة مؤسسات الدولة الوهابية، وسأركز علىٰ كتاب «كشف الشُّبهات»، حيث وضع فيه أسس العقيدة التي سنَّها لأتباعه، وهو كتابٌ مُهمٌّ لدىٰ هذه الطائفة، يُدرِّسونه في الجامعات والمدارس، وسأنقل تعليقاتٍ علىٰ هذه النصوص من كتاب : «داعية وليس نبيا» للشيخ حسن بن فرحان المالكي، من علماء نجد، حتىٰ يردَّ بعضُهم علىٰ بعض، وقد تصرفت في النص :

النَّصُّ الأوَّل:

يقول ابن عبد الوهاب في الاستهلال (ص٥): «اعلم ـ رحمك الله ـ أنَّ التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرُّسلِ الذين أرسلهم الله إلىٰ عباده، فأوَّلُهم: «نوحٌ» عليه السَّلام، أرسله الله إلىٰ قومه لَّما غلَوا في

الصالحين، وَدّاً، وسواعاً، ويغوثَ، ويعوقَ، ونَسْـراً، وآخِرُ الرُّسلِ: محمدٌ صـلَّىٰ اللهُ عليـه وسـلَّم، وهـو الذي كسـر صُوَرَ هؤلاء الصالحين، أرسله إلىٰ قوم يتعبَّدون، ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)!.

نَـقْـدُ النَّصِّ:

(**أولاً**): هذا الكلام أوله صحيح، لكنَّ آخره ليس كذلك، فإنَّ الله تعـالىٰ مـا أرسـل سـيِّدنا نوحـاً عليـه الصَّلاة والسَّلام إلىٰ قومه إلا ليدعوهم لعبادة الله وحده ونبذِ الشِّرْك، فقد كانوا يعبدون هـذه الأصـنام، وليس فعلهم مجردَ غلوٍّ في الصالحين، والدليل علىٰ ذلك من القرآن قولُه تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِـيمٍ ﴿٥٩﴾﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَـيْرُهُ أَفَـلا تَتَّقُـونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَـالَ يَـا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾[نوح] .

لذا تبيَّن من هذه النصوص القرآنية، أنَّ الله تعالىٰ بعث سيِّدنا نوحاً عليـه الصَّـلاةُ والسَّـلام الىٰ قومـه ليعبدوا الله تعالىٰ، ويذروا ما هم عليه من عبادة الأصنام، ولَم يتطَّرق لعبادة الصَّالحين أبدا، فمن أين أتىٰ بهذه الدعوىٰ ؟

(**ثانياً**): قد يقال: أنه ما ذكر هذا الكلام إلا لِيدلِّلَ علىٰ أن دعوتَه هي امتدادٌ لدعوة الرسل، وهذا ما يُشمُّ من رائحة النَّصِّ، لأنه جعل من دعوته مكمِّلةً لدعوةِ الرسل، فبـدأَ بـدعوة سـيِّدنا نـوحٍ عليـه الصَّـلاة والسَّلام، ثم بدعوة سيِّدنا محمدٍ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وختم بذكر دعوته، فهو تعـريضٌ بـدعوىٰ النُّبـوَّة حيث حشر نفسه بسلسلة الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام .

(**ثالثاً**): صرَّح بأنَّ الرسلَ لَم يُبعثوا إلا إلىٰ قوْم غلَوا في الصـالحين فقـط! أو أنَّ أكـبرَ أخطـائهم الغلـوُّ في الصالحين! وهذا غير صحيح، فقد كانوا يُشركون بالله، ويعبدون الأصنام، وفي هذا كفاية، وليس الغلـوُّ هو السبب في إرسال الرسل، وهذا ما لمسناه من سياق النصوص القرآنية.

(**رابعاً**): إن المسلمين الذين قاتلهم وكفَّرهم هُمْ أناسٌ مسلمون، قد يوجَدُ عند عوامِّهم أو علمائهم غلُوٌّ في الصالحين، لكن هذا لا يبرِّرُ تكفيرَهم ولا قتالَهم، لأن الغُلوَّ في حدِّ ذاته ليس كفْراً ولا داعيةً للكفر .

(**خامساً**): إن هذه التُّهمة التي وجَّهها زعيمُ الوهابية، خطرُها عظيمٌ وجُرمُها جسيمٌ، فقوله لمسلم: كافرٌ كفراً أكبر، يُخرجه عن ملَّة الإسلام! عظيمةٌ من العظائم، يترتَّبُ عليها أحكامٌ ومظالِـمٌ، فلا يجوز أنْ يَتهم أحداً بالكفر إلا بدليلٍ ظاهرٍ، له فيه من الله برهان، خاصة وأنه يريد بإطلاق الكفر ذلك: الكفر الأكبر الـمُخرج من الملة .

(**سادساً**): رسم ابن عبد الوهاب صورةً جميلةً وغيرَ صحيحةٍ عن كفار قريش، ليبني على تلك الصورة تكفيرَ مسلمين، يتعبَّدون، ويحجُّون، ويتصدَّقون، ويذكرون الله..!! وهذا قياسٌ فاسد، كما هو معلوم في أصول الفقه .

(**سابعاً**): تصوُّرُ السبب الذي من أجله قاتل النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم الكفار، والسبب الذي قاتل ابن عبد الوهاب المسلمين، فالسببُ الذي قاتل النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم مِنْ أجله الكفار هو: «أُمِـرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله» .

وأمَّا النَّجْديّ فقال: لكنهم «أي كفار قريش» يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، ويعني هذا جواز قتالهم، ويجوز لنا نحن قتالهم للسبب نفسه !.

فساوىٰ بين الصورتين: صورة كفار قريش الذين لا يقولون: لا إله إلا الله، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا الجنة ولا النار، ولا يؤمنون بنبي، وفوق هذا يعبدون الأصنام، ويقتلون النفس التي حرم الله، ويَظلِمون، ويشرَبون الخمر وغير ذلك المحرمات.

وصورة المسلمين الذين أقرُّوا لله بالوحدانية، وللنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالرسالة، وكانوا من المصلين الصائمين، الحاجِّين المزكِّين، المتصدِّقين، المجتنبين للمحرَّمات، والفاعلين مكارم الأخلاق...الخ

فساوىٰ ابن عبد الوهاب بين هاتين الصورتين، جعل المسلمين كالمجرمين، وهل يصحُّ هذا عقلا ونقلا؟ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم] ليس المسلمون كالكفار وإن تأوَّل علماؤهم، وجهل عوامُّهم، فالتأويل والجهل ببابان واسعان، لكنْ لا يساوىٰ فيه من يقوم بأركان الإسلام مع من يُنكرها .

ولا يتساوىٰ من يؤمن بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم نبياً ورسولاً، ومن يُكذِّبه ويظنه ساحراً أو كاهناً .

ولا يتساوىٰ من يتوسل بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ويتبرك بالصالحين، مع من يكفُر بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ويقاتله، ويقتل الصالحين .

لا يتساوىٰ من يؤمن باليوم الآخر، والجنة والنار، مع من يقول: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ .

لا يتساوىٰ من قال: لا إله إلا الله، مع من قال: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ .

لا يتساوىٰ من آمن ومن كفر، من صدَّق الرسل ومن كذَّبهم، من آمن بالبعث ومن كفر به .

ولا يتساوىٰ من طلب شفاعة الأنبياء والصالحين، مع من يطلب شفاعة الجماد .

ولا يتساوىٰ من يطلب شفاعة الأنبياء، وهو يعرف أنهم عبيد الله، مع من يطلب شفاعة الأصنام، ويجعلهم مشاركين لله في الألوهية .

معظم علماء المسلمين في عهد ابن عبدالوهاب، وفي أيامنا هذه يقولون بجواز التبرك بالصالحين والتَّوسُّل بهم، فهل نحن اليوم نُكفِّر جميع هؤلاء؟!

إن قلتم يا معشر الوهابية: نحن نُـكفِّرهم، رددنا عليكم، واتهمناكم بالغلوِّ في الدِّين، وتكفير المسلمين .

وإن قلتم: لا، نحن لا نكفرهم، رددنا على شيخكم محمد بن عبد الوهاب تكفيرَه لهم لأنه كان يُـكفِّر علماءَ وعوامَّ مثل علماءِ زمانِنا وعوامِّهم تماماً، ولن تخرجوا يا مقلدي شيخكم من هذه الإلزامـات، وإن تكلفتم التفريق بين المسلمين الذين كانوا في عهد شيخكم، وبين المسلمين اليوم، كان التفريق بـين كفـار قريش وبين هؤلاء أكثر وضوحاً وظهوراً!.

النَّصُّ الثَّاني:

يقول الشيخ النَّجْديّ (ص٧): «وإلا فهؤلاء المشركون ـ يعنـي كفـار قـريش ـ يشـهدون أن الله هـو الخالق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يُحيي إلا هو، ولا يُميت إلا هو، ولا يُدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره . ثم سرد الآيات في ذلك .

نقْـدُ النَّصِّ:

رسم شيخُ الوهابية صُورةً زاهيةً للمشركين، ولَم يـذكُرْ تكـذيبَهم بالبعـث، ولا اعتقـادَهم أنَّ الـذي يُهلكهم هو الدهر، ولا اعتقادَهم أنهم يُمطَرون بنَوء كذا وكذا، ولا أكلَهم الرِّبا، وقتلَهم النفْس، ودفنَهم البنات، ولا غيرَ ذلك من المظالِمِ والجرائم، ولا ذكرَ وصفَهم للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأقبح الأوصاف وتكذيبهم له، وتعذيبهم المسلمين وقتلهم المستضعفين...

فالشيخ أخذ الآياتِ التي تدلُّ على إيمانهم على وجه الجملة، بأن الله هو الخالق الـرازق، مـع أنَّ هـذه الاعترافات التي اعترف بها المشـركون قد أجاب عنها بعض العلماء، وذكروا أن المشركين إنما اعترفوا بها من باب الإفحام والانقطاع، وليس من باب الاقتناع، ولو كانوا صادقين في اعترافهم لأتوا بلوازم هـذا

الاعتراف، فلذلك يأمر الله نبيه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن يذكّرهم بلوازم هذا الاعتراف كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس] .

فكأن الله عز وجل يوبِّخُهم بأنهم كاذبون، وأنهم لا يؤمنون بالله عزَّ وجلَّ خالقاً ورازقاً، كما لا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقولوا: أن الأصنام هي التي خلَقَت السماواتِ والأرض!! فبقوا بين الاعتراف بالقول انقطاعاً وممارسة، وبين ما يخالفه واقعاً، وهذا الجواب الذي أجاب به بعض العلماء إن كان ضعيفاً، فأضعفُ منه الزعْمُ بأن كفَّارَ قريشٍ أفضلُ من المسلمين في عصر الشيخ النَّجْديّ.

والحاصل: أنه لا يجوز للنجدي ولا لغيره أن يذكُر فضائلَ الكفار ويُهمَل أخطاءَهم، بينما يختارُ أخطاءَ المسلمين ويَنسىٰ فضائلهم!.

ولا يجوز أن يختار الآيات، التي قد يُوهِم بها العوامَّ بأنَّ فيها ثناءٌ علىٰ الكفار، ويتركَ الآياتِ التي تذمُّهم، وتُبيِّن كفرَهم وظلمَهم وتكذيبَهم بالبعث... الخ.

لا يجوز أن يقومَ بكلِّ هذا حتىٰ يُسوِّغَ به قتالَه للمسلمين الركَّع السُّجود، بزعمه أنهم مثل الكفار تماماً، الذين يُصلُّون، ويَحجُّون، ويتصدَّقون، ويذكرون الله، وأنه يقوم بعمل النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم نفسه! فهذا غير صحيح .

النَّصُّ الثَّالثُ:

يقول (ص٩): «فإذا تحقَّقتَ أنهم مُقِرُّون بهذا، ويقصد بأن الله هو الخالق الرازق.. ولَمْ يُدخلْهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو: توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» اهـ.

نقْـدُ النَّصِّ:

هذا النصُّ فيه تكفيرٌ صريحٌ لعلماء المسلمين في زمانه، ثـم إن المسـلمين لا يعبـدون إلا الله، بخـلاف هؤلاء المشركين، الذين يسجدون للأصنام، وإذا لَمْ يكن هذا واضحاً، فلن نسـتطيع التفريـق بـين أمـور أخرىٰ أشدَّ التباساً، ومن تلك الأمور الملتبسة: اتهامُ بعضِ العلماء لابن عبـد الوهـاب وأصـحابه بـأنهم خوارج، فهم يرون أن خصائص الخوارج مجتمعة فيهم لأنهم :

يُـكفِّرون المسلمين .

ويستبيحون دماءهم .

وأنهم في آخر الزمان .

ويَخرجون من قبل المشرق .

ويَحملون الآيات التي نزلت في المشركين علىٰ المسلمين .

وأنهم يقرءون القرآن بما فيه من أوامر ونواهي فلا يتجاوز حناجرهم، فلذلـك لَمْ تمنعْهم هذه القراءة مـن تكفير المسلمين، واستحلال دمائهم وظلمهم، مع النهي عـن ذلـك في النصـوص القرآنيـة، ومـع نهـي القرآن عن الظلم، ولبس الحق بالباطل!

وأن سيماهم التحليق و... الخ.

فإذا كانت التسوية بين الخوارج والوهابية ظلماً، مع وجود هذا التشابه عندنا معشـــر المخـالفين لهـم- فالتسوية بين كفار قريش والمسلمين أكثرُ ظلماً، وأبعدُ عن الحق، وإن كـان الشـيخ النَّجْـديّ معـذوراً في تفضيل كفار قريش علىٰ علماء زمانه، فالذي يجعل علماء الدعوة مـن الخـوارج يكـون أولىٰ بالعـذر، لأن الخوارج –مع هذا– مسلمون علىٰ الراجح، ولَمْ يكفِّرْهم الصَّحابة، بينما كفـار قـريش لا يشـكُّ أحـدٌ في كفْرهم .

النَّصُّ الرَّابعُ :

قوله (ص:٩) في وصف محاسن كفار قريش وغيرهم: «كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً! ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليستغفروا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات! أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قاتلهم على هذا الشِّرْك! ودعاهم إلى إخلاص العبادة... فقاتلهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليكون الدُّعاءُ كلُّه لله، والنَّذْر كلُّه لله، والذَّبح كلُّه لله، والاستغاثةُ كلُّها بالله، وجميعُ العبادات لله...الخ أهـ.

نقْدُ النَّصِّ :

إن الكفار لم يكونوا يدعون الله ليلاً ونهاراً! وإنما كانوا يذكرون: هُبل، واللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لما نهى الله نبيه عن عبادة الذي يدعون كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام] ، وقال تعالى واصفاً حال الكفار ساعة الموت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف]، وقال عن الكفار: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ ﴿٨٦﴾﴾ (الأعراف] ، وغير ذلك كثير من الآيات ، وهي تخبر عنهم بخلاف ما أخبر النَّجْديّ؛ بأن أكثرَ دعائهم هو للأصنام ، وليس كما يقول من أنهم (يدعون الله ليلاً ونهاراً)، إضافة إلى أنهم لم يكونوا يدعون الله بإخلاص إلا في الشدائد

ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لغَبِطَهم عليه زهاد الصَّحابة، فهذه صورة من الصور الكثيرة الجميلة، التي يمدح فيها شيخُ نجد كفار قريش، ليس حباً فيهم، ولكن ليقارن بينهم وبين مسلمي

عصره، ثم ليبني على تلك المقارنة الناقصة تفضيلَهم على المسلمين، ثم البناء على هذا كله تكفير المسلمين واستحلال قتالهم [٦٣].

---

(٦٣) الشيخ النجدي يثني على الكفار في مواضع كثيرة منها قوله عن كفار قريش: «كانوا يعرفون الله ويخافونه ويرجونه» الدرر السنية (١/ ١٤٦). وهذا لا يصح إطلاقه، ومن ذلك قوله: «كانوا - يعني كفار قريش- يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل» (الدرر السنية ٢/ ١١٨)، فهذا الكلام فيه نظر كبير.

ومن ثنائه على المنافقين لهذا الغرض قوله: «كان المنافقون على عصر رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم الصلوات الخمس ويحجون معه..» انظر الدرر السنية (٢/ ٨٦).

قلت: كل الكلام السابق يمكن قبوله إلا قوله «في سبيل الله» فالمنافقون لا يفعلون هذا لأجل الله، وإنما لأهداف أخرى.

كما مدح النجدي المرتدين كمسيلمة وأصحابه للغرض نفسه، فقال في الدرر السنية (٢/ ٤٤): «مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم» . قلت: وهذا غير صحيح، فلو شهد أن محمداً رسول الله، لما ادعى النبوة، وقد كذبه النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم إضافة إلى أن مسيلمة كانت له شعائر خاصة غير صلاتنا وصيامنا .

وقال عن بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب في الدرر السنية (٩/ ٣٨٧): هم عند الناس من أقبح أهل الردة، وأعظمهم كفراً، وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤذِّنون ويُصلُّون وأكثرهم يظنون أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم أمرهم بذلك)!اهـ.

وقال عن أصحاب مسيلمة أيضاً في الدرر السنية (٩/ ٣٨٣): «شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، لكن صدَّقوا لمسيلمة أن النبي أشركه في النبوة، وذلك أنه أقام شهوداً شهدوا معه بذلك، وفيهم رجل من الصحابة معروف بالعلم والعبادة، يقال له الرَّجال، فصدقوه لما عرفوا فيه من العلم والعبادة»! اهـ

أقول: إذن فبنو حنيفة ضحية نظرية عدالة الصحابة، التي نكاد نكفّر من لم يؤمن بتحققها في كل فرد منهم، وهذه دعوة للإيمان بالأمور المتناقضة، فمن اتبع مسيلمة كفر، ومن رد شهادة الصحابي كفر! وكذّب بالآيات في تعديلهم في زعم الغلاة! فماذا تريدون من أصحاب مسيلمة أن يفعلوا؟ هم - حسب وصف الشيخ - من غلاة السلفية في قضية عدالة الصحابة! فهل تريدون منهم أن يكفروا بنظرية عدالة الصحابة أم يؤمنوا بنبوة مسيلمة؟!.

وقد أثنى الشيخ على المرتدين الذين أحرقهم علي فقال عنهم (٢/ ٤٤): كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!اهـ قلت: وهذا غير صحيح، فالقوم كانوا مرتدين، وبعض غلاتنا يقولون إنهم ادعوا الإلهية في علي، فإن كان هذا صحيحاً فهو أبلغ في الرد على الشيخ بأن هؤلاء لا يشهدون الشهادتين.

والذي يجب أن يصحَّح هنا أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قاتل الكفار لأمور كثيرة أهمها : الشِّرْك الأكبر بالله، وإخراج المسلمين من ديارهم، وإنكارهم النبوة، وارتكابهم المظالِم ...

فتعليله ناقص ، وهذا النقص في التعليل أدىٰ إلىٰ قتال مسلمين؛ يُصلُّون ويَحُجُّون ويذكرون الله .

ثم لَمْ يَرِد في القرآن الكريم أن علَّة قتال النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم للكفار حتىٰ يكون الذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله فقط ، وإنما الأسباب الكبرىٰ الرئيسة هي : الشِّرْك الأكبر وإنكار النبوة وإخراج المسلمين من ديارهم..الخ.

فشيخ نجد يذكر أسباباً صغيرة مشتبهة لَمْ تُذكر في النصوص، وليست متحققة، ولا يُدرىٰ أهي سبب في القتال أم لا؟! ويترك الأسباب الكبرىٰ المتفق عليها، والمنصوص عليها في القرآن الكريم بأنها هي سبب قتال النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم للكفار .

النَّصُّ الخامِسُ :

ويقول (ص:١١) : لَمْ يريدوا أن الله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدَّمتُ لك، وإنما يعنون بالله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد! اهـ.

نـقْــدُ النَّصِّ :

هذا أيضاً فيه تكفير صريح للمسلمين في زمانه ، فالسَّيد يُطلقها كثير من الناس في القرون المتأخرة إلىٰ اليوم علىٰ أهل البيت، خاصة أبناء سيِّدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، وذلك استنادا لقول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، وإطلاقها ليس كفراً ولا حراماً، وكان أهل نجد والحجاز يطلقون السيد علىٰ الذي يتبركون به ، ويطلبون منه الدُّعاء، فهذا هو السبب الذي جعل من شيخ نجد يكفِّر حسب ما يحلو له، ذلك أنه لا يرىٰ محبة آل البيت، ولا يرىٰ لهم ميزة علىٰ غيرهم، ومعلومٌ أنَّ من أصول هذه المدرسة التي تزعَّمها

الشيخُ النَّجْديّ النصب والعداء لآل بيت النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ، ثم إن ما ذكره من أن المشركين كلهم كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الرازق ليس صحيحا، فهذا متحقق في بعض الكفار لا كلهم، فالدهريون مثلاً؛ لا يؤمنون بهذا بنص القرآن الكريم .

النَّصُّ السَّادِسُ :

قوله (ص:١١): فأتاهم النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يدعوهم إلىٰ كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ... اهـ.

نقْـدُ النَّصِّ :

قلت: لكنَّ مجردَ التَّلفُّظ بها يعصمهم من التكفير والقتل ، وذلك لقول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فيما يرويه البخاري (١/ ١٣) باب بدء الوحي عَنِ ابْنِ عُمَر : «أمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاة، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله» بينما من يقولها من معاصري النَّجْديّ لا تعصمهم من تكفير ولا قتال ، فالمنافقون في عهد النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقولون الشهادتين بألسنتهم، وكان النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يعرف ذلك في كثير منهم، ومع ذلك عَصَمتْ دماءهم وأموالهم، أما المعاصرون للشيخ النَّجْديّ من المسلمين فلم تَعصم دماءهم و أموالهم لا الشهادتان ولا أركان الإسلام.. مع صدقهم في ذلك .

فهذا يدل دلالةً واضحةً علىٰ أن شيخَ نجد لَمْ يكن يقاتِل من أجل الدِّين كما يزعم، وإنما هو من أجل شهوةِ نفسه، بحب القتل والتسلط علىٰ الناس، فلما لَمْ يجد سبيلاً الىٰ ذلك اتخذ من الدِّين وقايةً ومظلةً لتُغطِّيه مما يقوم به من قتلٍ للمسلمين .

وهذا أيضاً من الأسباب القوية التي دعت كثيراً من الناس بأن يقولوا بأنه عميل لليهود لأنه خدمهم خدمة لَمْ يخدمهم بمثلها أحد .

النَّصُّ السَّابعُ :

ويقول (ص١٧): والعاميُّ من الموحِّدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين!!

نَقْـدُ النَّصِّ :

أقول: هذا تكفير واضح للمسلمين، ولعلمائهم، ويستحيل في العادة أن يوجد مثل هذا العدد الكبير «ألف» من العلماء الكفار في بلد واحد، فاعرف هذا فإنه مهم، وهو من الأدلة التي نستند إليها بأنه يقول بتكفير من لَمْ يتبعه!! والنَّجْديُّ وأتباعه يقولون: معاذ الله أن نكفِّرَ المسلمين، لكن هذا المسلم عند النَّجْديّ له شروط طويلة، يختلف فيها مع العلماء قبل العوام ، ولا تكاد تنطبق إلا على من يقلده ويتبعه ، فالخلاف يكاد يكون لفظياً فقط!!.

النَّـصُّ الثَّامِنُ :

ويقول (ص١٩): وأنا أذكر لك أشياء مما ذَكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشـركون في زماننا علينا...!!.أهـ.

نقْـدُ النَّـصِّ :

أقول: يا ترى؛ من هم هؤلاء المشركون؟ الذين يغوصون في أدلة الكتاب والسنة مع فصاحة وعلم وحجج؟! أليسوا علماء مختلفين معه في دعوى كفر مخالفيه من علماء وعوام؟ لا ريْب أن هذا فيه تكفيرٌ صريح للمخالفين له، ممن يُسميهم الوهابية: خصوم الدعوة، أو أعداء التوحيد، أو أعداء الإسلام، وهذا ظلم، لأن الشيخ النَّجْديّ كان يُرُدُّ على مسلمين، ولَمْ يكن يردُّ على كفار ولا مشركين، وهذه رسائله وكتبه ليس فيها تسميةٌ لمشرك ولا كافر، وإنما فيها تسميةٌ لعلماء المسلمين في عصره: كابن فيروز،

ومربد التميمي، وابنَي سحيم: سليمان وعبد الله، وعبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بـن سـليمان المـدني، وعبد الله بن داود الزبيري، والحداد الحضرمي، وسليمان بن عبد الوهاب، وابن عفالق، والقاضي طالب الحميضـي، وأحمد بن يحي، وصالح بن عبد الله، وابن مطلق، وغيرهم من العلماء الذين يطلـق علـيهم: «المشركون في زماننا»، وقد استمر علماء الدعوة النَّجْديّة بعده في تكفير، أو تبديع يكاد يصـل الىٰ تكفـير عدد آخر من علماء المسلمين ، كابن سلوم، وعثمان بن سند، وابـن منصـور، وابـن حميـد، وأحمـد زينـي دحلان المكي، وداود بن جرجيس وغيرهم .

وفي القرن الرابع عشـر الهجري استمرَّ تكفير أئمـةِ الـدعوة النَّجْديّـة، وتبـديعهم لعلـماء معـاصرين كـالكوثري، والـدِّجوي، وشـلتوت، وأبي زهـرة، والغـزالي، والقرضـاوي، والطنطـاوي، والبـوطي، والغُماري، والكبيسي، وغيرهم .

ولا يوقِف تكفيرَهم وتبديعَهم للآخرين إلا السلطةُ أو العجز، ولـولاهما لما أبقـوا أحـداً إلا وصـموه بكفرٍ، أو بدعةٍ مكفرة، مع أن الواجب أن يكون هذا التورُّع عن التكفـير والتبـديع مـن العلـماء لا مـن الحكام، وفي كل الأوقات لا وقت العجز، لأن العلماءَ يعرفون عظمةَ حـق المسـلم وتحـريمَ دمـه ومالـه وعرضه، فهي آخر ما أوصىٰ به النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في حجة الوداع، فهذه الخطبة التي بثهـا النَّبـيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في مائة ألف من المسلمين، يحفظها بألفاظها العلماء لا الحكام، فكان الأَولىٰ والأجدر بهم حفظ ورعاية هذه الوصية النبوية الكبرىٰ .

النَّـصُّ التَّـاسِعُ :

ويقول (ص:٢٣): «فإنَّ أعداءَ الله هكذا لهم اعترافات كثيرة، يصدون بها الناس منها قولهم: نحـن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأن محمـداً عليه السَّلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب، والصالحون

لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوِبه بما تقدم وهو، أن الذين قاتلهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُقِرُّون بما ذكرت، ومُقِرُّون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة... اهـ.

نَقْدُ النَّصِّ :

هذا القول يدلُّ على أن الشيخ النَّجْديّ يرى تكفير هؤلاء الذين يقولون بالتَّوسُّل والاستغاثة، وأنه يعتبرُهم مشركين شركاً أكبر، كشرك أبي جهل وأمية بن خلف، وهذا عين التكفير، وأكبر أحوالهم أن يكون الجهلة منهم مبتدعين فقط، والمبتدع لا يجوز تكفيره فضلاً عن قتله، وكل المبتدعين المقتولين عبر التاريخ إنما كانوا مقتولين لظروف سياسية بحتة، يُدركها من درس التاريخ . انتهى

عرضت فيما مضى نصوصاً للشيخ النَّجْديّ، اخترتها من كتابه: «كشف الشبهات»، وجدنا فيها التكفير الصريح لعامة المسلمين، من علماء ومقلدين، وكيف استدل بآيات أنزلها الله في المشركين، فحملها على المؤمنين، وأنه رسم صوراً زاهية للمشركين، ورسم عكسها للموحدين، وأنه أتى ببدعة في الإسلام لَمْ يسبقه إليها من قبله أحد، إلا أن يكون ابن تيمية، وقد ردَّ عليه علماءُ عصره، وممن رد عليه أخوه الشيخ سليمان في كتابه: «الصواعق الإلهية في الرَّدّ على الوهابية»، وهو كتاب قيِّم، مطبوع طبعة قديمة، ويشكك الوهابية في صحة نسبة هذا الكتاب للشيخ سليمان، وسأختار بعض النصوص من كتابه هذا، تناسب موضوع كتابنا، ليكون الردُ عليه أبلغ، حيث فنَّد مزاعِمَه أقاربُه وأهلُ منطقته :

رَدُّ الشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

(فصل) :

ومما يدلُّ علىٰ بُطْلانِ مذهبكم في تكفير من كفَّرتموه: ما رواه البخاري في صحيحه عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين، وإنما أنا قاسم والله يُعطي، ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتىٰ تقوم الساعة أو يأتيَ أمر الله تعالىٰ» (٦٤) .

وجهُ الدليل:

أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبر أنَّ أمرَ هذه الأمة لا يزال مستقيماً إلىٰ آخر الدهر، ومعلوم أن هذه الأمور التي تُكفِّرون بها ما زالت قديماً ظاهرة ملأت البلاد ، فلو كانت هذه هي الأصنام الكبرىٰ ، ومن فعل شيئاً من تلك الأفاعيل عابدٌ للأوثان، لَمْ يكنْ أمرُه مستقيما، بل منعكساً ، وبلدهم بلد كفر تعبد الأصنام ظاهرا، وتجري علىٰ عبدة الأصنام فيها أحكام الإسلام ، فأين الاستقامة؟ وهذا واضح جلي .

فإن قلت: ورد عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «لتتبعن سنن من كان قبلكم» .

قلت: فإن هذا ليس إخباراً عن جميع الأمة ، فقد تواتر عنه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنه لا تزال من أمته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم طائفةٌ ظاهرةٌ علىٰ الحق حتىٰ تقوم الساعة ، وأخبر أنه لا تجتمع أمته علىٰ ضلالة ، وأنه لا يزال يَغرس في هذا الدِّين غرساً يستعملهم بطاعته ، فعُلِم بخبرِه الصادقِ أنه يكون في أمته قومٌ متمسِّكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً ، وقوم منحرفون إلىٰ شعبة من شُعَب اليهود، أو شُعبة من شُعَب النصارىٰ ، وإن كان الرجل لا يكفُر بكل الانحراف، بل وقد لا يفسق، فقد تبين لك أن دين الإسلام بنص أحاديث رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وبما فسره به العلماء الأعلام، وأن كل الفِرَق التي

---

(٦٤) صحيح البخاري (٤ / ١٠٣) كتاب بدء الوحي . والنص تجده في (ص: ٤١) من الصواعق الإلهية .

علىٰ الإسلام، بخلاف قولكم هذا، فإن صح مذهبكم فلم يبقَ علىٰ الأرض مسلمٌ من ثمان مائة سنة إلا أنتم، والعجب كل العجب أن الفرقة الناجية وصفها رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بأوصاف، وكذلك وصفها أهل العلم وليس فيكم خصلة واحدة منها، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(فصل) :

ومما يدلّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما ورد في الصحيحين أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم إلىٰ يوم القيامة» (٦٥) .

قال الشيخ تقي الدِّين لما ذكر هذا الحديث: «كانت هذه الأُمَّة كما أخبر صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنه قال: لا تزال فيها طائفةٌ منصورةٌ، ظاهرةٌ بالعلْم والسيف، لم يُصبها ما أصاب مَن قبلَها؛ بني إسرائيل وغيرهم، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء، بل إنْ غُلبتْ في قُطْرٍ من الأرض كانت في القُطرِ الآخَر أمةٌ منصورة، ولم يسلِّط علىٰ مجموعها عدواً من غيرهم، ولكن يقع بينهم اختلاف وفتن » .

قال: ومذهب أهل السُنَّة والجماعة ظاهرون أهلُه إلىٰ يوم القيامة، وهم الذين قال فيهم النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : لا تزال طائفة من أمتي...الحديث.

أقول: وجه الدلالة من هذا الحديث: أن هذه الطائفةَ التي ذكرها صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ليست بخَفيَّةٍ كما يُزعَم عندكم، وأيضاً منصورة، ليسوا بأذلاء مختفين، وأيضا ما خلت بلادُ الإسلام منهم يوما، وأيضاً كما قال الشيخ: لم يسلَّط عليهم الأعداءُ وتقهرهم، فإذا كانت هذه أوصافُهم بنص الصَّادقِ المصدوق، وهذه الأمور التي تُكفِّرون بها ملأت بلاد الإسلام من أكثر من سبع مائة سنة، وأنتم تزعمون أن هذه عبادة غير الله، وأن هذه هي الوسائط المذكورة في القرآن، ومع هذا لم يُذكَر في زمن من الأزمان أن أحداً قال ما قلتم، أو عمل ما عملتم، بل ما تجدون ما تحتجون لشهادتكم إلا أن عليّاً قتل من قال: أنت الله،

---

(٦٥) [صحيح البخاري (٤ / ١٠٣) كتاب بدء الوحي، والنص تجده في (ص: ٤٣) من الصواعق] .

وأن الصِّدِّيق قاتل أهل الرِّدّة، أو بعبارة مجملة، يعرفُ كلُّ مَنْ له ممارسةٌ في العلم: أن مفهومكم هذا منها ضحكة، فالحمد لله على زوال الالتباس والاشتباه، أما والله إن هذا الحديث وحده يكفي في بُطْلان قولكم لو كان ثَم أذن واعية. نسأل الله أن ينقذكم من الهلكة .

(فصل) :

ومما يدلّ على بُطْلان مذهبكم: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال: «رأسُ الكفر نحو المشرق» وفي روايةٍ: «الإيمان يماني والفتنةُ من هاهنا حيث يطلُع قرن الشَّيطان» وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال وهو مستقبل المشرق: «إن الفتنةَ هاهنا» وللبخاري عنه مرفوعاً: «اللهم بارك لنا في شامنا ويَمننا، اللهم بارك لنا في شامنا ويَمننا، قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، اللهم بارك لنا في شامنا ويَمننا قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال: هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشَّيطان» ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعا: «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا وفي مُدِّنا ويَمننا وشامنا، ثم استقبل مطلع الشمس فقال: «هاهنا يطلع قرن الشَّيطان، وقال: من هاهنا الزلازل والفتن .

أقول: أَشهَدُ أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لصادقٌ، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، لقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة، قال الشيخ تقي الدِّين: فالمشرق عن مدينته صلَّى اللهُ عليه وسلَّم شرقا، ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي ادَّعى النبوة ، وهو أول حادث حدث بعده، واتبعه خلائق وقاتلهم خليفته الصِّدِّيق .

وجه الدلالة من هذه الأحاديث من وجوه نذكر بعضا منها:

(١) أن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذكر أن الإيمان يماني، والفتنة تخرج من الشرق ذكرها مراراً

(٢) إن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دعا للحجاز وأهله مراراً، وأبى أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً نجد .

(٣) إن أول فتنةٍ وقعت بعده صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وقعت بأرضنا هذه فنقول: هذه الأمور التي تجعلـون المسلم بها كافرا، بل تُـكفِّرون من لَمْ يُـكفِّره ملأَتْ مكةَ والمدينة واليمنَ من سنين متطاولة، بل وبلغنا أن ما في الأرض أكثر من هذه الأمور في اليمن والحرمين، وبلدنا هذه هي أول مـن ظهـر فيهـا الفـتن، ولا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديما وحديثا [٦٦] ومذهبكم الآن أنه يجب علىٰ العامة اتِّباع مذهبكم، وأنَّ من اتبعه ولَمْ يقدر علىٰ إظهارهِ في بلده وتكفيرِ أهل بلده وجب عليه الهجرةُ إليكم، وأنكـم الطائفـة المنصورة، وهذا خلاف الحديث، فإن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبره الله بما هو كائنٌ علىٰ أمتـه إلىٰ يوم القيامة، وهو صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبر بما يجري عليهم ومنهم، فلو علم أن بلادَ المشـرق، خصوصاً نجد، بلاد مسيلمة أنها تصير دار الإيمان، وأن الطائفة المنصورة تكون بها، وأنها بلادٌ يظهر فيهـا الإيـمانُ ولا يخفىٰ في غيرها، وأنَّ الحرمين الشـريفين واليمن تكون بلادَ كفرٍ تُعبد فيها الأوثـان، وتجـب الهجـرة منها لأخبر بذلك، ولدعىٰ لأهل المشرق خصوصا نجد، ولـدعا عـلىٰ الحـرمين والـيمن، وأخـبر أنهـم يعبدون الأصنام وتبرَّأ منهم، إذ لَمْ يكن إلا ضدُّ ذلك، فإنه صلَّىٰ اللهُ عليـه وسـلَّم عـمَّ المشرـق، وخـصَّ نجداً بأنَّ منها يطلُع قرن الشَّيطان، وأن منها وفيها الفتن، وامتنع من الدُّعاء لها، وهذا خلاف زعمكـم، وأن اليوم عندكم الذين دعا لهم رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كفار، والذين أبىٰ أن يدعو لهم، وأخـبر أن منها يطلع قرن الشَّيطان، وأن منها الفتن هي بلاد تجب الهجرة إليها، وهذا واضح بيِّن من الأحاديث إن شاء الله .

---

(٦٦) وهذه شهادة من الشيخ بأن المقصود من هذه الأحاديث التي ذكرت فيها الفتن نجد الجزيرة لا غيرها، وبذلك صرح ابن تيمية .

(فصل) :

ومما يدلّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما في الصحيحين عن عقبة بن عامر، أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم صعد المنبر فقال: « إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ، قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ» .

وجه الدلالة منه :

أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبر بجميع ما يقع علىٰ أمَّتِهِ ومنهم إلىٰ يوم القيامة، كما ذكر في أحاديث أُخَر، ليس هنا موضعها، ومما أخبر به: هذا الحديث الصحيح؛ أنه أَمِنَ أنَّ أمته تعبد الأوثان، ولَمْ يخافه عليهم، وأخبرهم بذلك، وأما الذي يخافه عليهم فأخبرهم به، وحذَّرهم منه هو الدنيا، ومع هذا وقع ما خافه عليهم، ولَمْ يقع الآخر، وهذا خلاف مذهبكم، فإن أمته علىٰ قولكم عبدوا الأصنام كلها، وملأت الأوثانُ بلادَهم، إلا إن كان أحدٌ في أطراف الأرض ما يلحق له خبر، وإلا فمن أطراف الشام إلىٰ أطراف الغرب، إلىٰ الروم، إلىٰ اليمن، كل هذا ممتلئ مما زعمتم أنه الأصنام، وقلتم:« من لَمْ يُكفِّر مَن فعل هذه الأمور والأفعال فهو كافر، ومعلومٌ أن المسلمين كلَّهم أَجْرَوُا الإسلام علىٰ من انتسب إليه، ولَمْ يُكفِّروا من فعل هذا، فعلىٰ قولكم جميع بلاد المسلمين كفارٌ إلا بلدكم، والعجيب أن هذا ما حدث في بلدكم، إلا ما يقرب من عشر سنين، فبان بهذا الحديث خطؤكم والحمد لله .

(فصل) :

ومما يدلّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله عن النَّبيّ صلَّىٰ

اللهُ عليه وسلَّم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»

وروىٰ الحاكم وصححه، وأبو يعلىٰ والبيهقي، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم «إن الشَّيطان قد يئس أن تُعبد الأصنام، ولكن رضي منهم بما دون ذلك، بالمحقرات وهي الموبقات» (٦٧)

وروىٰ الإمام احمد والحاكم وصححه وابن ماجه عن شدَّاد بن أوس قال : سمعت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول: «أتخوَّف علىٰ أمتي الشِّرْك، قلت: يا رسول الله أتشرك أمتُك من بعدك؟! قال: نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن يُراءون في أعمالهم» (٦٨) .

أقول: وجه الدلالة منه كما تقدم؛ أن الله سبحانه وتعالىٰ أعلمَ نبيه من غيبه بما شاء وبما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة، وأخبر صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن الشَّيطان قد آيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، وفي حديث ابن مسعود: «آيس الشَّيطان أن تُعبَد الأصنام في أرض العرب»، وفي حديث شداد «أنهم لا يعبدون وثنا»، وهذا بخلاف مذهبكم، فإن البصرة وما حولها، والعراق من دون دجلة الموضع الذي فيه قبر علي وقبر الحسين رضي الله عنهما، وكذلك اليمن كلها والحجاز كل ذلك من أرض العرب، ومذهبكم أن هذه المواضع كلها عُبد الشَّيطانُ فيها وعُبدت الأصنام، وكلهم كفار، ومن لَم يكفّرهم فهو كافر، وهذه الأحاديث تردُّ مذهبكم، وهذا لا يقال أنه قد وُجد بعض الشِّرْك بأرض العرب زمن الرَّدّة، فإن ذلك زال في آن يسير، فهو كالأمر الذي لا يعتدُّ به، كما أن رجلاً أو أكثر من أهل الكفر، دخل أرض العرب، وعَبد غير الله في موضع خال أو خفية، فأما هذه الأمور التي تجعلونها شركاً أكبر، وعبادةَ أصنام، فهي ملأتْ بلادَ العرب من قرونٍ متطاولة، فتبيَّن بهذه الأحاديث فسادُ قولكم: أن هذه الأمور هي عبادة الأوثان الكبرىٰ، وتبيَّن أيضاً بُطْلان قولكم: أن الفِرقةَ الناجيةَ قد تكون في بعضِ أطرافِ

(٦٧) [مسند أحمد (٢٨/ ٣٦٣)، مسند البزار (١٠/ ٦٣)، مسند أبي يعلىٰ (٤/ ٧٣، برقم: ٢٠٩٥)] .

(٦٨) [مسند أحمد (٢٨/ ٣٤٦)، المعجم الأوسط (٤/ ٢٨٤، برقم:٤٢١٣)].

الأرض ولا يأتي لها خبر، فلو كانت هذه عبادةُ الأصنام والشِّرْك الأكبر، لقاتل أهلَه الفرقةُ الناجيةُ المنصورون الظاهرون إلىٰ قيام الساعة، وهذا الذي ذكرناه واضحٌ جليٌّ والحمد لله رب العالمين .

ومن العجيب أنكم تزعُمون أن هذه الأمور ـ أي القبور وما يُعمل عندها ـ والذي هي عبادة الأصنام الكبرىٰ، وتقولون: أن هذا أمرٌ واضحٌ جليٌّ يُعرف بالضرورة حتىٰ اليهود والنصارىٰ يعرفونه، فأقول جواباً لكم عن هذا الزعم الفاسد : سبحانك هذا بهتان عظيم !! قد تقدم مراراً عديدةً أن الأمةَ بأجمعها علىٰ طبقاتها، من قرب ثمانمائة سنة امتلأت بهذه القبور بلادُنا، ولَمْ يقولوا هذه عبادةُ الأصنام الكبرىٰ، ولَمْ يقولوا أنَّ مَن فعل شيئاً من هذه الأمور فقد جَعلَ مع الله إلهاً آخر، ولَمْ يُجروا علىٰ أهلها حكمَ عبادة الأصنام، ولا حكمَ المرتدين، أي ردة كانت .

فلو أنكم قلتم: إن اليهودَ قومٌ بُهت، وكذلك النصارىٰ ومن ضاهاهم في بُهت هذه الأمة، من مبتدعة الأمة يقولون: أن هذه عبادة الأصنام الكبرىٰ لقلنا صدقتم، فإنَّ ذلك من بُهتِهم وحسدِهم، وغلُوِّهم ورميهم الأمة بالعظائم بكثير، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ مُخزيهم، ومُظهرُ دينهِ علىٰ جميع الأديان بوعده ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة] ولكنْ أقول: صَدَقَ رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم حيث دعا للمدينة وما حولها، ولليمن، وقال له من حضره : ونجد؟ فقال: هناك الزلازل والفِتن، أما والله إنها لفتنةُ الشَّهوات، وفتنةُ الظَّلمة التي يَعرف كلُّ خاصٍّ وعامٍّ من أهلِها أنها من الظُّلم والتَّعدِّي، وإنها خلافُ دين الإسلام، وإنه يجب التوبةُ منها «أي هذه الدعوىٰ» وإنها من فتنة الشهوات التي تضلُّ عن دين الإسلام، ويكون صاحبُها من ﴿الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، وفي الحديث: «هلك المتنطِّعون» (٦٩) قالها ثلاثاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون . أنقذَنا اللهُ وإيَّاكم من الهلكة إنه رحيم .

---

(٦٩) [صحيح مسلم (٨/ ٥٨)] .

(فصل):

ومما يدلُّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما أخرجه الإمام احمد والتِّرْمِذِيّ وصححه، والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص قال : سمعت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول في حجة الوداع : « أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكِنْ سَتَكُونُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ يُرْضَى بِهَا» [٧٠] وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم خطب في حجة الوداع فقال: «إن الشَّيطان قد آيس أن يُعبد في أرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوىٰ ذلك، فيما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا ؛ كتاب الله وسنة نبيه».

وجه الدلالة :

أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أخبر في هذا الحديث الصحيح: أن الشَّيطان يئس أن يُعبدَ في مكة، وكذلك بقوله: «أبدا»، لئلا يَتوهَّم مُتوهِّم أنه حدَثٌ ثم يزول، وهذا خبر منه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لأمته، وهو لا يبشرهم إلا بالصِّدق، ولكنه حذَّرهم ما سوىٰ عبادة الأصنام، إلا ما يحتقرون، وهذا بيِّنٌ واضح من الحديث، وهذه الأمور التي تجعلونها الشِّرْك الأكبر، وتُسَمون أهلها عُبّاد الأصنام، أكثر ما تكون بمكة المشرَّفة، وأهل مكة المشرَّفة وعلماؤها وعامَّتها علىٰ هذا من مدة طويلة أكثر من ستمائة سنة، ومع هذا هم الآن أعداؤكم، يسبُّونكم ويلعنونكم لأجل مذهبكم هذا، وحكَّامُهم وأحكامهم جارية، وعلماؤها وأمراؤها علىٰ إجراء أحكام الإسلام علىٰ أهل هذه الأمور، التي تجعلونها الشِّرْك الأكبر، فإنْ كان ما زعمتم حقاً فهم كفارٌ كفراً ظاهراً، وهذه الأحاديث تردُّ زعمكم، وتُبيِّن بُطْلان مذهبكم هذا، وقد قال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في الأحاديث التي في الصحيحين وغيرها بعد فتح مكة وهو بها: «لا هجرة بعد اليوم» ، وقد بيَّن أهلُ العلم أن المراد، لا هجرة من مكة، وبينوا أيضاً أن هذا الكلام منه صلَّىٰ اللهُ

---

(٧٠) [مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٥٥)] .

عليه وسلَّم يدلُّ علىٰ أن مكة لا تزال دار إيمان بخلاف مذهبكم، فإنكم تُوجبون الهجرة منها إلىٰ بلاد الإيمان بزعمكم، التي سماها رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بلاد الفتن، وهذا واضحٌ جليٌّ صريحٌ لِمَن وفَّقه الله، وترك التعصب والتمادي علىٰ الباطل . والله المستعان، وعليه التُّكلان .

(فصل):

ومما يدلّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما رواه مسلم في صحيحه عن سعد عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنه قال: «والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدَعُها أحدٌ رغبةً عنها، إلا أبدلها الله فيها مَن هو خير منه، ولا يثبت أحد علىٰ لأْوائها وجُهدها، إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» ، وروىٰ مسلم أيضاً في صحيحه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «لا يصبر علىٰ لأوىٰ المدينة وشِدَّتها أحدٌ من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة» ، وفي الصحيحين عن جابر مرفوعاً : «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا»، وفي الصحيحين أيضاً عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلائِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ»، وفي الصحيحين أيضاً من حديث أنس عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيدٍ مرفوعاً: «لاَ يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» وفي التِّرْمِذِيّ من حديث أبي هريرة يرفعه: « آخِرُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَىٰ الإِسْلاَمِ خَرَابًا الْمَدِينَةُ».

وجه الدلالة من وجوه كثيرة:

(أحدها): أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم حثَّ علىٰ سكنىٰ المدينة، وأخبر أنها خير من غيرها، وأن أحداً لا يدعها رغبة عنها إلا أبدلها الله بخير منه.

وأخبر صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنه شفيعٌ لمن سكنها، وشهيدٌ له يوم القيامة.

وذكر أن ذلك لأمته ليس لقرنٍ دون قرنٍ .

وأن أحداً لا يدعها إلا لِعدَم علْمه.

وأنها كالكير تنفي خبثها.

وأنها محروسةٌ بالملائكة لا يدخلُها الطاعون ولا الدجال آخر الدهر.

وأن أحداً لا يكيدها إلا انماع كالملح في الماء .

وقال: من استطاع منكم أن يموتَ في المدينة فليمُت .

وأخبر أنها آخر قرىٰ الإسلام خرابا. وكل لفظ من هذه الألفاظ يدلّ علىٰ خلاف قولكم: إن هذه الأمور التي تكفِّرون بها وتُسمُّونها أصناما، ومَنْ فعل شيئاً منها فهو مُشركٌ الشِّرْك الأكبر عابد وثن، ومن لَمْ يكفِّره فهو عندكم كافر، ومعلوم عند كل من عرف المدينة وأهلها أن هذه الأمور فيها كثير، وأكثر منه في الزبير، وفي جميع قرىٰ الإسلام، وذلك فيها من قرون متطاولة تزيد علىٰ أكثر من سبعمائة سنة، وأنَّ جميع أهلِها ورؤسائها وعلمائها وأمرائها يُجرون علىٰ أهله أحكام الإسلام، وأنهم أعداؤكم يسبُّونكم ويسبُّون مذهبكم الذي هو التكفير، وتسميته هذه أصناماً وآلهة مع الله، فعلىٰ مذهبكم أنهم كفار، وهذه الأحاديث ترُدُّ مذهبكم .

وعلىٰ مذهبكم إنه يجب علىٰ المسلم الخروج عنها، وهذه الأحاديث تَردُّ مذهبكم، وعلىٰ زعمكم أن أهلَها لا يشفع لهم رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لأنَّ من جعل مع الله آلهةً أخرىٰ لا يشفع له رسول الله، وهذه الأحاديث ترُدُّ زعمكم .

ومما يزيد الأمرَ وضوحاً : أن مما بشر به النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن الدجال الذي يأتي آخر الزمان لا يدخلُها، والدجال لا فتنة أكبر من فتنته، وغايةُ ما يَطلُب من الناس عبادةَ غير الله، فإذا كانت هذه الأمور التي تُسمُّون مَن فعلها جاعلاً مع الله آلهة أخرىٰ، عابد صنم، مشركا بالله الشِّرْك الأكبر، ملأت المدينة من ستمائة سنة، أو سبعمائة سنة أو أكثر أو أقل، حتىٰ أن جميع أهلها يُعادون ويُنكرون علىٰ ما أنكره، فما فائدة عدم دخول الدجال؟ وهو ما يطلب من الناس إلا الشِّرك؟ وما فائدة بشرىٰ النَّبيِّ

صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بعدم دخوله علىٰ المشركين؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون، لو تعرفون لازم مذهبكم، بل صريح قولكم، لاستحييتم من الناس إن لَمْ تستحوا من الله.

ومن تأمل هذه الأحاديث وجد فيها أكثر مما ذكرنا يدلّ علىٰ بُطْلان قولكم هذا، ولكن لا حياة لمن تنادي، أسأل الله لي ولكم العافية والسَّلامة من الفتنة .

(فصل) :

ومما يدلّ علىٰ بُطْلان مذهبكم: ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ۝٣٣﴾[التوبة] أَنَّ ذَلِكَ تَامّاً قَالَ «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ» ، وعن عمران بن حصين عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ» . وعن جابر بن سمرة أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ» وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يقول : «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ الله، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ الله: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» . وروىٰ مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ

إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وذكر الحديث .

أقول: أبين أوجه الدلالة في هذه الأحاديث الصحيحة على بُطْلان مذهبكم وهي:

أن جميع هذه الأحاديث مصرحةٌ بأن الأصنام لا تُعبدُ في هذه الأمة إلا بعد انخرامِ أنفُسِ جميع المؤمنين آخرَ الدهر، وذلك أن النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ذكر عبادةَ الأوثان وأنها كائنة، فعَرضَت عليه الصِّدِّيقة مفهوماً من الآية الكريمة أن دين سيِّدِنا محمدٍ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لا يزال ظاهراً على الدِّين كله، وذلك أن عبادةَ الأصنام لا تكون مع ظهور الدِّين، فبيَّن صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم مرادَه في ذلك، وأخبرها أن مفهومها من الآية حقٌّ، وأن عبادةَ الأصنام لا تكون إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين، وأما قبل ذلك فلا، وهذا بخلافِ مذهبكم، فإن اللات والعزىٰ عُبِدا على قولكم في جميع بلاد المسلمين من قرون متطاولة، ولَم يبقَ إلا بلادكم، وقد ظهر قولكم هذا من قريب ثمان سنين فزعمتم: أنَّ من وافقكم على جميع قولكم فهو المسلم، ومن خالفكم فهو الكافر، وهذا الحديث الصحيح يُبين بُطْلان ما ذهبتم إليه لمن له أذن واعية.

وأيضاً في حديث عمران أن الطائفةَ المنصورةَ لا تزال تقاتل على الحق حتى يقاتلَ آخرُهم المسيحَ الدجال، وكذلك حديث عقبة أن عصابةً يقاتلون على الحق، وأنهم لا يزالوا قاهرين لِعدُوِّهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، ومعلوم أنَّ غايةَ ما يدعوهم الدجالُ إليه عبادةُ غير الله تعالى، فإذا كان عبادة غير الله تعالى ظاهرة في جميع بلاد المسلمين، فما فائدة فتنة الدجال التي حذَّر منها جميعُ الأنبياء أممَهم؟ وكذلك نبيُّنا صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم حذَّر من فتنته، وأين العصابةُ الذين يُقاتِلون على الحق؟ الذين آخرهم يقاتِلُ الدجالَ عن قتال هؤلاء المشركين على زعمكم، الذين يجعلون مع الله إلها آخر؟ أتقولون: خفيُّون؟ ففي هذه الأحاديث إنهم ظاهرون .

أتقولون: مستضعفون؟ ففي هذه الأحاديث إنهم قاهرون لعدُوِّهم .

أتقولون: يأتون زمن الدجال؟ ففي هذه الأحاديث أنهم ما زالوا ولا يزالون .

أتقولون: إنهم أنتم، فأنتم مدتكم قريبة من ثمان سنين، أخبرونا مَنْ قال هذا القولَ قبلكم، حتى نصدقكم ؟

ففي هذا والله أعلم الرَّدُّ عليكم والبيان لفساد قولكم، فصلوات الله وسلامه على من أتى بالشريعة الكاملة، التي فيها بيانُ كلِّ ضلالٍ وكلِّ ضالٍّ، ولكنكم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج] وفي هذه الوجوه التي ذكرنا من السُّنَّة كفايةٌ لمن قصْدُه اتِّباعُ الحق، وسلوكُ الصراطِ المستقيم، وأما من أعماه الهوى ورؤيةُ النفْس فهو كما قال جل جلاله : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملآئِكَةَ وَكَلمهُمُ الموْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام]، ونحن نعترض على مَنْ خالفَ الشرع، ونسأله بالله الذي لا إله إلا هو، أن يُعطونا من أنفُسِهم شرْعَ الله الذي أُنزل على رسوله، وبيننا وبينهم من ارتادوا من علماء الأمة، فلهم علينا عهد الله وميثاقه، إن كان الحق معهم لنتبعنَّهم .

قلت: تعقيباً على كلام الشيخ سليمان، وتصديقاً لما قاله في تفسير الحديث الأخير: أنَّ الطائفةَ المنصورةَ ليستْ هي الوهابية كما يزعُمون، فالوهابيةُ في نجدٍ، وأهلُ هذا الحديث في الشام، التي دعا لها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثلاثاً، جاء في مسند أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّين ظَاهِرِين، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِين، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاء، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِس، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» [71].

---

(٧١) [مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٦٥٧)] .

انتهى ما أردت نقله من كلام الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وقد اقتبسته من كتابه: «الصواعق الإلهية في الرَّدّ على الوهابية» ، والنصوص التي اخترتها من صحيفة (٤١) إلى صحيفة (٤٩) منه، ولم أخرِّج أغلب الأحاديث التي أوردها حيث اكتفيت بتخريجه، وغالبُها في الصحيحين .

رَدُّ الشَّيْخِ أَحْمَد زَيْنِي دَحْلان :

مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة، ولد سنة (١٢٣١)هـ أي بعد هلاك قرن الشَّيطان بخمس وعشرين سنة، والنصوص التي سأنقلها هي من كتابه: «خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام»، عند كلامه على فتنة الوهابية :

وألّف العلماء رسائل كثيرة للردِّ عليه، حتى أخوه الشيخ سليمان وبقيةُ مشايخه، وكان كثيرٌ من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون: سيَضِلُّ هذا، أو يُضِلُّ اللهُ به من أبعده وأشقاه، فكان الأمر كذلك، وزعم محمد بن عبد الوهاب أنَّ مرادَه بهذا المذهب الذي ابتدعه: إخلاصُ التوحيد، والتبري من الشِّرْك، وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة، وأنه جدَّد للناس دينَهم، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف]، وكقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ۝١٠٦﴾[يونس]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، فقال محمد بن عبد الوهاب: من استغاث بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أو بغيرِه من الأنبياءِ والأولياءِ والصالحين، أو ناداه أو سأله الشفاعة، فإنه مثل هؤلاء المشركين، ويدخل في عموم هذه الآيات.

وجعل زيارةَ قبر النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وغيرِه من الأنبياءِ والأولياءِ والصالحين مثلَ ذلك، وقال في قوله تعالى حكايةً عن المشركين في عبادة الأصنام: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ۝٣﴾[المؤمن] ، إن المتوسِّلين مثل هؤلاء المشْركين الذين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾ قال: فإنَّ المشْـركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلُقُ شيئاً، بل يعتقدون أن الخالقَ هو اللهُ تعالىٰ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُـمْ لَيقـولنَّ الله﴾ و ﴿وَلَـئِن سَـأَلْتَهُم مَّـنْ خَلَـقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ فما حكَمَ اللهُ عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم: ليقرِّبونا إلىٰ الله زلفىٰ، فهؤلاء مثلهم .

وما ردُّوا به عليه في الرسائل المؤلَّفةِ للردِّ عليه أن هذا استدلالٌ باطلٌ، فإنَّ المؤمنين ما اتخذوا الأنبيـاءَ عليهم الصَّلاة والسَّلام، ولا الأوليـاءَ آلهـةً وجعلـوهم شركـاءَ لله، بـل إنهـم يعتقـدون أنهـم عبيـد الله مخلوقون، ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة، وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيـات، فكـانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية، ويعظمونها تعظيم الربوبية، وإن كـانوا يعتقـدون أنهـا لا تَخلُـق شيئاً، وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبيـاء والأوليـاء اسـتحقاق العبـادة والألوهيـة، ولا يعظِّمـونهم تعظيم الربوبية، بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم، وببركتهم يرحَم عباده، فيقصدون بالتبرك بهم رحمةَ الله تعالىٰ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسُنَّة.

فاعتقاد المسلمين أن الخالقَ الضارَّ، والنافعَ المستحقَّ العبادةَ هو اللهُ وحدَه، ولا يعتقدون التأثيرَ لأحدٍ سواه، وأن الأنبياءَ والأولياءَ لا يخلُقون شيئا، ولا يملكون ضرّاً ولا نفعا، وإنما يَرحم اللهُ العبادَ ببركتهم، فاعتقاد المشركين استحقاقَ أصنامهم العبادةَ والألوهيةَ، هو الذي أوقعهم في الشِّرْك، لا مجرد قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيقَرِّبُونا إلىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾ لأنهم لما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحقُّ العبادة، وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيقربونا إلىٰ الله﴾ فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشـركين، الـذين يعتقـدون ألوهيـة الأصـنام؟! فجميـع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاصٌّ بالكفار والمشركين، ولا يدخل فيه أحدٌ من المؤمنين .

روىٰ البخاريّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في وصْف الخوارج أنهم انطلقوا إلىٰ آياتٍ نزلت في الكفار فحملوها علىٰ المؤمنين (٧٢) وفي روايةٍ عن ابن عمر أيضاً أنـه صـلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «أخوَفُ ما أخاف علىٰ أمّتي رجل يتأوَّلُ القرآن، يضعُه في غير موضعه» (٧٣) فهو وما قبله صادق علىٰ هذه الطائفة، ولو كان شيءٌ مما صنعه المؤمنون من التَّوسُّل وغيره شركاً مـا كـان يصـدُرُ من النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأصحابهِ وسلَفِ الأمةِ وخلَفِها .

وممن أَلَّف في الرَّدّ علىٰ ابن عبد الوهاب: أكبرُ مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكـردي، مؤلـفُ حواشي شرح ابن حجر، علىٰ متن با فضل، فقال من جملة كلامه: يا ابن عبـد الوهـاب إني أنصـحك لله تعالىٰ، أن تكفَّ لسانَك عن المسلمين، فإنْ سمعتَ من شخصٍ أنه يعتقد تأثيرَ ذلـكَ المستغاث به من دونِ الله فعرِّفه الصواب، وأبنْ له الأدلة علىٰ أنه لا تأثير لغير الله، فإنْ أبىٰ فكفِّره حينئذ بخصوصه، ولا سبيل لـك إلىٰ تكفير السَّواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذٌّ عن السَّواد الأعظم، فنسبةُ الكفر إلىٰ من شذَّ عن السَّواد الأعظم أقربُ، لأنه اتبع غيرَ سبيل المؤمنين، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَـاءتْ مَصِـيراً﴿١١٥﴾﴾[النسـاء]، وإنـما يأكـل الذئبُ من الغنم القاصيةَ .

وأما زيارةُ قبر النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فقـد فعلهـا الصَّـحابةُ رضي الله عـنهم، ومَـنْ بعـدَهم مـن السلف والخلف، وجاء في فضلها أحاديثُ أُفردت بالتأليف .

انتهىٰ كلام الشيخ أحمد دحلان .

---

(٧٢) [صحيح البخاري (٩/ ٢١)] .

(٧٣) [الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٢)] .

البَابُ الرَّابعُ
ردُّ شُبْهَتِهِمْ بِاسْتِحْلالِ قَتْلِ المسُلِمِينَ
«الإِرْهَابُ الدَّمَويُّ»

لَمْ يُقدِم زعيمُ هذه الحركة على قتْل أحدٍ من المسلمين حتى أفتى بكفره، ولَمْ يُكفِّر أحداً حتى رأى رأي الخوارج، الذين عمدوا إلى آيات أُنزِلتْ في الكافرين، فحملوها على المؤمنين، فقال الشيخ النَّجْديّ: إن المسلمين في جميع بقاع الأرض كفَّار، لأنهم استغاثوا بغير الله، والاستغاثة هذه هي الشِّرْك بعينه، فإن الله تعالى يقول: فلا تدعو مع الله أحدا، فاعتبر الاستغاثةَ بأحدٍ من الأنبياءِ أو الأولياءِ هي عبادةٌ له من دون الله، لذلك أقْدمَ على قتل المسلمين داخلَ الجزيرةِ وخارجَها، حتى بلغت حصيلة من قتل من الجزيرة وحدها ما يقرب من (١.٥) مليون مسلم، وشرَّد (٢) مليون مسلم للبلدان المجاورة، ودمر البيوت والقرى، وقتل الأطفال والنساء، حتى تتبع الجنين في بطن أمه، وقطع الأيدي والأرجل، ومثَّل بهم، وردم الآبار، واحرق المزروعات، وغير ذلك مما لَمْ يفعله هولاكو في خرابه لبغداد .

إن إقدام الشيخ النَّجْديّ على قتل المسلمين لا يخلو من أمرين :

- إما أن يكونَ استحلَّ القتلَ الذي حرَّمه الله تعالى .
- وإما أن يكون غيرَ مستحلٍّ له .

فإن كان مُستحلاً له، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، لكونه أحلَّ ما حرَّمه الله تعالى بكتابه، وعلى لسانِ رسولِهِ الكريم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعُرِفَ من الدِّين بالضرورة .

وأما إنْ لم يستحلَّه، فقد أرتكب كبيرةً من الكبائر، بل ارتكبَ واحدةً مـن السَّـبْع الموبقـات، جـاء في القرآن الكريم : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَـهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٩٣﴾﴾[النساء]، فالشيخُ النَّجْديّ في قتله المسلمين لا يخْلُوَنَّ من هذين الأمرين .

إنه من المقرَّرِ في شريعتنا أن المسلمَ الذي شهِدَ لله بالوحدانية ولنبيـه بالرسـالة، وأقـام الصَّـلاة، فقـد عصم دمه وماله ونساءَه، ولا يجوزُ لكائنٍ مَنْ كان أن يَهدِرَ دمَه، لعموم حـديثِ أنـس، قـال رسـول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «مَنْ صَلَّىٰ صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّـذِي لَـهُ ذِمَّـةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ» [٧٤].

وَرَدُّ هذه الشُّبهةِ مِنْ وُجوهٍ :

(الأول): إن الشيخ النَّجْديّ لَمْ يكنْ وليَّ أمر المسلمين حتىٰ يقتل، حتىٰ لو نصَّب من نفسه إماماً، وأخـذ البيعة من الناس، فبيعتُه باطلةٌ لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام:« إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَـرَ مِـنْهُمَا» [٧٥] ومعلومٌ أن المسلمين جميعاً في ذلك الوقت، كانوا خاضعين لإمامٍ واحدٍ وبيعتُه شرعيةٌ .

(الثاني): هبْ أنَّ المسلمين الذين عاصروه كانوا كفَّاراً حسْب فتواه، وأنه صاحبُ الأمر والنَّهي، فما هـو المبرِّر لقتلهم، وهل كان من تعاليمِ سيِّدنا رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أنَّ كل من رأىٰ كافراً قتله ؟

(الثالث): ما هو المبرر لقتل الأطفال والنساء والشيوخ العجزة؟ إن من تعاليم الإسلام عـدم التعـرُّض لمثل هؤلاء، فقد جاء في وصية رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم للقادة العسـكريين الـذين كـان يبعـثهم: «اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا، وَلاَ تَغُلّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تمثلوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلَيَداً» [٧٦]

---

(٧٤) [صحيح البخاري (١/ ٨٧، رقم: ٣٩١)] .

(٧٥) [صحيح مسلم (٦/ ٢٣)] .

(٧٦) [السنن الكبرىٰ للبيهقي (٩ / ٨٥)، المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٢ / ٧٨)قال الذهبي: علىٰ شرط مسلم] .

وهذه أيضاً هي سنة الخلفاء الراشدين المهديين، فقد جاء في السنن الكبرىٰ للبيهقي أن أبا بكرٍ خـرج مع يَزِيدَ بْنَ أَبِىٰ سُفْيَان، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاص، وَشُرَحْبِيلَ بنَ حَسَنَةَ، عندما سيَّرهم لفتح بلاد الشام: قَال: لما رَكِبُوا مَشَىٰ أَبو بَكْرٍ مَعَ أُمَرَاءِ جنودِهِ يُوَدعُهُمْ، حَتىٰ بَلَغَ ثِنيةَ الْـوَدَاع، فَقَـالُوا: يَـا خَلِيفَـةَ رَسُـولِ الله، أَتمشِىٰ وَنَحْنُ رُكْبَان؟ فقَالَ : إني أَحْتَسِبُ خُطَايَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهَّ، ثمَّ جَعَلَ يُوصِيهِمْ فَقَـالَ : أُوصِـيكُمْ بِتَقْوَىٰ الله، اغْزُوا في سَبِيلِ الله، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، فَإِن الله نَـاصِر دينـه، وَلاَ تَغُلُّـوا، وَلاَ تغـدرُوا، وَلا تجْبنُوا، ولاَ تُفسِدُوا في الأَرْضِ، وَلاَ تَعْصُوا مَا تُؤمَرُون، فَإذا لَقِيتُمُ الْعَـدُو مِـن المشْرِـكِين ـ إن شَـاء الله ـ فَادْعُوهُم إِلَىٰ ثَلاَثِ خِصَال، فَإِن هُم أَجَابوك فَاقْبَلوا مِنْهُم، وَكفوا عَنْهُم، ادْعُهم إِلَىٰ الإِسْلاَم، فَـإِن هُـم أَجَابُوكَ فَاقْبَلوا مِنْهُمْ وكفوا عَنْهُم، ثم ادْعُوهم إِلَىٰ التَّحَولِ مِن دَارِهِم إِلىٰ دَار المهَاجِرين، فَإِن هُمْ فَعَلُـوا فَأَخْبِرُوهُم أَن لَهُم مِثل مَا لِلمهَاجِرينَ، وَعليهِمْ ما علىٰ المهاجِرين، وَإِن هُم دَخلوا فِي الإِسْلاَمِ، وَاخْتَاروا دَارَهُم عَلَىٰ دَار المهَاجرين، فأَخبروهم أَنهم كَأَعراب المسْلمين، يجرىٰ عَلَيْهم حُكْم الله، الَذِي فَرَض عَـلَىٰ المؤْمنين، وَلَيْسَ لهَمْ في الْفَيء وَالْغَنَائِمِ شَيء حَتىٰ يجُاهِدُوا مَـعَ المسْـلمين، فـإن هـم أبـوا أن يـدخلوا في الإسلام فادعوهم إِلَىٰ الجْزيَة، فَإِن هُم فَعَلوا فَاقْبَلوا مِنْهُمْ وكفـوا عَـنْهم، وَإِن هُـم أَبَـوْا فَاسـتعِينُوا بـالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله، ولا تُغرِقُنَّ نخـلاً وَلاَ تحرِقُنهـا، وَلاَ تَعْقِـرُوا بَهِيمَـة وَلاَ شَـجَرَة تثمِـرُ، ولا تهدِمُوا بيعَـة، وَلا تَقْتلـوا الولـدان، وَلاَ الشـيوخَ وَلاَ النسَـاءَ، وَسَـتجدُون أَقْوَامـاً حبسُـوا أَنفسـهم في الصَّوامِعِ، فَدَعُوهُم وَما حَبَسُوا أَنفُسَهُم لَه، وَسَـتجدُون آخَـرِينَ اتخَـذ الشَّـيطان في أَوْسَـاط رُؤوسِـهِم أَفحَاصا، فَإِذا وَجَدتم أُولَئِكَ فَاضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ إِنْ شَاءَ الله [٧٧] هذه هي سُنَّة الإسـلام في الجهـاد، وقتـال غير المسلمين، فهل فعل محمد عبد الوهاب واحدة من هذه الخصال؟

---

(٧٧) [السنن الكبرىٰ للبيهقي (٩ / ٨٥)، شرح مشكل الآثار (٣/ ١٤٦)].

إن مما رواه التاريخ أنه قتل أول ما قتل صهره الذي كان في مدينة العُيينة، وكان قتله في المسجد وهو يؤدي صلاة الجمعة، ولما كان صهرُه هذا مُعيناً له وناصراً كان بزعمه موحدا، لكنه لما نبذ دعوته اعتبره كافراً وقتله وهكذا كان فعله في قتل المسلمين .

بل وقد غدر محمد بن عبد الوهاب بقافلةِ الحاجِّ اليماني عندما أتوا لأداء مناسك الحج فأعطاهم الأمان، ثم غدر بهم وقتلهم عن آخرهم وكانوا ألف حاج، فهل الغدر من الإسلام؟ وهل قتل الحجيج من الدِّين ؟

ما هو المبرِّر شرعا لقتل النساء والأطفال والشيوخ العجزة؟ ثم ما هو المستند الشَّرعي الذي استند إليه في قطّعه أطراف الأطفال؟ وبقّرِه بطون النساء الحوامل، ثم إخراج الأجنة من بطونهن ثم قتل الأجنة؟

ما هو المستند الشرعي في حرّقه المزروعات وقطعه الأشجار؟ وردمه الآبار وتدميره البُنية التحتية للمدن التي حاربها ؟

إن من مبادئ الإسلام الدعوةُ إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا كان أسلوبُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الدعوة وهو في مكة، فقد قال الله تعالى له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية]، وقال:﴿ لا إِكْرَاهَ في الدِّين ۝٢٥٦﴾[البقرة]، وغير ذلك من الآيات، فهل اتَّبع النَّهجَ النَّبويَّ في الدعوة إلى الله؟ وهل اتَّبع المَنْهجَ الرَّباني في الجهادِ مع الذين يدَّعي أنهم كفار؟

إنَّ من الإِنْصاف أنْ يعترفَ أتباع هذه الحركة أنهم كانوا مخطئين بقتلهم المسلمين، وأنهم مخطئون في تكفيرهم للمسلمين بدون أدنى شبهة، فإن الاعتراف بالذنْب فضيلة، ولكني لا أعتقد ذلك، فقد كتب أحدُ العلماء الأفاضل المكِّيين مقالاً في إحدى الصحف يحث فيها على إبقاء الآثار النبوية في الحرمين الشريفين، وردَّ شبهةَ الذين يُجيزون هدمها بذريعةِ الشِّرْك بحديث النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم «إن الشَّيطان قد يئس أن يُعبد في جزيرة العرب» وفي حديث آخر: «إن الشَّيطان قد آيس أن يعبده المصلُّون

في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» والحديث في صحيح مسلم، فردَّ عليه بعضـهم بقولـه: إن الشَّيطانَ لا يرضى بأقلَّ من الشِّرْك والكفر... فقد ردَّ على رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسـلَّم قولَـه، وهـل بعد هذا من شيء نقوله في هذه الطائفة؟ إذا وصل بهم الحدُّ أن يردوا كلام المعصـوم ويُعارضـوه، فهـل يسمعوا من أحدنا، لكن قد يقع هذا الكلام بأذن أحد أراد الله به الخير فينتفع به .

سُنَّةُ النَّبِيِّ في التَّعَامُلِ مَعَ المَوَحِّدِينَ

إن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم صاحبُ الخُلُق العظيم، سنَّ لأمته منهجاً في تعاملها مع النـاس، سـواءٌ على مستوى الفرد أو الجماعة، وأن كلمةَ التوحيد هي بالمكانِة التي تعصم صاحبَها في الدنيا مـن القتـل، وفي الآخرةِ من النار، فأمرَنا بتعظيمِها، وأنها أفضلُ ما قاله النبيون، ولا يجـوز لعبـدٍ كائنـاً مـن كـان أن يتجاوز الحدِّ الذي حدَّه الله تعالى، بالتعدِّي على الموحدين «أهـل لا إلـه إلا الله»، وأن دمَ الموحـد ومالـه وعرضه مصونة بصيانة الإسلام، وحرمته أعظم من حرمة الكعبة، فمن تعدى عليها فجزاؤه القصاص في الدنيا، أو الخلود في النار يوم القيامة، وفي سنته صلَّى اللهُ عليه وسلم أحاديث كثـيرة بيَّنـت لنـا مـنهج النبوة في هذا التعامل، أُورد تالياً ثلة صالحة منها، ردّاً على الشيخ النَّجْديّ ومن تبعه بتكفيرهم المسلمين، واستباحة دمائهم، لعل القائمين على هذه الحركة الآن يُخفِّفوا من حِدَّتهم تجاه المسلمين في بقاع الأرض:

(الحديثُ الأَوَّلُ):

عن ابن عمر، أن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَـاةَ، فَـإِذَا فَعَلُـوا ذَلِـكَ عَصَـمُوا مِنِّـي دِمَـاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» (٧٨) .

(٧٨) [صحيح البخاري (١/ ١٤)] .

الشَّاهد في الحديث: كلمة التوحيد هي الفيْصل بين الإسلام والكفر، فقد عصم المنافقون دماءهم وأموالهم وذراريهم من القتل، لأنهم قالوا كلمة التوحيد بألسنتهم، مع أنهم كانوا يُبطنون الكفر في قلوبهم ﴿إِنَّ المنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾﴾[النساء]، ومع ذلك لم يُقتلوا .

(الحديثُ الثَّاني):

عن ابن عباس قال: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ » قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَىٰ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهَّ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ »، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ» [٧٩] .

الشَّاهد في الحديث: قرر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أن الإيمان: شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك أخذاً من قوله: «أتدرون ما الإيمان»؟ وهذا يسمىٰ في اللغة استفهام تقريري، مفاده التأكيد علىٰ أن الإيمان هو: «لا إله إلا الله» فمن قالها فقد أحرز دمه وماله وعرضه، وكان من أهل الجنة .

(الحديثُ الثَّالثُ):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ عَلَىٰ اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهَّ، فَإِذَا عَرَفُوا الله

---

(٧٩) [صحيح البخاري (١/ ٢٠)] .

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» (٨٠) .

(الحديثُ الرَّابعُ):

عن المقداد بن عمرو الكندي أنه قال لرسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «أَرَأَيتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهَّ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقْتُلْهُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» (٨١) .

الشَّاهد في الحديث: إنَّ قتْلَ مؤمنٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، مستحلاً قتلَه، هو كفرٌ ورِدَّةٌ بعد إسلام، وذلك أخذاً من قوله عليه الصَّلاة والسَّلام للسائل: «فإنَّك بمنزلتهِ قبْل أنْ يقولَ كلمتَه»، حتىٰ لو كان ذلك في المعركة، وهي جهاد في سبيل الله، لأن المسلم إذا قتل، لا يقتل لهوىٰ نفسه، وإنما يقتل إنفاذاً لأمر الله تعالىٰ، وكلمةُ التوحيد هي حصنٌ لقائلها من القتل، يُحرز بها دمه وماله وعرضه، فإذا دخل الكافر هذا الحرز فهو في أمان، ومن تعرض له بقتل وأذية، عرَّض نفسه لغضب الله وعقابه .

(الحديثُ الخامس):

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثَنا رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إلىٰ «الحرقة»، فصبَّحنا القوم فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه، قال:« لا إله إلا الله»، فكفَّ

---

(٨٠) [صحيح البخاري (٢/ ١١٩)] .

(٨١) [صحيح البخاري (٥/ ٨٥)] .

الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: «يا أسامةُ، أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله» ؟؟؟

قلتُ: كان مُتعوِّذا، فما زال يكررها، حتى تمنَّيتُ أني لَم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» (٨٢) .

الشَّاهد في الحديث: نهى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن القتل بالظِّنَّة، ولا بد من اليقين للحدود، وفي مقدمتها القتل، وبناءً على هذا الأصل أقول لهؤلاء القاتلين ومن أفتى بالقتل ممن شايعهم ما قاله رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأسامة: أقتلتمُ النَّاس بعد ما قالوا : لا إله إلا الله؟ ماذا تفعلون بلا إله إلا الله؟ أين تذهبون بلا إله إلا الله؟ من سيعصمكم من غوائل لا إله إلا الله؟

عن أبي الدرداء، أن رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «لا يزال المؤمن مُعْنِقاً صالحاً، ما لَم يُصِبْ دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلّح» (٨٣) . ومعنى الحديث: لا يزال المؤمن «مُعنقاً» أي خفيف الظهر، لا يعيقه شيءٌ في سيره، فهو من نعوت المبالغة، وبلَّح معناه أعيا وانقطع، ويقال بلح عليَّ الغريم إذا قام عليك فلم يعطك حقك، وبلَّحت الركيَّة إذا انقطع ماؤها، فهو كناية عن ثِقل وِزْر القتل العمْد، بحيث يأتي يوم القيامة لا يستطيع السير من ثِقل وِزْرِه الذي يحمله على ظهرة بسبب القتل . فأقول لابن عبد الوهاب: فقد بلَّحتم يا من قتلتم الموحدين في المساجد .

وعن عبد الله رضي الله عنه، قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم «أول ما يُقضَى بين الناس بالدماء» (٨٤) .

قال شارح الحديث: هذا تعظيمٌ لأَمر الدماء، فإن البداءة تكون بالأهمِّ فالأهمِّ، وهي حقيقةٌ بذلك، فإن الذنوب تعظُم بحسْب عِظَم المفسدة الواقعة بها، أو بحسْب فوات المصالح المتعلِّقة بعدمِها، وهدْمُ البُنية الإنسانية من أعظم المفاسد، ولا ينبغي أن يكونَ بعد الكفر بالله تعالى أعظم منه .

---

(٨٢) [صحيح البخاري (٥/ ١٤٤، رقم:٤٢٦٩)] .

(٨٣) [سنن أبي داود (٤/ ١٠٤، رقم:٤٢٧٠)] .

(٨٤) [صحيح البخاري (٨/ ١١١، رقم:٦٥٣٣)] .

وعن البراءِ بن عازب: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «لَزوالُ الدنيا أهونُ علىٰ الله من قتْل رجلٍ مُسلم» [85].

وعن عبد الله قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «سِبابُ المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ» [86].

(الحديثُ السَّادس):

عن ابن عمر قال: بعث النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم خالدَ بنَ الوليد إلىٰ بني جُذيمة، فدعاهم إلىٰ الإسلام، فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالدٌ يقتلُ منهم ويأسر، ودفع إلىٰ كل رجل منا أسيره، حتىٰ إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتلَ كلُّ رجل منا أسيرَه، فقلتُ: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيرَه، حتىٰ قدمنا علىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فذكرناه، فرفع النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يده فقال: «اللهم إني أبرأُ إليك مما صنع خالد مرتين» [87].

وأنا أقول: اللهم إني أبرأُ إليك مما فعله أتباع قرْنِ الشَّيطان، اللهم إني أبرأ إليك مما فعله أتباع قرْنِ الشَّيطان.

قال الحافظ ابن حجر: والغرض منه قوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: اللهم اني أبرأُ إليك مما صنع خالد، يعني مِنْ قتْله الذين قالوا: صبأنا قبلَ أن يستفسرَهم عن مُرادهم بذلك القول، فإنَّ فيه إشارةُ إلىٰ تصويبِ فعْلِ ابن عمر، ومن تَبعه في تركهم متابعةَ خالدٍ علىٰ قتْلِ مَنْ أمرَهم بقتلِهم من المذكورين به .

وقال الخطَّابي: الحكمةُ في تبرئته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من فِعْل خالد، مع كونه لَم يعاقبه علىٰ ذلك لكونه مجتهداً، لِيعرف أنه لَم يأذنْ له في ذلك، خشيةَ أن يعتقد أحدٌ أنه كان بإذنه، ولينزجر

---

(85) [سنن الترمذي (٤/ ١٦)] بإسناد حسن .

(86) [صحيح البخاري (١/ ١٩)] .

(87) [صحيح البخاري (٥/ ١٦٠، رقم:٤٣٣٩)] .

غيرُ خالد بعد ذلك عن مثل فعله [88] .

(الحديثُ السَّابع):

عن أنس بن مالك: أن النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كان إذا غزا بنا قوماً، لَمْ يكنْ يغزو بنا حتىٰ يُصْبحَ وينظرَ، فإنْ سمع أذاناً كفَّ عنهم، وإن لَمْ يسمعْ أذاناً أغار عليهم [89] .

الشَّاهدُ في الحديث: إنما كان عليه الصَّلاة والسَّلام لا يُغير إلا بعد الفجر لتمييز دينِ هؤلاء القوم، فإنْ كانوا مُسلمين رفعوا أذانَ الفجر، وإن لَمْ يرفعوه دلَّ علىٰ كفرهم، فكلمةُ التوحيد فيْصلٌ بين الكفر والإسلام، وفعل النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم هو تشريعٌ لأمته من بعده ليقتدوا به في الفعل، وقول النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

السؤال: فهل طبق الوهابية هذه المبادئ؟؟

الجواب: إنهم لَمْ يطبقوها، بل قتلوا المسلمين وهم سجود في المساجد، بل قتل ابن عبد الوهاب صِهره وهو في صلاة الجمعة ساجداً لله، وقتل أهل الطائف وهم يتلون كتاب الله في بيوت الله، بل وقتلهم في عرفات وهم مُحرمون بالحج، وقتل أهله وأرحامه في العُيينة، حيث لَمْ يتابعوه علىٰ بدعته، فماذا يختلف هذا الفعل عما يفعله اليهود في فلسطين؟ إنهم قتلوا المسلمين وهم في المساجد، دخلوا الحرم الإبراهيمي بقوة السلاح وقتلوا المصلين، وكذا فعلوا في المسجد الأقصا، ثم أعلنوا أن هؤلاء إرهابيون، فما صدر من ابن عبد الوهاب وأهل نحلته هو عين فعل اليهود، حيث قتلوهم وقالوا عنهم: مشركون .

(الحديثُ الثَّامنُ):

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع

---

(٨٨) [فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ / ١٨٢)] .

(٨٩) [صحيح البخاري (١/ ١٢٥، رقم:٦١٠)] .

الأذان، فإنْ سمع أذاناً أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «علىٰ الفطرة» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «خرجْتَ من النار» فنظروا فإذا هو راعي معزىٰ [٩٠].

الشَّاهدُ في الحديثِ: شهادةُ النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم للرجل بالجنة عند ما سمعه يؤذن، ومعلوم أن الجنة لا تحل لكافر، لذا حكم علىٰ هذا الرجل أنه مسلم، ولَم يساله النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: هل تستغيث بمخلوق؟ أو هل تتوسل بولي؟ أو هل عملتَ بمقتضىٰ لا إله إلا الله؟ حتىٰ إذا أقر بذلك حكم عليه بالكفر، وضرب عنقه.

(الحديثُ التَّاسِعُ):

عن أم سَلَمة أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «سَتكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا» [٩١].

(الحديثُ العَاشرُ):

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، اَسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا و فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَّ فِي ذِمَّتِهِ» [٩٢].

الشَّاهد في الحديثين: نهي النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عن قتل المصلين مهما صدر منهم من أفعالٍ مخالفةٍ للإسلام، لِيعلِّمنا أن المسلم لا يكفُر بذنب، فمن صلىٰ صلاة المسلمين، وأكل ذبيحتهم، واستقبل الكعبة الشريفة فهو مسلم، وهو في ذمة الله تعالىٰ وجواره، ومن تعدىٰ علىٰ حرمة الله تعالىٰ وجواره فقد ألقىٰ

---

(٩٠) [صحيح مسلم (١/ ٢٨٨)].

(٩١) [صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠)].

(٩٢) [صحيح البخاري (١/ ٨٧)].

بنفسه في النار .

(حادي عشر):

عن عبد الله بن عَديٍّ الأنصاري، أن رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُسَارَّهُ، فَسَارَّهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلَامِهِ وَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَىٰ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيتُ عَنْهُمْ» [٩٣] .

الشَّاهد في الحديث: جاء رجل الىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وهو جالسٌ مع أناسٍ من أصحابه، فطلب منه أنْ يُسرَّ إليه حديثاً فقال له في أذنه حتىٰ لا يُسمع الناس: إني أريدُك أنْ تأذنَ لي بقتلِ فلانٍ المنافق، فرفع النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم صوته ليُسمِعَ الناس: أليس يشهدُ أنْ لا إله إلا الله؟ فقال الرجل: إنما قالها بلسانه وليس موقناً بها من قلبه، أي: علىٰ رأي الوهابية، لم يعمل بمقتضاها، ثم قال: أليس يشهد أني رسول الله؟ قال : بلىٰ، ثم قال عليه الصَّلاة والسَّلام: أليس يقيم الصَّلاة؟ قال: نعم ولكنْ لا صلاةَ له، أي أن شهادته التي قالها، وصلاته التي صلاها لم تنهه عن أفعاله القبيحة التي فيها عداءٌ للإسلام، فقال: هؤلاء الذين نهاني الله تعالىٰ عن قتلهم، والنهي هنا نهي تحريم .

والمنافقون هم كفار العقيدة بنص القرآن، وكم حاولوا النيل من الإسلام، وهموا بقتل النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، وأفعالهم المشينة معلومة وجاءت في القرآن والسُنَّة وكتب السِّيرة، حتىٰ أن الله تعالىٰ نهىٰ نبيه عن الصَّلاة عليهم، أو تشييع جنائزهم، والقيام علىٰ قبورهم، ومع ذلك لم يقتلهم النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه

(٩٣) [صحيح ابن حبان - مخرجاً (١٣/ ٣٠٩)] .

وسلَّم لأنهم يُظهِرون الشهادتين، ويقيمون الصَّلاة، رغم وجود النص القرآني أنهم أسوأ حالاً من المشركين الذين يعبُدون الأصنام، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء].

(ثاني عشَر):

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِياً أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا» (٩٤)

الشَّاهد في الحديث: أنَّ الرجل أقسم علىٰ أن يقيم أركان الإسلام فقط، وهي الشهادتان، والصَّلاة، والزكاة، وصوم رمضان، ولا يزيد علىٰ هذا شيئا من الطاعات، فلما ولَّىٰ الرجل وذهب قال النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: من أراد أن ينظر الىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إليه...فقد قطع النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام له بالجنة، شأنه في ذلك شأن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ممن بشَّره بالجنة من كبار الصَّحابة.

والمسلمون الذين قتلهم ابن عبد الوهاب فعلوا مثل هذا الرجل، وربما زادوا عليه كثيراً من النوافل، ومع ذلك قتلهم شرَّ قِتله، ولَم يراع فيهم حرمةَ الإسلام، ولَم يُعظِّمْ فيهم ذمة الله تعالىٰ، فما هو عذره عند الله تعالىٰ وعند رسوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ؟

(ثالث عشَر):

عن عُبادة رضي الله عنه، عن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ

---

(٩٤) [صحيح البخاري (٢/ ١٠٥)].

شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» [٩٥].

قَالَ الوَلِيدُ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرٍ، عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ .

الشَّاهد في الحديث: أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قطع بالجنة لكلِّ من شهد لله بالوحدانيَّة، ولنبيِّه محمدٍ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالرسالة، وأن سيِّدنا عيسىٰ عليه السلام عبدُ الله ورسولُه، خلقه من غير أبٍ، ولو أتىٰ هذا العبدُ ما أتىٰ من الذُّنوب يستحق عليها دخولَ النار، فإنه لا بدَّ وأنْ يُدخلَه اللهُ الجنة، ثم أمره الىٰ الله تعالىٰ في ذنوبه هذه، إمَّا أن يعذِّبه عليها وإما أن يغفر له، لكن نهايته هي الجنة، وقد جاء النص القطعي أن الله حرم الجنة علىٰ الكفار والمشركين، فدلَّ هذا أنَّ من شهد بهذا فهو مسلم، فإذا ثبت إسلامُه فقد أحرز دمه وماله وأهله .

(رابع عشَر):

عن أنس بن مالك أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثاً، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذاً يَتَّكِلُوا» . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً [٩٦] .

(خامس عشَر):

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه حدثه قال: أتيتُ النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ

(٩٥) [صحيح البخاري (٤/ ١٦٥)] .

(٩٦) [صحيح البخاري (١/ ٣٧)] .

زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ .

(سادس عشر):

عن عِتبان بن مالك رضي الله عنه قال رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «... فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله» [٩٧] .

(سابع عشر):

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِأَسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِأَسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ:

---

(٩٧) [صحيح البخاري (٧/ ٧٣)] .

«نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَخَلِّهِمْ» [٩٨] .

الشَّاهد في الأحاديث :

(أولاً) أنَّ من قال : لا إله إلا الله ولو مرة في حياته، مصدِّقاً بها في قلبه، فقد أوجب الجنة، وإن اقترف الكبائر، لأن الله تعالىٰ ما بعث الرسل إلا من أجل هذه الكلمة، فمن أقرَّ بها فقد لبىٰ ما طلبه الله تعالىٰ منه، وأدَّىٰ حقَّ الربوبية، فلم يبق إلا حقَّ العبد علىٰ الله تعالىٰ بإدخاله الجنة، وإن اقترف شيئاً من الذنوب فأمره إلىٰ الله تعالىٰ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، لكنه إن عُذِّب لا يخلد في النار .

(ثانيا) إن نهي سيِّدنا رسول الله معاذاً من إخبار الناس أولاً، ثم عمر ثانياً حتىٰ لا يتكل بعض الناس علىٰ هذه البشارة، ويتركوا العبادات، فتنقص درجاتُهم في الجنة .

(ثالثاً) إن فعل الكبائر لا يضرُّ مع كلمة التوحيد، أي لا يمنع العبد من دخول الجنة، فأمره إلىٰ الله تعالىٰ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة، وبالتالي فهو مقطوع له بالجنة، ومعلوم بالنص الشرعي، وإجماع الأمة علىٰ أن الله حرم الجنة علىٰ مشرك، وبالتالي: فإن من قتلهم ابن عبد الوهاب هم: موحِّدون، مسلمون، مقطوع لهم بالجنة . فلماذا قتلهم؟

(ثامن عشَر):

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : إِنَّ اللهَّ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ

---

(٩٨) [صحيح مسلم (١/ ٦٠)] .

يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ (٩٩) .

الشَّاهد في الحديث: إن كلمة التوحيد هي إثباتُ صفة الوحدانية لله تعالىٰ، والله تعالىٰ لا يعدله شيء من خلقه، وكذلك صفاته لا يعدلها شيء من صفات المخلوقين،، فإذا تقرَّر هذا فلنْ يقومَ مع كلمة التوحيد ذنبٌ بحيث يخلده في النار،، مهما عظُم هذا الذنْب، لأن مغفرة الله تعالىٰ أوسع، يؤيد هذا ما جاء في حديث أنسَ بنِ مالكٍ قال : قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً (١٠٠) .

قال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

وماذا بعد هذا ؟ يريد الله تعالىٰ أن يُدخل عبادَه الجنة بمجرَّد التلفُّظ بكلمة التوحيد، ويريد قرن الشَّيطان وأتباعه إهلاك الأمة، ويحكمون عليهم بالكفر ثم القتل، ثم يقولون: إنهم من أهل النار، وليست الجنة فيما يدّعي إلا لأهل نحلته .

إن الله تعالىٰ لم يقل لهذا الذي نشر له تسعةً وتسعين سجلاً من الذنوب، كلُّ سجلٍّ منها مدَّ البصر اتساعاً: إنك لم تعمل بمقتضىٰ كلمة التوحيد، وإنما قبل منه مجرد التلفظ بها.

---

(٩٩) [سنن الترمذي ت بشار (٤/ ٣٢١)] .

(١٠٠) [سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٤٤٠)] .

أما ابن عبد الوهاب فقد أدخل البدعةَ في دين الله، وقال بما لم يقله اللهُ ورسولُه، فقال: والمراد من كلمة التوحيد: «معناها لا مجرد لفظها» (١٠١).. اهـ.

فما هو دليله على ذلك؟ ها وقد أتينا بعشرات الأحاديث تشير الى أن المسلم الذي يتلفظ بكلمة التوحيد هو من أهل الجنة، وأن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عن التعرض لمن قالها، وشيخ نجد رمى كل ذلك من وراء ظهره وأعمل السيف في رقاب الموحدين، فما هو دليله ومستنده الشرعي في قتلهم بعد أن قالوها؟ وما هو مستنده الشرعي في تكفيرهم بعد أن شهدوا لله تعالى بالوحدانية ولنبيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالرسالة؟ وهل الإسلام غير هذا ؟ وما هي هذه الطاعات والعقائد التي أوجبت لابن عبد الوهاب وطائفته الجنة ؟ وما هي الكفريات التي اقترفها الموحدون حتى أوجب لهم القتل والخلود في النار؟

وبعد هذا يأتي أتباعه ويقولون عنه: إنه مجدد الدعوة، وشيخ الإسلام، ومجدد كلمة التوحيد الى غير ذلك من الألقاب...

أليس هذا من الإرهاب الفكري والدموي؟؟ وأي إسلام هذا الذي يأمر بقتل الموحدين؟ الذين يقيمون الصَّلاة ويؤدُّون الزكاة، ويصومون ويحجون، اللهم إلا أن تكون خدمة لليهود والصليبيين الذين يريدون استئصال شأفة الإسلام .

فهذا الذي عرضتُ من سيرة هذا الرجل، ليدلّنا دلالة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض، بأنه هو قرن الشَّيطان الذي ورد ذكره في الحديث، وأن كل الدلالات التي وردت في النصوص تشير إليه ومصرحة بها، ولا يوجد في الإسلام من تنطبق عليه هذه الصفات غيره .

إنه من المقرر في شريعة الإسلام: عدم التعرض للكافر والذمي، إلا إذا صدر منه شيء يريد به النيل من الإسلام، بحيث يعتبر بها حربيا، فعندها يجب التعرض له بالقتل بعد إنذاره...

فما هو الذي فعله أبناء الإسلام ضد دينهم بحيث صاروا حربيين؟

وهل أنذر ابن عبد الوهاب من قتله من المسلمين كما أمر به نبينا صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ؟

وهل هو صاحب الأمر والنهي في دولة الإسلام حتىٰ يقرر هذا ؟

إنه خرج علىٰ إمام زمانه المبايع له شرعا، وهذا الخروج يجعله في مرتبة الخوارج الذين خرجوا علىٰ سيِّدنا علي رضي الله عنه .

وما قام به من قتلٍ، هو نفسه القتل الذي قام به الخوارج، فالخوارج لَمْ يقتلوا إلا أفرادا، ومع ذلك سماهم أهل السُنَّة بالخوارج، إلا أن الوهابية أسرفوا في القتل حتىٰ أصبح القتلىٰ بالملايين، والمشردون هربا بأرواحهم كذلك، أليس من باب أولىٰ أن نسميهم بالخوارج ؟

إن المقتولين من أهل السُنَّة، ومن هُتكت أعراضهم، وسبيت نساؤهم، ونهبت أموالهم، وأخرجوا من ديارهم، رفعوا لائحة اتهام ضد ابن عبد الوهاب، يسألون رب العالمين، بتجريمه، كونه ارتكب الجرائم التالية:

تكفير الموحدين ...

قتل الموحدين ...

التمثيل بهم ...

قتل الأطفال ...

قتل النساء ...

إخراج الأجنة من بطون أمهاتها وتقطيع أوصالهم ...

هدم البنية التحتية للقرىٰ التي حاربها ...

حرق المزروعات والأشجار ...

مصادرة الأموال ...

السلب والنهب ...

إخافة الناس ...

قتل الحجاج ...

الإلحاد في الحرم الآمن أهله ...

منع الحجاج من الحج ...

إتلاف الكتب الشرعية في مكة والمدينة والطائف وغيرها ...

طمس الآثار النبوية في أرض الحرمين ...

طمس الآثار التاريخية ...

تقييد الحريات الدِّينية...

إرغام الناس على الدخول في دعوته...

استتابة الناس من الإسلام الذي كانوا يدينون به ...

الشهادات الخطية التي أرغموا عليها العلماء بأنهم كانوا كافرين قبل مجيء ابن عبد الوهاب

إتلاف كتب الأخلاق والتزكية ...

إتلاف كتب العقيدة ...

إتلاف كتب الفقه لكونها الشِّرْك الأكبر في شريعة ابن عبد الوهاب ...

عبثهم بالتراث العلمي ...

إعدام من جهر بالصَّلاة على النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ...

تعطيل مجالس الذكر التي أمر الله بها ...

محاكمة كل من تعرض لزعيم الطائفة النَّجْديّة أو شيخه ابن تيمية ...

هذه كلُّها جرائم حرب، اقترفها شيخ نجد وأهل نحلته، ومن سيكون محامي الدفاع، الذي سيتولى المرافعة في هذه القضايا، التي تُعدُّ جنايات كبرى، لا شك أن الحكم الذي سيصدره الله تعالى بحقه هو:

الحبس المؤبد في سجن جهنم، حسب الآية رقم (٩٣) من قانون الجنايات الكبرىٰ الوارد في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

والأسئلة المطروحة هنا:

ما الذي استفاده الآن بعد أن أفضىٰ إلىٰ ما قدَّم؟

مَن المستفيد الأول في كل هذا ؟

أليس عمله هذا قرة عين ليهود والصليبيين ؟

هل استطاع شيطان الجن أن يفعل بعض هذا ؟

هل يستطيع أتباعه الإجابة عن واحدة من هذه التهم ؟ ويأتون بمستند شرعي واحد مقبول؟

البَابُ الخَامِسُ
رَدُّ شُبْهَتِهِمْ بِطَمْسِ آثَارِ النُّبُوَّةِ

تكلمت فيما سبق عن قيام محمد عبد الوهاب بهدم قبور الصَّحابة، والقباب التي بنيت عليها، وحجته في ذلك أنها تفضي إلىٰ الشِّرْك، بل اعتبرها مظهراً من مظاهر الشِّـرْك، عُبد أصحابُها من دون الله، مستنداً في ذلك علىٰ نصوص لا تنتج له حكماً شرعياً، وإني سأدحض حجتهم إن وفقني الله تعالىٰ لذلك، محتجا بما لدي من نصوص صحيحة .

إن الوهابية أخطأوا في هدم الآثار النبوية في الحجاز والحرمين، لأنهم لَمْ يستثنوا بين ما هو مسجدٌ بُني علىٰ قبر استناداً لحديث: « أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» وبين ما هو ليس بقبر، بل إنهم طمسوا كلَّ أثر لنبيِّ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وصحابته ووالديه وأزواجه، وهدموا بيته الذي كان يسكنه، وهدموا كل مسجد أُقيم علىٰ مكان تشرَّف بجلوسه فيه، بل إن بعض المصادر أشارت إلىٰ أنهم قصفوا غار حراء بالطائرات وبالمقابل محافظتهم علىٰ آثار يهود في المدينة وخيبر، ومنعوا الناس من العبث بها، ووضعوا لوحات التحذير من العبث والاقتراب منها، فهل بلغت آثار يهود من الأهمية أكثر من آثار نبينا صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ؟.

إن العلماء من أتباع المذاهب الفقهية أفتوا بجواز بناء المساجد علىٰ القبور، وأهم دليل استندوا إليه ما فعله رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم من بناء المسجد النبوي الشريف في مدينته المباركة علىٰ قبور المشركين، وهذا أمر مجمع عليه عند جميع المسلمين لا يحتاج لسند، وما فعله الصَّحابة الأجلاء من دفن جسد النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وصاحبيه في مسجده الشريف، فقد كان القبر في بيته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وهو بيت السيدة عائشة، ومنازل أزواجه كانت في مسجده ودليل، ذلك قوله صلَّىٰ اللهُ عليه

وسلَّم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، فبيته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كان في طرف المسجد ثم أُدخل فيه بعد التوسعة .

إن إحياء الآثار الإسلامية والمحافظة عليها هي جزءٌ من تاريخ الإسلام الناصع، وتخليدٌ لذكرىٰ الأبطال الذين صنعوا مجد تاريخنا التليد، ومن قال غير هذا فليس له أدنىٰ نصيب من الانتماء لهؤلاء السلف، وربما حكم علىٰ نفسه بالخرف أو الجهل أو هما معا .

وسأتناول بعض الأدلة التي ترغب بالمحافظة علىٰ الآثار النبوية فمنها:

الدليل الأول :

قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصلًّى﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران]، ومقام إبراهيم عليه السَّلام حجر كان يقف عليه عند عمارته للكعبة، لكنه عندما تشرف بمَّس قدمي خليل الله، أمرنا الله بأن نتخذه مُصلًّىٰ نصلي إليه بعد الطواف بالبيت، ومن أجل هذا حافظ عليه الناس قبل الإسلام، ثم لما جاء الإسلام حافظ عليه حتىٰ كان الصَّحابة يعلمون مكانه من البيت بالذراع، وقد اجتهد سيِّدنا عمر أن يضعه في مكانه الصحيح عندما اقتُلع من مكانه في سيل أم نهشل .

وجه الدلالة :

إن المقام حجر أنزل الله ذكره في القرآن، لأنه تشرف بمس قدم خليل الله، وأمر المسلمين باتخاذه مُصلًّىٰ تعظيما لهذا الحجر، وما شرُف الحجر إلا بمجاورته نبي الله، وقياساً علىٰ هذه الحادثة : أن كلَّ أثرٍ تشرف بمسِّ جسد حبيبِ الله محمدٍ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يجب المحافظة عليه واحترامه، لا لكونه حجراً أو تراباً وغير ذلك، بل لمجاورته من أمرنا الله بتعظيمه وهو نبيه محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، كما هو الحال بمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ لا فرق بين المسألتين أبدا .

الدليل الثاني :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴿١٥٨﴾﴾[البقرة]، والصفا والمروة معروفتان وغنيتان عن التعريف، والأصل في السعي هو: أن أمنا هاجر رضي الله عنها، سعت بينهما طلباً للماء وبحثاً عنه، عندما نفد ما معها من الماء فصارت سنة، وهذا قول ابن عباس .

وجه الدلالة : إن الله تعالى أمرنا أن نعظم تاريخنا المجيد، وأن نقتدي بمن اصطفاه الله من خلقه، فلما اصطفى الله ابراهيم، واصطفى إسماعيل، وكذا أمه هاجر، أمرنا بالمحافظة على هاتين الصخرتين، وان نَطَّوَّف بهما في حجنا وعمرتنا، وجعل السعي بينهما ركناً من أركان الحج والعمرة لا يصحُّ إلا به، ولولا هذه الحادثة التي حدثت مع أُمِّنا هاجر، لما أمرنا الله بالطواف بهذين الحجرين، فالتعظيم في الأصل لمن تشرف به هذان الحجران بالمشي عليهما، كما هو الحال في المقام، وكما قيل:

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكنْ حبُّ من سكن الديارا

الدليل الثالث :

قوله تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة]

قال الطبري: كان فيه عصا سيِّدنا موسى عليه الصلاة والسلام ورضاضٌ من ألواح التوراة، ونعلان .

وليس المراد هو التابوت، وإنما المراد ما كان بداخله من آثار الأنبياء، فكان بنو إسرائيل يستنصرون بهذا التابوت فينصرهم الله تعالى .

وجه الدلالة: إن نبيَّنا محمداً صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لما قدم المدينة وجد يهود يصومون يوم عاشوراء، ولما سألهم عن صيامه قالوا: هذا يوم نجَّىٰ الله فيه موسىٰ، فنحن نصومه شكراً لله، فقال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم : «نحن أولىٰ بموسىٰ منكم»، فصامه وأمر بصيامه، فقوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم: «نحن أولىٰ بموسىٰ» يُعنىٰ أننا معشر المسلمين أشدُّ حرصاً علىٰ انتمائنا لأنبياء الله ورسله من يهود، فإذا كان يهود يحرصون علىٰ التبرك بآثار أنبيائهم، وقد أقرَّهم الله تعالىٰ علىٰ ذلك ورزقهم النصر، إذاً، فنحن أولىٰ بالمحافظة علىٰ آثار نبينا من يهود، فنحافظ عليها ونتبرك بها .

الدليل الرابع:

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلم يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَىٰ الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج] ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان] .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَن رَسُولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قَال: «لا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلاءِ المعَذبِينَ إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِين، فَإِن لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُم» (١٠٢) .

وعن سَالِمِ بْنُ عَبْدِ الله عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لما مَرَّ بِالْحِجْرِ قَال: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلموا أنفسهم إلا أن تَكُونُوا بَاكِينَ أن يُصِيبَكُمْ مَا أصابهم، ثُمَّ تقنع بردائه وَهُوَ عَلَىٰ الرَّحل» (١٠٣) .

---

(١٠٢) [صحيح البخاري (١ / ١١٨)] .

(١٠٣) [صحيح البخاري (٤ / ١٨١)] .

وعن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ الْعَجِينَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ (104) .

وجه الدلالة: أمرنا الله تعالىٰ في هذه الآيات وأمثالها، بأخذ العبرة من الأمم الذين سبقونا، فقال: أفلم يسيروا ؟ أي ألم يسافروا في هذه المناطق التي تعرضت لعذابنا، ثم ذكر الحواس الثلاثة التالية: العقل، السمع ثم البصر، فيسمع بالخبر بأذنه ثم يراه بعينه ثم يتفكر فيورث له الإيمان بالله تعالىٰ والخشية منه .

ثم جاء في الحديث : أن النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لما مر بالحجْر، وهي قرىٰ ثمود عند ذهابه الىٰ تبوك، أمر الصَّحابة أن يتذكروا عظمة الله تعالىٰ وشدة بطشه فيمن عصاه، فأمرهم بأن لا يدخلوا هذه القرىٰ المعذبة إلا وهم باكون خشيةَ أن يصيبهم مثل ما أصابهم، ثم تقنَّع رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأسرع في المشي، وهذا هو المقصود من الآية .

فلما أمرنا الله أن نأخذ العبرة من الأمم التي سبقت، ونهانا أن ندخل منازلهم غافلين عنه تعالىٰ، ونهانا أن يكون لنا تماسٌّ بهم من كل الوجوه، سواءٌ بالمرور في ديارهم قصداً، أو الشُّرب من الآبار التي كانوا منها يشربون، وأن لا نفعل مثل أفعالهم، أبدلنا الله تعالىٰ بما يقابل ذلك، وهو من قياس العكس كما هو في علم المصطلح، فأمر النَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالشُّرب من البئر الذي كانت تستقي منه ناقة سيِّدنا صالح عليه الصلاة والسلام، وهذا تعليم للأمة علىٰ مر عصورها، أن لا نفعل فعل المعذَّبين، بل نبتعد حتىٰ عن ديارهم، وأن لا نعمل مثل أعمالهم، ولا نستعمل شيئا من آثارهم، وأمرنا بمقابل ذلك أن نقتديَ بالصالحين، بأن نعملَ مثل أعمالهم، وأن نزورَ ديارهم ونتبركَ بآثارهم .

---

(١٠٤) [صحيح مسلم (٨/ ٢٢١)] .

ولا أشرف من رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، ولا أثر أفضل من آثاره، فهي جديرة بأن نزورَها، ونتبرك بها، ونحافظَ عليها، إذ هي تاريخُنا التليد الذي نفخر به علىٰ كل تاريخ .

الأَدِلَّةُ مِنَ السُنَّة النَّبويَّة :

وأما ما جاء في السُنَّة المطهرة فكثير، لكن ينبغي أن نقسم الآثار إلىٰ قسمين:

(القسم الأول): الآثار المنفصلة، أي التي لامست جسم النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ولَمْ تكن جزءاً من جسمه الشريف .

(القسم الثاني): الآثار المتصلة أي التي كانت ملازمة ومتصلة بجسمه الشريف ثم انفصلت .

أما القسم الأول فهي آثار منقولة، وآثار غير منقولة، فالآثار المنقولة هي: لباسه وآنيته التي كان يشرب منها أو يأكل، وما في معنىٰ هذه الأشياء .

وغير المنقولة هي بقاع الأرض التي جلس فيها أو مشىٰ عليها أو صلىٰ، وبيته الذي كان يسكن فيه، وآثار المدينة المنورة ومكة وما في معناها .

جاءت أحاديث كثيرة غالبها في الصحيحين تفيد أن الصَّحابة كانوا يتبركون بآثاره صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم المنقولة وغير المنقولة فمن ذلك :

التَّبرُّك بقَدَح النَّبيّ ﷺ :

قَالَ سَهْلٌ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّىٰ جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِنَا» لِسَهْلٍ، قَالَ: فَأَخْرَجْتُ لَهُمْ هَذَا الْقَدَحَ، فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَوَهَبَهُ لَهُ، وَفِي

رِوَايَةِ أَبِي بَكْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «اسْقِنَا يَا سَهْلُ» ، فأخرج لنا سهل ذلِك القَدحَ فشربْنا فيهِ قَال: ثم استوهبهُ بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبهُ له (١٠٥).

عَنْ عَاصِمٍ الأحول قَالَ: رأيتُ قَدحَ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وكان قد انصَدَعَ فسلسله بفضة . قال: وهو قدح جيد عَرِيض من نُضَارٍ، قَالَ أَنس: لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فِي هَذَا الْقَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

وَقَال ابْنُ سِيرِين: إنهُ كَانَ فِيهِ حَلْقَة مِنْ حَدِيد، فَأَرَاد أَنس أَنْ يَجْعَلَ مَكَانهَا حلقة من ذهب أو فضة، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ: لا تُغيِّرَن شيئاً صنعه رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فَتَرَكَهُ (١٠٦) .

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: قَدِمْتُ المدِينَةَ فلقيني عَبْدُ الله بن سَلامٍ فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَىٰ المنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فيه رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، وتصلي في مسجد صلىٰ فِيهِ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَسَقَانِي سَوِيقا وأطعمني تمرا وصليت فِي مَسْجِدِه (١٠٧) .

فهذه أحاديث صحيحة وهي واضحة الدلالة .

الاستشفاء بجبة النَّبيّ ﷺ :

عن اسماء قَالَت: هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم . فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسروانية ، لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاج، وَفَرْجَيهَا مكفوفَيْنِ بالديبَاجِ، فقالت: هذه كانت عندَ عَائِشَة حَتىٰ قُبضَت، فَلما قُبضتُ قَبَضتهَا، وكان النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يَلبسُهَا فنحن نغسِلُهَا للمرضَى يُستشفَىٰ بها (١٠٨) .

---

(١٠٥) [صحيح مسلم (٣/ ١٥٩١)] .

(١٠٦) [صحيح البخاري (٧ / ١٤٧)] .

(١٠٧) [صحيح البخاري(٢٢ / ٣٢١) كتاب الاعتصام].

(١٠٨) [صحيح مسلم (٦ / ١٣٩). .

التبرك بالعَنَـزَة :

«بفتح العين والنون والزاي»، والعنزة عصا، مِثْلُ نِصْفِ الرُّمْحِ أَوْ أَكْبَرُ، فِيهَا سِنَانٌ مِثْلُ سِنَانِ الرُّمْحِ، وَالْعُكَّازَةُ نَحْوٌ مِنْهَا.

قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ، لاَ يُرَىٰ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَىٰ أَبُو ذَاتِ الكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالعَنَزَةِ فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّىٰ قُتِلَ [١٠٩] .

التبرك بخاتم النَّبيِّ ﷺ :

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا قَال: اتخذ رَسُول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم خَاتَمًا مِنْ وَرِق «فضـة» وَكَـانَ فِي يَدِه، ثم كان بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْر، ثم كَانَ بَعْدُ في يد عمر، ثم كان بعد في يد عثمان حتىٰ وقع بَعدُ فِي بِئْـرِ أَرِيس، نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله [١١٠] .

التُّبرك برمَّانةِ المنبر النَّبوي :

عن يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ قُسَيْطٍ، قَالَ : رَأَيْتُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إذَا خَلاَ لَهُمَ المَسْجِدُ قَامُوا إِلَىٰ رُمَّانَةِ المْنِبَرِ الْقَرْعَاء فَمَسَحُوهَا وَدَعَوا، قَالَ : وَرَأَيت يَزِيدَ يَفْعَلُ

---

(١٠٩) [صحيح البخاري (٥/ ٨١)].

(١١٠) [صحيح البخاري (٧/ ٢٠٠)].

ذَلِكَ [111] .

الوهَّابية يجيزون التَّبرك بابن تيمية:

إن الوهابية حرَّموا التبرك على المسلمين وجعلوه من أنواع الشِّرْك، وقتلوهم على ذلك كما فعل ابن عبد الوهاب، لكنا نراهم يبيحون ذلك لهم، ويستشهدون على فعلهم بالأثر والحديث، فقد رأيت في أرشيف ملتقى أهل الحديث التابع للوهابية صورة فتوى عن التبرك وكانوا يحرمونه، وصورة السؤال ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية عند كلامه عن موت ابن تيمية، نقلا عن الشيخ علم الدِّين البرزالي (١٤/ ١٣٥) : حضر جمع كثير إلى القلعة، وأُذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن، واقتصروا على من يغسِّله، فلما فرغ من غسله أُخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع . اهـ

وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، ودُفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (باب مس قبر النَّبيّ ٤/ ١٢١) عن أبي مودودة قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفراً من أصحاب النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسحوها و دعوا، قال: و رأيت يزيد يفعل ذلك .

---

(111) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤ / ١٢١) .

و في كتاب [العلل و معرفة الرجال (٢/ ٤٩٢)]، سألته: أي احمد بن حنبل عن الرجل يمس منبر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ويتبرك بمسه و يقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلىٰ الله جل وعز فقال : لا بأس بذلك ، وفي [كشاف القناع (٢/ ١٥٠) ، سؤالات عبدالله بن أحمد بن حنبل لأحمد قال: سألت أبي عن مسِّ الرَّجُل رمانة المنبر يقصد التبرك، و كذلك عن مس القبر فقال: لا بأس بذلك . اهـ

ذكر ابن ابي يعلىٰ الحنبلي في [طبقاته في ترجمة الشريف أبي جعفر (٢/ ٢٤٠)] : وحُفر له بجنب قبر إمامنا أحمد فدفن فيه، وأخذ الناس من تراب قبره الكثير تبركاً به، ولزم الناس قبره ليلا ونهاراً مدة طويلة، ويقرأون ختمات، ويُكثرون الدُّعاء، ولقد بلغني أنه ختم علىٰ قبره في مدة شهور ألوف ختمات . انتهىٰ

هذه هي صورة الفتوىٰ، فقد أجازوا أن يُفعل ذلك مع ابن تيمية كونه شيخَهم، وينتسبون إليه، لكنهم يُحرِّمونه مع رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

التَّبرُّكُ بآثاره ﷺ غيرِ المنْقُولَة

إن الله تعالىٰ اصطفىٰ من البشر أناساً جعلهم أصفياءه من خلقه، عظَّمهم وأمرنا بتعظيمهم وهم الأنبياء والرسل والأولياء، واتخذ من الأزمنة والأوقات ساعاتٍ وأياماً عظَّمها وأمرنا بتعظيمها بإشغالها بطاعته سبحانه وتعالىٰ، واصطفىٰ من الأمكنة أماكن عظَّمها وأمرنا بتعظيمها منها : الكعبة، والمساجد الثلاثة بشكل خاص، والمساجد كلُها بشكل عام، ومكة والمدينة والقدس وغيرها، وجعل هذه المصطَفيات شعائر فرض علىٰ العباد تعظيمها فقال في سورة الحج: ﴿ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فإنّها مِنْ تَقْوَىٰ القُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾، ومن هذه الأماكن التي يجب علينا تعظيمها الحرم المكي، والحرم المدني، ومكة حرمها الله تعالىٰ في القرآن الكريم، وأما المدينة فقد حرمها الله علىٰ لسان رسوله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال : «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْـرَاهِيمُ عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ لِمَكَّةَ» (١١٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى تَحْرِيمِ صَيْدِ الْمَدِينَةِ ، وَتَحْـرِيمِ شَـجَرِهَا ، وَجَعَلُوهَـا فِي ذَلِـكَ كَمَكَّـةَ فِي حُرْمَةِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَقَالُوا: مَنْ فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فِي حَرَمِ رَسُولِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ حَـلَّ سَلَبُهُ لِمَنْ وَجَدَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَاحْتَجُّوا فِي ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآثَارِ .

وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ آخَرُونَ فَقَالُوا: أَمَّا مَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنْ تَحْرِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ صَـيْدَ الْمَدِينَـةِ وَشَجَرَهَا ، فَقَدْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ، لَيْسَ أَنهُ جَعَلَهُ كَحُرْمَةِ صَـيْدِ مَكَّـةَ ، وَلَا كَحُرْمَـةِ شَـجَرِهَا، وَلَكِنَّـهُ أَرَادَ بِذَلِكَ بَقَاءَ زِينَةِ الْمَدِينَةِ لِيَسْتَطِيبُوهَا وَيَأْلَفُوهَا، وَقَدْ رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مَنَـعَ مِـنْ هَـدْمِ آطَامِ الْمَدِينَةِ وَقَالَ إِنَّهَا زِينَةٌ لِلْمَدِينَةِ (١١٣) .

النَّهْيُ عَنْ هَدْمِ آطامِ المدينة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ». قَالَ: وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْضَدَ شَجَرُهَا أَوْ يُخْبَطَ ، أَوْ يُؤْخَذَ طَيْرُهَا .

وعَن ابن عُمَر، أَن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عَن آطام المدينة أن تهدم .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَدْمِ آطَامِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا زِينَةُ الْمَدِينَـةِ» (١١٤).

---

(١١٢) [صحيح البخاري (٣/ ٦٨)] .

(١١٣) [شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٣)] .

(١١٤) [شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٣، رقم:٦٣٢١)] .

قَالَ أَحْمَدُ: وَالنَّهْيُ عِنْدَنَا عَلَىٰ التَّحْرِيمِ، حَتَّىٰ تَقُومَ دَلَالَةٌ بِأَنَّـهُ عَـلَىٰ التَّنْزِيـهِ دُونَ التَّحْـرِيمِ (١١٥) لـذلك وجب المحافظة علىٰ هذه الآثار، لأنها آثار الصالحين، وتُزار لأن الله عظَّمهـا، فنكـون بـذلك متَّبعـين لا مبتدعين، فالحجر الأسودُ حجرٌ كباقي الحجارة لا يضـرُّ ولا ينفعُ، ولكنه يشـهد لمـن اسـتلمه أو قبَّلـه، كذلك الكعبة هي حجارة مبنية، لكنها تقدست وعُظِّمت لمـَّا عظمها الله، فأصبحت خلاف باقي الأبنية، وهكذا قل في جميع الأماكن المقدسة، ومنها آطام المدينة المنورة، والآثار التاريخية فيها .

زِيَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ الأماكِنَ التَّاريخيَّة

جبلُ أُحُدٍ:

وردت الأخبار من طريق الوحي أن ثمَّةَ علاقةُ محبةٍ متبادَلةٍ بين جبل أُحد، وبين النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليـه وسلَّم، لذلك كان النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يعقد له الزيارات بين الحين والآخر، وبرفقته كبار الصَّحابة

فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَـرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ» .

جبلُ حِراءٍ :

ومما يدلّك علىٰ تبرك النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالآثار المباركة زيارته جبل النور، وهو الجبل الذي فيه غار حراء، نزلت فيه أول سورة في القرآن، فهو مكان مبارك تشـرف بنزول الوحي .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: قَامَ خُطَبَاءُ يَتَنَاوَلُونَ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِي الدَّارِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَأَخَذَ بِيَدِي، وَقَالَ: أَلَا تَرَىٰ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي أَرَىٰ؟ يَلْعَنُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَشْـهَدُ عَـلَىٰ التِّسْـعَةِ أَنَّهُـمْ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَىٰ الْعَاشِرِ لَمْ آثَمُ، فَقُلْتُ: مَنِ التِّسْعَةُ؟ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ

---

(١١٥) [معرفة السنن والآثار (٧/ ٤٤٠، رقم:١٠٦١٥)] .

حِرَاءٍ، فَقَالَ: «اثْبُتْ حِرَاءُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيّاً، وَصِدِّيقاً، وَشَهِيدًا»، قُلْتُ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، قُلْتُ: مَنِ الْعَاشِرُ؟ فَتَفَكَّرَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا (١١٦) .

ومما يُثبت تعددت الزيارة النبوية لهذه الجبال اختلاف الرجال الذين كانوا برفقته صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقد كانت زيارةُ أُحُد بعد الهجرة، وزيارةُ حراء بعد البعثة، لكن هل كانت قبل الهجرة أم بعدها فلا يوجد لدي نص بذلك، لكن المهم في الأمر أن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قام بزيارة هذه الأماكن ورافقه كبار الصَّحابة ومنهم العشرة المبشرون بالجنة .

جبلُ ثَبِير :

وثبير جبلٌ في مكة، حدثت عنده حادثةُ ذبح أبينا إبراهيم لولده إسماعيل، ثم فداه الله تعالى بِذِبْحٍ عظيم، فكان لهذا المكان أثرٌ كبير في نفس المصطفى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وتعظيم لهذا المكان، حيث اعتبره من جملة الأماكن الأثرية التي تشرفت برسولين من رسل الله، تصله بهم صلة الوالد والجد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيمُ فداءَ إسماعيل (١١٧) .

عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ الْقُشَيْرِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ اللَّذَيْنِ أَلَّبَاكُمْ عَلَيَّ، قَالَ: فَجِيءَ بِهِمَا فَكَأَنَّهُمَا جَمَلَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِمَارَانِ، قَالَ: فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ

---

(١١٦) [صحيح ابن حبان - مخرجا (١٥/ ٤٥٧)] .

(١١٧) [شرف المصطفى (٢/ ٣١٢)] .

دِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ .

فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ مِنْ مَالِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالْحَضِيضِ قَالَ: فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ، ثَلَاثًا (١١٨) .

من خلال النظر في الأحاديث المذكورة وغيرها من الروايات يتضح لي مسائل:

(**الأولى**): تعدد الواقعة، أي تعدد واقعة الزيارة بمعنى أن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم زار هذه الجبال أكثر من مرة بدليل تعدد الرجال الذين كانوا معه في كل رواية، وبهذا قال الحافظ ابن حجر في [فتح الباري (٥ / ٤٠٨)]: مما يستفاد من هذا استحباب زيارة هذه الأماكن، وهذه الزيارة وقعت منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد البعثة لا قبلها، لأن الصِّدِّيق ما صار صديقاً إلا بعد حادثة الإسراء في السُّنَّة (١١) للبعثة، وأحد ما زاره حتى هاجر، فكانت الزيارة بعد الهجرة .

(**الثانية**): معجزة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وذلك بإخباره عن أمور مغيبة فحدثت منها: استشهاد بعض الصَّحابة، ومنهم من شهد له بالجنة، ومنهم من شهد له بالصِّدِّيقية، وحدث كما أخبر صلَّى اللهُ

---

(١١٨) سنن الترمذي ت بشار (٦/ ٦٨) .

عليه وسلَّم .

(الثالثة): اهتزاز الجبل بالنَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأصحابه رضي الله عنهم طرباً وفرحاً بهم، واستعظاماً لما كان عليه من الشرف، وبمن كان عليه من الأشراف، ثم سكونه بعد أمر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم له بالسكون .

(الرابعة): معاملة النَّبيّ لهذه الجبال معاملة العاقل: حيث خاطبها: «اثبت أحد، اثبت حراء، اثبت ثبير» وهذا خطاب للعاقل، ثم ركْلُه برجله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم دلالةٌ علىٰ معاملته معاملةَ العاقل المدرك، شأنه في ذلك شأن الجذع حين حنّ إليه، والمنبر حين اضطرب تحته، والحصىٰ حين سبحت في كفه، والغصن حين نزل وسلم عليه .

ما تُرشِدُ إليه الأحَاديثُ:

إن النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم زار هذه الأماكن ومعه كبار الصَّحابة منهم الخلفاء الراشدون، وبقية العشرة المبشَّرون بالجنة، وهذه الأماكن ليستْ مساجد، وليس بها من قبرٍ يزار، وإنما هي أماكن منها ما تشرَّف بالوحْي، ومنها ما حصلت عنده معركةٌ حربية، ومنها ما تشرَّف بزيارة نبيٍّ وغير ذلك، وكان يزورها ويكرر زيارتها، وكان يَصطحب معه كبارَ وزرائه ومستشاريه، وقد فعل هذا أصحابُه من بعده منهم السيدةُ عائشة رضي الله عنها حيث اعتكفت في جوف جبل ثبير، وما عائشة بالتي تفعل هذا عن جهل، وهي مَنْ هي رضي الله عنها .

فما المانع إذاً أن يزور المسلم هذه الأماكن وأشباهَها ممن تشرفَ بمس جسم المصطفىٰ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وكبار صحابته؟ أليس هذا اقتداء به صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في أصل الفعل؟؟

الصَّلاةُ عِنْدَ أُسْطُوَانةِ المصْحَف :

عن يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ كُنْتُ آتِي مَعَ سَلمةَ بْنِ الأكْوَعِ فَيُصَلِّي عِنْدَ الأسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ المصْحَفِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلم أَرَاكَ تَتَحَرَّىٰ الصَّلاة عِنْدَ هَذِهِ الأسْطُوَانَة؟ قَال: فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم يَتَحَرَّىٰ الصَّلاة عِنْدَهَا (١١٩).

قال الحافظ ابن حجر: والأسطوانة المذكورة حقَّق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة المكرمة، وأنها تُعرف بأسطوانة المهاجرين، قال: وروىٰ عن عائشة أنها كانت تقول: لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام، وإنها أسرَّتها إلىٰ ابن الزبير، فكان يُكثر الصَّلاة عندها .

ثم وجدتُ ذلك في تاريخ المدينة لابن النجار، وزاد: أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وذكره قبله محمد بن الحسن في أخبار المدينة (١٢٠).

الصَّلاة عِنْدَ أُسْطُوَانةِ عائشة :

قال الزبير بن حبيب: صلىٰ النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إليها المكتوبة بضع عشرة، ثم تقدم إلىٰ مصلاه اليوم، وكان يجعلها خلف ظهره، وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله، وعامر بن عبد الله بن الزبير كانوا يُصلُّون إليها، وكانوا يُسمُّونها أسطوانة المهاجرين (١٢١) .

سواد يُقبِّل بطنَ النَّبيّ ﷺ :

كان صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في بدر يعدِّل الصفوف، ويقوم بتسويتها لكي تكون مستقيمةً متراصة، وبيده

---

(١١٩) [صحيح البخاري (١ / ١٣٤)] .

(١٢٠) [فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٧٧)] .

(١٢١) [أخبار مدينة الرسول لابن النجار (ص:٩١)].

سهمٌ لا ريش له يعدِّل به الصف، فرأىٰ رجلاً اسمه: «سواد بن غزيِّـة»، وقد خرج مـن الصـف فطعنـه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم في بطنه، وقال له: «استوِ يا سواد» فقال: يا رسـول الله أوجعتنـي، وقـد بعثـك الله بالحقِّ والعدْل فأقدْني، فكشف رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عن بطنه وقال: «اسـتقد» فاعتنقـه فقبَّـل بطنه، فقال: «ما حملك علىٰ هذا يا سواد» ؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترىٰ فأردتُ أن يكونَ آخرُ العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدَك، فدعا له رسول الله بخير (١٢٢).

أبو أيوبَ يتبرَّك بأثر النَّبيِّ ﷺ :

عن جَابِرِ بْنَ سَمُرَةَ قال: نَزَلَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَبِي أَيوب الْأَنْصَارِيِّ فَكَـانَ إِذَا أَكَـلَ طَعَاماً بَعَثَ إِلَيْهِ بِفَضْلِهِ فَيَنْظُرُ إِلَىٰ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ يَدَهُ فِيهِ، فَبَعَـثَ يَوْمًـا إِلَيْهِ بِطَعَامٍ فَلَمْ يَر فِيهِ أَثَرَ أَصَابعِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ لَمْ أَرَ أَثَرَ أَصَابِعِكَ فَقَالَ: « إِنَّهُ كَانَ فِيهِ ثُومٌ» قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثِهِ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَـالَ رَسُـولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا ، وإِنَّكَ لَسْتَ مَثَلِي إِنَّهُ يَأْتِينِي الْمَلَكُ وَلَسْتُ مِثْلَكَ» (١٢٣) .

إن أبا أيوب كان يتحسس أثر أصابع النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم في القصعة التي كان يأكل منها متبركاً بأثره، ولما لم ير ذلك مرةً استفهم عن السبب، فقال: إن بها ثوماً، وهو كريه الرائحة، وأنا يأتيني الوحي، فأكره أن يشمَّ الملَك مني رائحة الثوم .

التبرك بشعر النَّبيِّ ﷺ :

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ «عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ
عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ «عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ

---

(١٢٢) [إمتاع الأسماع (١ / ٩٩)، الروض الأنف في شرح غريب السير (٣ / ٦٧)] .

(١٢٣) [مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٤٨١، رقم:٥٩٠)] .

قِبَلِ أَهْلِ أَنسٍ» فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا [١٢٤] .

خالدٌ يَسْتنصِرُ بشَعره ﷺ :

عن جَعْفَرٍ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةً لَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَقَالَ: اطْلُبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوها، فَقَالَ: اطْلُبُوهَا، فَوَجَدُوهَا فَإِذَا هِي قَلَنْسُوَةٌ خلَقَةٌ، فَقَالَ خَالِدٌ: «اعْتَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ، فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ» [١٢٥] .

صحابيٌّ وبُرْدة النَّبيِّ ﷺ :

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا»، أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنهُ لاَ يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللهَّ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ [١٢٦] .

عرق النَّبيّ ﷺ أطيب الطيب :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ «من القيلولة» عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أُمَّ

---

(١٢٤) [صحيح البخاري (١/ ٤٥، رقم:١٧٠)] .

(١٢٥) [المعجم الكبير للطبراني (٤/ ١٠٤، رقم:٣٨٠٤)] .

(١٢٦) [صحيح البخاري (٢/ ٧٨، رقم:١٢٧٧)] .

سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ» [127].

التَّبرك بيدِ صَافحت النَّبيِّ ﷺ:

عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَزِينٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِالرَّبَذَةِ فقيل لنا: ها ههنا سلمة بن الأكوع، فأتيته فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ يَدَيْهِ فَقَالَ: بَايَعْتُ بِهَاتَيْنِ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَ كَفًّا لَهُ ضَخْمَةً كَأَنَّهَا كَفُّ بَعِيرٍ فَقُمْنَا إليها فقبلناها. [128]

قال ثَابِتٌ: كُنْتُ إِذَا أَتَيْتُ أَنساً يُخْبَرُ بِمَكَانِي فَأَدْخُلُ عَلَيْهِ فَآخُذُ يَدَيْهِ فَأُقَبِّلُهُمَا، وَأَقُولُ: بِأَبِي هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ اللَّتَيْنِ مَسَّتَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُقَبِّلُ عَيْنَيْهِ وَأَقُولُ: بِأَبِي هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [129]

خلاصَةُ الأمْر:

تبيَّن لنا مما سبق: أن الأماكن التي تشرَّفت بزيارة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لها مع عدد من أصحابه تقسم إلى قسمين: أماكن تاريخية، وأماكن دينية.

فالأماكن التاريخية تزار اتِّباعاً واقتداءً بالنَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا نقول عنها تعبدية لكن غاية ما نقوله: قد تكون الزيارة تبركا واتباعاً.

وأما المساجد وهي الأماكن الدِّينية فتسنُّ زيارتُها للصلاةِ فيها، كما يستحب زيارة أيِّ مكان تشرف بمس جسد النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أو أحد من أصحابه غير هذه الأماكن، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، لكنَّ هذه الزيارة إنْ عطَّلتْ فرضاً في المسجد النبوي أو

---

(١٢٧) [صحيح مسلم (٤/ ١٨١٥، رقم:٢٣٣١)].

(١٢٨) [الأدب المفرد (ص: ٥٤٢، رقم:٩٧٣)].

(١٢٩) [مسند أبي يعلى الموصلي (٦/ ٢١١، رقم:٣٤٩١)].

المكي، فالأولى ترك الزيارة للمفاضلة بين المكانين، بدليل زيارة الصَّحابة لهذه الأماكن، لما رواه البخاري بسنده الى موسى بن عقبة قال: رَأَيتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فِيهَا، وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا «وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَمْكِنَةِ».

وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَمْكِنَةِ، وَسَأَلْتُ سَالِمًا، فَلاَ أَعْلَمُهُ إِلَّا وَافَقَ نَافِعاً فِي الأَمْكِنَةِ كُلِّهَا إِلَّا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي مَسْجِدٍ بِشَرَفِ الرَّوْحَاءِ . (١٣٠)

وروى النسائي عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى، كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَةً أَوْتَرَ بِهَا، فَقَرَأَ فِيهَا مِائَةَ آيَةٍ مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا أَلَوْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ حَيْثُ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَيْهِ، وَأَنْ أَقْرَأَ بِمَا قَرَأَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١٣١) .

هذه أحاديث في الصحيحين، أو بغيرهما جاءت بأسانيد صحيحة، عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه تبرك بآثار الصالحين من قبله، وهي أماكن لها قيمتها التاريخية في دائرة الذهن الإسلامية، كان من الوفاء لها زيارتها ، وقد حافظ الصَّحابة على هذه السُنَّة، فتحرَّوا الآثار المنقولة، وغير المنقولة، من آثاره صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فاستشفوا بجبته، وتطيبوا بعرقه، وصلُّوا في أماكن جلوسه، وشربوا دمه، واستنصروا بشعره، ومسُّوا رمانة منبره، وغير ذلك مما قد رأينا، ومعلوم أن الصَّحابة أعلم الناس بالسُنَّة والبدعة، والشِّرْك والتوحيد، وجاءت تزكيتهم بآيات كثيرة، وأحاديث صحيحة، أفلا يسعنا ما فعلوه؟ وهم في خير القرون .

هذه هي أدلتنا في ما ذهبنا إليه من التبرك، وطلب الشفاعة، وهي نصوص معصومة، ومن اقتدى بمعصوم فهو معصوم، فكيف نكفّره بعد ذلك ؟ .

---

(١٣٠) [صحيح البخاري (١/ ١٠٤)] .

(١٣١) [السنن الكبرى بسند صحيح (٢/ ١٦٤، رقم:١٤٢٨)] .

خَـاتِمَـةٌ
نَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالى حُسْنَهَا

ها وقد أتيت على نهاية هذا الكتاب، الذي صنفته في بيان مقصد حديث من أحاديث سيِّدنا رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ألمح فيه عن فتنةٍ ستخرج من نجد، يقـوم صـاحبها مقـام شـيطان، أو تقـول: إنـه شيطان بفعاله التي أقدم عليها، وإن كان في صورته الآدمية، فقد وفقنـي الله تعـالى لبيـان مـن هـو هـذا القرن، وتحديد المكان الذي خرج منه، وتحديد مكان نجد في الحديث، وأن ما وصفه أتباع هذا القرن من أن المقصود هو العراق إنما هو كالمتشبث بزبد البحر، لا يقوم أمام التحقيق العلمي .

ها وقد شارفت على نهاية الكلام في هذا الموضوع أكتب هذه السطور لطلبـة العلـم المحـدثين أن لا ينغرُّوا وراء هذا السَّـراب، فإنه لا يغني من الظمأ، وألخص نصيحتي إليهم بهذه السطور:

* بعد البيان العلمي والتمحيص الدقيق لبيان معنى حديث النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي أخبر فيه عن قرن الشَّيطان، تبين لنا من هو هذا القرن، ومن هم أتباعه، فيجب الحذر منهم أشد الحـذر، اسـتبراءً للدين والعرض .

* تبين لنا بما لا يقبل الشك أن نجداً المقصودة بالحـديث الشـريف هـي نجـد الجزيـرة، وأنَّ صرْفهـا للعراق ظُلْمٌ له، وحمْلٌ للحديث في غير ما يحتمل لا لغة ولا اصطلاحا .

* إن من يسمونه المجدد، وشيخ الإسلام، وغير ذلـك مـن الألقـاب البراقـة هـي في الحقيقـة لإسـباغ النقص، وتغطية المساوئ، ودفعاً لهجمة أهل السُنَّة على هذا القرن، وأن الوصف النبوي الدقيق لا ينطبق إلا عليه، وعلى أتباعه، وهي ألقاب لا تسمن ولا تغني من جوع .

* ينبغي المحافظة على آثار المدينة خصوصاً، على ألوانها وأشكالها، فإذا كان النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عن هدم آطام المدينة، وهي بيوت عالية بنيت قبل الإسلام لتكون زينة للمدينة، فالمحافظة على آثار الإسلام أوجب وآكد، لأنها تُذَكِّر بعظمة الإسلام والمسلمين وقُوَّته وأيامه الأولى، ولكي تبقى مُذكِّرة لهم بها، خاصة في زماننا اليوم، وكثير من أبناء المدينة لا يعرفون شيئا يُذكَر عن كثير من هذه المعالم، خاصة وأننا نرى كثيراً من الدول تَصْرف أموالاً كبيرة للمحافظة على آثارها، لِتذَكِّر أبناءها وغيرَهم بأمجادهم الماضية، ومآثر آبائهم وأجدادهم، وهي آثار لا تسمن ولا تغني من جوع في كثير منها، فكيف بآثار الإسلام الأولى.

روى ابن سعد في الطبقات عن عطاء الخراساني في مجلس فيه عمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مسجده، فما رأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم .

قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدُم القادم من الأفق، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر .

قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلَبِنٍ لها حجر من جريد، وكانت خمسةَ أبيات من جريد مُطَينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر، ذَرَعْتُ الستر فوجدته ثلاث أذرع في ذراع، والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من البكاء يومئذ فلقد رأيتُني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد بن ثابت، وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم

الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركَت فلم تُهدَم حتىٰ يَقصُـر الناس عن البنـاء، ويـروا مـا رضي الله لنبيه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده .

* إني أحثُّ أنجاب طلبة العلم في المدينة خاصَّة أن يُدَوِّنوا هذه الآثار بمؤلَّفاتٍ مستقلة، ولـو كانـت مصحوبةً بالصور كان أحسن ليعرفها الأجيال القادمة .

هذا وأسال الله تعالىٰ أن ينفع به عباده النفع العميم، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قَائِمَةٌ بِأَهَمِّ المصَادِرِ وَالمرَاجِعِ

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، الناشر: ليدن، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٣، (١٤١١/ ١٩٩١).

٢. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، (١٤٠٩/ ١٩٨٩)م.

٣. أدوار التاريخ الحضرمي، العلامة محمد الشاطري، ط٣، دار المهاجر المدينة المنورة ١٩٩٤م.

٤. الأذكار، أبو زكريا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤)م.

٥. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠)م.

٦. أُسُدُ الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بـابن الأثير، دار الفكر، بيروت (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩)م.

٧. افتراق العرب ولد معد، أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: أحمد محمد عبيد، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، (١٤٣١)هـ.

٨. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسىٰ بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠) هـ.

٩. أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشَّيطان لمؤلفها الشيخ حكيم محمد أشرف سندهو، لا تحمل اسم دار النشر. حققها أبو عمر الدوسري، (١٤٠٢)هـ.

١٠.	إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩)م .
١١.	الأموال لابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد المعروف بابن زنجويه، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط١، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦)م.
١٢.	الأوائل، الحسن بن عبد الله العسكري، دار البشير، طنطا، ط١، (١٤٠٨) هـ .
١٣.	الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ .
١٤.	البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق: علي شيري، ط١، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨)م، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
١٥.	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
١٦.	بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١،(١٤١٣ – ١٩٩٢) .
١٧.	بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، دار صادر – بيروت .
١٨.	بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، د. محمد إلياس عبد الغني، ط٤، (١٤٢٠)هـ .
١٩.	تاج الأعراس بمناقب الحبيب صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس، علي بن حسين بن محمد بن جعفر العطاس، طبع في مطبعة منارة قدس ، أندونيسيا ، ط١ .

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية .

٢١. تاريخ ابن غنام، حسين بن أبي بكر بن غنّام، ط١، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠)م، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض .

٢٢. تاريخ أبي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي ، رواية: أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني (أصل الكتاب رسالة ماجستير بكلية الآداب – بغداد)، مجمع اللغة العربية – دمشق .

٢٣. تاريخ آل سعود، ناصر سعيد، لا تحمل اسم الدار الناشرة، ولا سنة النشر .

٢٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠)م .

٢٥. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٨، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠)م .

٢٦. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة – مصر، ط١، (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢)م .

٢٧. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس، بيروت، ط١، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١)م .

٢٨. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث – بيروت، ط٢، (١٣٨٧) هـ .

٢٩. تاريخ العربية السعودية، للكاتب الروسي أليكسي فاسيلييف، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩٥)م .

٣٠. تاريخ الفاخري، محمد بن عامر الفاخري، تحقيق د. عبد الله الشبل، سنة (١٤١٩هـ١٩٩٩م) الرياض .

٣١. تاريخ الكويت السياسي، حسين خلف الشيخ خزعل، ط١، (١٩٦٢)م .

٣٢. تاريخ المدينة النبوية، ابن شبَّه أبو زيد عمر بن شبه النميري ، دار الفكر، فهيم محمد شلتوت .

٣٣. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي،تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢) م .

٣٤. تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، سالم بن محمد الكندي ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد – صنعاء ، ط١، (١٤٢٤)هـ .

٣٥. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسين هبة الله بن عساكر، تحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت .

٣٦. الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة، عبد الله محمد عكور، عالم الكتب الحديث، اربد/ الأردن، ط١، (٢٠٠٥)م .

٣٧. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، زين الدِّين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، الطبعة الأولى، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩)م .

٣٨. التمييز للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط٣، (١٤١٠)هـ مكتبة الكوثر.

٣٩. التنزلات الموصلية في أسرار الطهارة والصلوات والأيام الأصلية، محي الدين بن عربي، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦)م .

٤٠. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، (٢٠٠١)م .

٤١. الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٨)م .

٤٢. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

٤٣. الجرح والتعديل، الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، (١٢٧١هـ/ ١٩٥٢)م .

٤٤. جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، دار الآفاق العربية .

٤٥. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦) م .

٤٦. جواهر تاريخ الأحقاف، محمد بن علي باحنان الكندي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (٢٠٠٨)م .

٤٧. حاشية العلاّمة الصاوي المالكي احمد بن محمد على تفسير الجلالين، طبعة دار إحياء التراث العربي .

٤٨. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، (١٤١٣)هـ .

٤٩. حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خلف الشيخ خزعل، نسخة الكترونية، لا يوجد عليها دار نشر .

٥٠. الخبر والعيان في تاريخ نجد، خالد محمد الفرج، تحقيق: عبد الرحمن الشقير، مكتبة العبيكان، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠)م .

٥١. خصائص جزيرة العرب، بكر بن عبدالله أبو زيد، مطابع دار البيان، ط٢، (١٤٢١)هـ

٥٢. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، احمد زيني دحلان، استانبول، تركيا .

٥٣. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٥٤. داعية وليس نبيا، حسن بن فرحان المالكي، دار الرازي، عمّان .

٥٥. الدرر السنية في الكتب النَّجْديّة، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط٦، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦)م .

٥٦. الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، الشيخ محمد البسام التميمي النَّجْديّ، تحقيق: سعود غانم، ط٢، (٢٠١٠)م، الصفاة، الكويت .

٥٧. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨) م .

٥٨. ديوان قيس بن الملوح، «مجنون ليلى»، رواية أبي بكر الوالبي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩)م .

٥٩. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس .

٦٠. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠)م .

٦١. رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان، دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح و التعديل، الدكتور : خالد كبير علال .

٦٢. السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، لوريمر ج ج، دار غارنت للنشر، (١٩٩٥)م .

٦٣. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله حميد الحنبلي، دار الإمام أحمد .

٦٤. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، (١٤٠٨)هـ .

٦٥. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩)هـ .

٦٦. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٦٧. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٦٨. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، (١٤١٤ / ١٩٩٤)، تحقيق، محمد عبد القادر عطا .

٦٩. سنن النسائي الكبرى، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، (١٤٠٦ / ١٩٨٦)، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة .

٧٠. سير أعلام النبلاء، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة .

٧١. السيرة النبوية، محمد بن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٤)هـ .

٧٢. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٢)هـ .

٧٣. شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٤)هـ .

٧٤. شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٧٥. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، مؤسسة الرسالة ط١ ، (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤)م

٧٦. شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق، من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤)م .

٧٧. شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، ط١، (١٤١٤)هـ .

٧٨. شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١، (١٤٢٤) هـ .

٧٩. شُعَبُ الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ط١، (١٤٢٣)هـ.

٨٠. الشمائل المحمدية، محمد بن عيسىٰ التِّرْمِذِيّ، أبو عيسىٰ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧) م.

٨٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، (١٤١٤/ ١٩٩٣)م.

٨٣. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي - بيروت، (١٣٩٠/ ١٩٧٠)م.

٨٤. صحيح الإمام البخاري حسب ترقيم فتح الباري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب – القاهرة، ط١، (١٤٠٧/ ١٩٨٧) م.

٨٥. صِدْق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، الشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا.

٨٦. صفحات من تأريخ الجزيرة العربية، الدكتور محمد عوض الخطيب، دار المعراج للطباعة والنشر.

٨٧. الصواعق الإلهية في الرَّدّ علىٰ الوهابية، سليمان بن عبد الوهاب، ط٣، دار الشفقة، استانبول، تركيا، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩)م.

٨٨. الضعفاء والمتروكين، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار الكتب ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، ط٥، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩)م

٨٩. طبقات الحنابلة، ، لابن أبي يعلىٰ الحنبلي، دار المعرفة، بيروت .

٩٠. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت.

٩١. العُدَّة المفيدة الجامع لتواريخ قديمة وحديثة، سالم بن محمد بن سالم بن حميد، مكتبة الإرشاد، حضرموت، (٢٠٠٣)م .

٩٢. عقيدة السلف أصحاب الحديث، عبد الرحمن بن اسماعيل الصابوني، تحقيق: ناصر عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، (١٤١٩)هـ .

٩٣. عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بِشْر، ط٤، الرياض (١٤٠٣)هـ .

٩٤. عوامل انهيار الدولة العثمانية/ د. علي حسون، المكتب الاسلامي، دمشق .

٩٥. فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب احمد بن عبد الرزاق الدويش / المجلد الثالث/ قسم العقيدة .

٩٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت (١٣٧٩) .

٩٧. فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، محمد بن عبد الله غبان الصبحي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣)م .

٩٨. الفتوحات المكية، للشيخ محي الدِّين بن عربي، دار صادر، بيروت .

٩٩. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة .

١٠٠. فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٠٥)هـ.

١٠١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الإمام شمس الدِّين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي، دار القبلة للثقافة الاسلامية .

١٠٢. الكامل في التاريخ علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٧)هـ .

١٠٣. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، (١٤٠٩).

١٠٤. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الكتب العلمية.

١٠٥. كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين الحسيني، بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) . صفحات من تاريخ الجزيرة الحديث، محمد عوض الخطيب، مركز غدير للدراسات الإسلامية، قم، ط٢، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) .

١٠٦. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤١٨)هـ.

١٠٧. لا ذرائع لهدم آثار النبوة مقالات بين المؤيدين والمعارضين، دكتور عمر عبد الله كامل، لا يوجد دار نشر.

١٠٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣، (١٤١٤) هـ.

١٠٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤) م .

١١٠. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة/ السعودية، ط٢ .

١١١. مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان .

١١٢. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، مطبعة المنار – مصر، ط١، (١٣٤٤ هـ/ ١٣٤٩) هـ .

١١٣. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا .

١١٤. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦)م .

١١٥. مدارج السالكين لابن القيم، بتحقيق حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت .

١١٦. مذكرات جاسوس انجليزي، مترجم من اللغة الإنجليزية، بيروت (١٩٧٣)م .

١١٧. المساجد الأثرية في المدينة المنورة، د. محمد إلياس عبد الغني، ط٢، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩)م، مطابع الرشيد، المدينة المنورة .

١١٨. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، (١٤٢٣) هـ .

١١٩. مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة / بيروت .

١٢٠. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١١/ ١٩٩٠)م .
١٢١. مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ط١، (١٤٢٧).
١٢٢. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصري، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر / مصر، ط١، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩) م .
١٢٣. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق، ط١، (١٤٠٤/ ١٩٨٤) .
١٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة .
١٢٥. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة .
١٢٦. المسند للإمام الشافعي، محمد بن إدريس الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
١٢٧. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢)م .
١٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي .
١٢٩. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت ط٢، (١٤٠٣)، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
١٣٠. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي .

١٣١. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَّبرانيّ، دار الحرمين - القاهرة، (١٤١٥).

١٣٢. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت .

١٣٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطَّبرانيّ، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥)م .

١٣٤. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ ، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، دار قتيبة، دمشق، دار الوعي، حلب، دمشق، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١)م .

١٣٥. المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، خليل المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٣٦. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السَّهمي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط٣ ، (١٤٠٩/ ١٩٨٩).

١٣٧. المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور نور الدِّين عتر .

١٣٨. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨)م .

١٣٩. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط٤، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١)م . مكتبة الخانجي – القاهرة .

١٤٠. مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت .

١٤١. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤٠٣هـ/ ١٩٩٢)م .

١٤٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢)م .

١٤٣. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط١، (١٣٣٢)هـ .

١٤٤. مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، محي الدين بن عربي، عالم الفكر، القاهرة، ط١، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨)م .

١٤٥. موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية، ط٣، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦)م .

١٤٦. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨) .

١٤٧. نجد السعودية هي قرن الشَّيطان، الدكتور محمد المسعري .

١٤٨. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، ط١، (١٤٢٢)هـ.

١٤٩. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، المؤلف: ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن .

١٥٠. نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكي نصر الجريسي، مكتبة الصفا، ط١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩)م .

١٥١. وقعة صِفِّين، نصر بن مزاحم المنقرئ المتوفى سنة ٢١٢هـ، عبد السَّلام محمد هارون، ط٢، (١٣٨٢) هـ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع .

فهرس رؤوس الموضوعات

من آثار المؤلف

للمؤلف مصنفات كثيرة، منها ما هو رسائل صغيرة ومتوسطة، ومنها ما هو كتاب، ومنها حواشي، ومنها شروحات، ومنها تحقيقات، وهناك مشاريع قيد العمل، وسأشير إلىٰ أغلبها:

١. إتحاف الماجدين في سير الساجدين .

٢. إتحاف المؤمنين في فضيلة الذكر وشرف الذاكرين .

٣. الأدعية المأثورة في الحج والعمرة .

٤. الاستقصاء لآيات الإستواء .

٥. إعلام الأنام بفضائل وأحكام الصَّلاة علىٰ النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام .

٦. الأفعال الشنيعة الإجرامية، لمهدي الشيعة الإمامية .

٧. ألـمُ الجوىٰ من لسع حية الهوىٰ .

٨. حادي الركبان إلىٰ جبل جُمدان .

٩. الإمام المهدي والأحداث الواقعة بين يديه .

١٠. أوضح البيان بأن نجداً يطلع منها قرن الشَّيطان .

١١. بل الصُّدَي بشرح يائية الباعونية: سعد إن جئت ثنيات اللوي .

١٢. التبيان في موافقات عمر للقرآن .

١٣. الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة في العقيدة والفكر والسلوك

١٤. التربية النفسية في القرآن الكريم، قيد العمل .

١٥. تعدد الزوجات وأثره في المجتمع .

١٦. التعريف بالمؤلفات في المولد النبوي الشريف .

١٧. تكحيل العين بأدلة نجاة الوالدِّين .

١٨. تنزيه الرحمن عن الجهة والمكان .

١٩. تنزيه نبي الله عما نُسب إليه من السحر .

٢٠. حاشية على بردة البوصيري .

٢١. حجاب المرأة المسلمة بين المؤيدين والمعارضين .

٢٢. الحدائق الندية، في تراجم رجال السلسلة الذهبية، قيد العمل .

٢٣. الحركة الوهابية صنيعة الأيدي الخفية .

٢٤. حسن الحياكة لأثر أبي أراكة .

٢٥. الدرة البهية في الأحزاب والأوراد الشاذلية .

٢٦. دفع النجش عن حديث زفن الحبش .

٢٧. دوحة الأسرار في معنى الصَّلاة على النَّبيّ المختار، للشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي، تحقيق .

٢٨. رد الخاسر الجبان الطاعن في معاوية بن أبي سفيان .

٢٩. رسالة في التوحيد، وهو متن في العقيدة الأشعرية .

٣٠. رسالة: المصطلحات الفقهية / المكاييل والمقاييس والأوزان .

٣١. رفع المين عن حديث إحياء الوالدِّين الكريمين .

٣٢. رفع الهمة للرتع في رياض الجنة .

٣٣. رفع اليدين في خطبة الجمعة بين السُنَّة والبدعة .

٣٤. ساعة الشكر في الحركة بالذكر .

٣٥. شحذ الإرادة بأن نعت النَّبيّ ﷺ بالسيادة عبادة .

٣٦. الصَّلاة ؛ فضائلُها، فوائدُها وآدابُها .

٣٧. الطامات العقدية عند الحركة الوهابية .

٣٨. عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق .

٣٩. العقائد الكفرية عند الشيعة الإمامية .

٤٠. عقد الجُمان في مجازات القرآن، قيد العمل .

٤١. عقد الجيد من المسلسلات والأسانيد .

٤٢. العقيدة الباطنية في دين الشيعة الإمامية .

٤٣. علماء السلاطين .

٤٤. فتح بيت المقدس، نبوءة قرآنية .

٤٥. فض الوعاء في حكم رفع اليدين بالدعاء .

٤٦. قراءة في فكر المدرسة السلفية .

٤٧. القوق الفصل في عصمة الرسل .

٤٨. القول الحبير في حديث الغدير .

٤٩. القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، للشيخ أحمد بن عليوة، تحقيق .

٥٠. القول المقبول في تبيان معنى حديث النزول .

٥١. كفاية المريد، من الأذكار والأدعية والتعاويذ . .

٥٢. المجموعة العلية في المدائح النبوية.

٥٣. مسألة الرؤية .

٥٤. المفاخر العلية في المآثر الشاذلية: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عباد الشاذلي الشافعي المصري، تحقيق .

٥٥. المؤلفات في نجاة والدي النَّبيّ ﷺ .

٥٦. النـاصر معروف في الذب عن مجد التصوف، للشيخ أحمد بن عليوة، تحقيق.

٥٧. النظرة الشعوبية عند الشيعة الإمامية .

٥٨. النفحات الربانية في الاستغاثة بسيد البرية .

٥٩. النور الضاوي في مناجاة الشيخ العلاوي، تحقيق .